قافية الضاد المعجمة

تضم هذه القافية الصعبة قصيدتين : أولاهما من (٤١) واحد وأربعين بيتًا، والثانية من (٢٥) خمسة وعشرين بيتًا، وكلتاهما تعد طويلة فى هذا الروى الحوشى الصعب، ولذا فقد حفلت القصيدتان، وبخاصة أولاهما بغريب الألفاظ فى كلمات القوافى.

الضادية الأولى

(عدتها ٤١- الطويل الثالث)

تعبر هذه القصيدة عن أشواق صادقة وعاطفة جياشة تميل بشاعرنا إلى أرض الحمى، وهو هناك فى العراق لا يملك إليها سبيلاً، فيحمل هذه الأشواق ركبان الحجيج ليحملوها إلى أهل الحرم الشريف، وإلى ممدوحه الكريم ﷺ الذى لحبه أحب الشاعر هذه الديار وأهلها، مركزاً فى مدحه على صفات القوة والعزة والمهابة التى خلعها عليه رب العزة، فانحنى له الطغاة وذلت له الأسد، ونال شاعرنا نصيبًا من هذه الكرامة؛ فبمديحه لصاحب المقام الرفيع لم يعد يستهويه حضيض الحياة وسفوحها، وصار مطلبه العالى من الآمال، مستجيراً به أن يحفظه من خطوب الزمان كى لا يهوى من علياء مجد الإيمان إلى حضيض السفاهة والخزى والهوان.

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين.
- فى مديح النبى ﷺ.
- مناجاة واستجارة بجاه النبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أشاقَكَ مِنْ وادِى العَقِيقِ وَمِيضُ ... فَجَفْنُكَ بالدَّمْعِ الغَزِيرِ يَفِيضُ؟

٢ - نَعَمْ إنَّ للبَرْقِ اليَمَانِى لَلَوْعَةً ... لَهَا بَيْنَ أحْنَاءِ الضُّلوعِ غُمُوضُ

٣ - وإنَّ لِخَفَّاقِ النَّسِيمِ إذَا سَرَىٰ ... عَلىٰ الزَّهَرِ المَطْلولِ وهْوَ مَرِيضُ

٤ - لَرَوْحًا يَهُزُّ الصَّبَّ حَتَّىٰ كأنَّهُ ... يطِيرُ اشْتِيَاقًا والجَناحُ مَهِيضُ ٤٠/ب

٥ - سألْتُكَ يَا مَنْ أصْبَحَتْ عَزَمَاتُهُ ... لَهَا فِى طِلابِ المَكْرُمَاتِ نُهُوضُ

٦ - تَسَامَتْ مَرَامِيهِ فأضْحَتْ رِكَابُهُ ... تَجُوبُ بِهِ بَحْرَ الفَلا وتَخُوضُ

٧ - إذَا مَا وَرَدْتَ المَاءَ مَاءَ مَجَنَّةٍ ... وظَلْتَ عَلَيْهِ للمَطِىِّ تَحُوضُ

٨ - فَعَرِّضْ لأهْلِيهِ بصَبٍّ غَرامُهُ ... طويلٌ لِسكَّانِ الخِيَامِ عَرِيضُ

٩ - وقُلْ: هَلْ لِمشْتَاقٍ يَهِيمُ بِذِكْرِكُمْ ... تَمَادَتْ بِهِ الأيَّامُ فَهْوَ حَرِيضُ

١٠ - سَبِيلٌ إلىٰ عَيْشٍ تَقَضَّى بِقُرْبِكُمْ ... ومَاضِى شَبَابٍ فَاتَ لَيْسَ يَئِيضُ؟!

١١ - لقَدْ شَفَّ قَلْبِى الوَجْدُ نَحْوَ أحِبَّتِى ... ومَالِىَ عَنْهُمْ عَائِضٌ فَيَعُوضُ

تشخص: تنظر فى ثبات لا تتحرك ولا تطرف، من شدة هول الموقف.

(١) أشاقك: الهمزة للاستفهام بمعنى هل. شاقك: جعلك تشتاق وتحنّ. الوميض: لمعان البرق.

(٢) البرق اليمانى: الآتى من جهة اليمن. أحناء الضلوع: مواضع انحنائها من الصدر. غموض: ذهاب وبعد، أى إن اللوعة تسرى فى الضلوع وتتعمق فيها.

(٣) المطلول: الذى سقط عليه الطَّلُّ وهو الندى. قوله: وهو مريض: جملة حالية وعاملها الفعل (سرى) وصاحب الحال النسيم. ويوصف النسيم بالمرض إذا كان لطيفًا رقيقًا.

(٤) لروحا: اللام للتوكيد و (روحا) اسم « إن » فى البيت السابق. أى: إن للنسيم.... لَرْوحًا، أى راحة. مهيض: مكسور.

(٥) طلاب: طلب.

(٦) تسامت: ارتفعت وعظمت. مراميه: أهدافه ومقاصده. تجوب: تقطع.

(٧) ماء مَجَنَّة: موضع قريب من مكة المكرمة [معجم البلدان ٥ / ٧٠]. ظَلْتَ: ظللت. المطىّ: الإبل. تَحُوض: تجمع الماء فى أحواض كى تشرب منه الإبل.

(٨) عرّض له بكذا: ذكره له بطريقة غير مباشرة. وقوله: طويل... عريض: كناية عن شدة الحب لسكان الخيام، وأراد بهم: العرب، لكون النبى ﷺ منهم.

(٩) تمادت: طالت. حريض: هالك.

(١٠) يئيض: يرجع.

(١١) شفّه الوجد: زاد حبُّه حتى كاد يذهب بعقله. عائض: بديل يعوض عنهم.

١٢ - فلَيْتَ المَطايَا كُنَّ يَمَّمْنَ أَرْضَهُمْ ... ولَوْ بُسِطَتْ دُونَ الفَلاةِ أُرُوضُ

١٣ - لِمَنْ رُفِعَتْ مَا بَينَ سَلْعٍ إلىٰ قُبَا ... قِبابٌ تُغَشِّيها المَهابَةُ بِيضُ

١٤ - بِها مَنْهَلٌ يُروَىٰ بِهِ كُلُّ عارِفٍ ... ورَوْضٌ لأَرْبابِ القُلُوبِ أَرِيضُ

١٥ - أَلا أَيُّها الأَعْلامُ من أَرضِ يَثْرِبٍ ... بِها زُمَرُ الأَمْلاكِ لَيْسَ تَغِيضُ

١٦ - حِمًى بِرَسولِ اللهِ أَضْحَىٰ مُعَطَّرَ الْـ ... ـجَنَابِ كَأَنَّ المِسْكَ فِيهِ رَضِيضُ

١٧ - نَبِيٌّ أَجَدَّ الدِّينَ بَعْدَ دُرُوسِهِ ... وسَدَّدَ سَهْمَ الرُّشْدِ وهْوَ رَمِيضُ

١٨ - ولاقَى الأَذَىٰ مِنْ قَوْمِهِ وهْوَ صابِرٌ ... ومَرَّ إلىٰ ذاتِ النَّخِيلِ يُفِيضُ

١٩ - فَحَلَّ بِثَوْرٍ غارَهُ وغَدَا بِهِ ... بِكُلِّ سَبِيلٍ فِي الطِّلابِ يَنُوضُ

٢٠ - فَعَمَّىٰ عَلَيْهِ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ ... وظَلَّ عَلَىٰ البَابِ الحَمَامُ يَبِيضُ

٢١ - أَتَىٰ بالهُدَىٰ والنَّاسُ فِي سَكْرَةِ الهَوَىٰ ... وعِنْدَهُمُ الأَمْرُ الحَمِيدُ بَغِيضُ

٢٢ - لَهُمْ لَغَطٌ لا يَفْقَهُونَ كَأَنَّهُمْ ... لِضَعْفِ العُقُولِ الواهِناتِ بَعُوضُ

٢٣ - فَمَا زالَ بالإِنْذارِ والبِيضِ والقَنَا ... يَفُلُّ قُوَىٰ أَعْدائِهِ ويَهِيضُ

٢٤ - لَهُ فِي جِهادِ القَوْمِ دِرْعٌ حَصِينَةٌ ... وأَجْرَدُ مَأْمُونُ العِثَارِ مَرُوضُ

---

(١٢) يمَّم نحو كذا: قصده وتوجه إليه. أروض: جمع أرض، يقول: ليتنا توجهنا نحو أرضكم، ولو بعدت هذه الأرض وحالت دونها صحارى وأروض كثيرة.

(١٣) قُبا: قباء. قباب: جمع قبة، وأراد بها قباب المساجد بالمدينة المنورة. تغشيها: تعلوها. المهابة: الجلال، ووصف القباب بأنها بيض، لأن البياض عند العرب دليل على الطهر والخير.

(١٤) أريض: خصب كثير النبات.

(١٥) الأعلام: الجبال. زمر: جماعات. الأملاك: أراد به: الملائكة. ولم أتمكن من قراءة كلمة القافية.

(١٦) الجناب: الجوانب. رضيض: منثور.

(١٧) أجدَّ: جدَّد. دروسه: قدَمه وانطماس آثاره. رميض: حادٌّ نافذ.

(١٨) ذات النخيل: لعلها أراد بها: المدينة؛ لكثرة ما بها من نخيل.

(١٩) ثور: جبل من جبال مكة، وبه غار ثور المذكور، وهو الغار الذى نزل به ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ فى هجرتهما من مكة إلى المدينة. ينوض: يسير سيرا طويلا مرهقا.

(٢٠) عمَّى عليه: أخفاه عن عيون الأعداء.

(٢٢) اللغط: اختلاط الأصوات بكلام لا يفهم.

(٢٣) البيض: السيوف. القنا: الرماح. يفلّ: يكسر، وكذا ويهيض.

(٢٤) الأجرد: من صفات الخيل، وهو الجواد قصير الشعر، وذلك من علامات الخيل الكريمة.=

٢٥ - وأسْمرُ عَسَّالٌ وأبْيضَ قاضبٌ ... صَقيلٌ وقَوْسٌ بالسِّهامِ رَكُوضُ ٤١/أ

٢٦ - فَكَمْ فِي عِراصِ المَعْركاتِ لِخَيْلِهِ ... صَريعٌ بأطْرافِ الرِّماحِ رَحِيضُ

٢٧ - إلىٰ أنْ ذَوَىٰ الطُّغْيانُ بَعدَ شَبابِهِ ... وَنَوَّرَ رَوْضُ الدِّينِ وهْوَ غَضِيضُ

٢٨ - كَريمٌ عَظيمُ المُعْجِزاتِ، بِجاهِهِ ... نَمَا الغَيْثُ خِصْبًا والزَّمانُ عَضُوضُ

٢٩ - وأصْبَحَ مَاءُ البِئْرِ مِنْ فَضْلِ رِيقِهِ ... هُوَ النَّهْرُ يَجْرِي لا يَكادُ يَغِيضُ

٣٠ - ولِلْجَيْشِ - حقًّا - مِنْ أصابِعِ كَفِّهِ ... تَدَفَّقَ مَاءٌ فِي الإناءِ غَرِيضُ

٣١ - وَخَدَّتْ إليهِ الأرضُ وهْوَ بِمَكَّةٍ ... مِنَ الدَّوْحِ قَنْواءُ الفُروعِ رَيُوضُ

٣٢ - ورَوَّى الصَدَى مِنْ دَرِّ عَجْفاءَ حائلٍ ... تَمَكَّنَ مِنها الهُزْلُ فَهْيَ رَفِيضُ

٣٣ - وأبْقَىٰ لِذاتِ الشَّاةِ مِلْءَ إنائِها ... وذَلِكَ لِلرَّهْطِ الظِّماءِ يُرِيضُ

٣٤ - وذَلَّتْ لَهُ الآسادُ حَتَّىٰ لَقَدْ جَثَا ... أُوَيْسُ عَلَىٰ بَابِ البَقِيعِ رَبُوضُ

= مأمون العثار: لا تزل أقدامه فيسقط راكبه. مَرُوض: مدرب على القتال وغيره.

(٢٥) أسمر عسال: صفة للرمح. أبيض قاضب: سيف لامع قاطع. صقيل: مصقول. ركوض: مبالغة من الركض، أى تجرى سهامها نحو صدور الأعداء.

(٢٦) عراص: ساحات. المعركات: مواضع الحرب، جمع معركة. صريع: قتيل. رحيض: هالك.

(٢٧) ذوى: ضعف، كما تذوى أوراق النبات وتسقط. نوّر الروض: أزهر. غضيض: غضّ ناعم.

(٢٨) عضوض: شاقّ شديد الجدب، كأن له أنيابا يعضّ بها.

(٢٩) يغيض: ينفد ماؤه.

(٣٠) ماء غريض: عذب سائغ. وسبق ذكر المعجزتين المشار إليهما فى هذا البيت وسابقه.

(٣١) خدت: شقت. الدوح: الشجر العظيم. قنواء الفروع: مائلة الأغصان من ثقلها وضخامتها. ريوض: مطيعة لأمره ﷺ، يشير إلى معجزة للنبى ﷺ رواها عنها كثير من الصحابة - رضى الله عنهم - وهى معجزة الشجرة التى ناداها فأقبلت تَخُدُّ الأرض حتى انتهت إليه، ثم أمرها فرجعت إلى موضعها [انظر: مسند أحمد ٣/٢٩٣، حديث رقم ١٩٥٤، دلائل النبوة للبيهقى، باب مشى العذق الذى دعاه محمد ﷺ ٦/١٣، المستدرك للحاكم ٢/٦٢٠، وغيرها من كتب الحديث].

(٣٢) الصدى: العطش. الدرّ هنا بمعنى اللبن. عجفاء: شاة هزيلة. حائل: حامل، تقال للناقة والشاة. الهُزْل: الضعف. رفيض: قليلة اللبن. وسبق ذكر هذه المعجزة.

(٣٣) الرهط: الجماعة، نحو العشرة. يُريض: يكفى ويذهب الظمأ.

(٣٤) الآساد: جمع أسد. أويس: اسم من أسماء الذئب. ربوض: رابض جالس أمام النبى ﷺ. وسبق ذكر حديث الذئب الذى جاء إلى النبى ﷺ فأقعى (أى جلس) بين يديه وجعل يحرك ذيله فى وداعة واطمئنان [والحديث فى دلائل البيهقى ٦/٣٩، ٤٠].

٣٥ - فيَا خَيْرَ هَادٍ طَهَّرَ الأرْضَ بالهُدىٰ ... مِنَ الرِّجْسِ والأوْثانِ فَهِيَ رَحِيضُ

٣٦ - ويَا كاسِرَ العَدْوَىٰ وجابِرَ مَنْ سَطَتْ ... بِهِ غِيَرُ الأزْمَانِ فَهْوَ مَهِيضُ

٣٧ - تَجمَّعَ فيكَ الفَضْلُ والفَخْرُ كُلُّهُ ... فلمْ يَغْلُ فِي وَصفٍ لَدَيْكَ قَرِيضُ

٣٨ - صِفاتُكَ عِقدٌ فِي القَوافِي مُفَصَّلٌ ... تَحَلَّىٰ بِهِ ضَرْبٌ وزِينَ عَرُوضُ

٣٩ - مَدِيحُكَ ذُخْرٌ فِي حَيَاتِي وعُدَّةٌ ... إذَا حَالَ بِي دونَ القَرِيضِ جَرِيضُ

٤٠ - عَلَوْتُ بِهِ فِي رأسِ أرْعَنَ شَامِخٍ ... فَلا يَطَّبِينِي بَعدَ ذَاكَ حَضِيضُ

٤١ - فكُنْ لِي مُجِيراً مِنْ خُطوبٍ لِذِي الحِجىٰ الـ ... ـكَرِيمِ إلىٰ الغِرِّ اللَّئِيمِ يَؤُوضُ

*****

---

(٣٥) رحيض: هالكة، والضمير عائد على الرجس والأوثان.

(٣٦) سطت به: اشتدت عليه. غِيَرُ الزمان: تقلباته وشدائده. مهيض: عاجز كسير.

(٣٧) قريض: شعر.

(٣٨) الضرب: مصطلح من مصطلحات العروض، وهو التفعيلة الأخيرة من البيت. زين: مبنى للمجهول، من (زانَ)، أى جُمِّل. والعروض: التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول.

(٣٩) حال: منع. القريض: الشعر. الجريض: الغصَّة التى تصيب الإنسان عند الموت. وقولهم: «حال الجريض دون القريض» مثل لكلِّ ما يعجز عنه الإنسان. وأراد به الشاعر: لحظة الموت حيث لا شعر ولا شيء يستطيعه الإنسان.

(٤٠) أرعن: قمة الجبل. شامخ: مرتفع. يطبيني: يستهويني. الحضيض: أسفل الجبل. يريد الارتفاع المعنوى الذى ناله بمدح النبى ﷺ.

(٤١) مجيرا: منقذا. خطوب: محن وشدائد. الحجىٰ: العقل. الغر: الجاهل. يؤوض: يرجع. يقول: كن لى مجيراً من شدائد تحيل العاقل الكريم إلى جاهل لئيم!

الضادية الثانية

(عدتها ٢٥ـ الكامل الأول)

تنتمى هذه القصيدة إلى الشعر الصوفى بامتياز، وتشيع فيها مصطلحات الصوفية مثل : البسط والقبض، الرجاء واليأس، شمس الحقيقة، الشوق والقرب والوجد . . . إلخ.

تبدأ القصيدة بالحنين والأشواق إلى الديار المباركة وساكنيها، وذكرياته فيها، ثم يدلف إلى مدح النبى ﷺ وذكر معجزاته وجهاده، ويختم القصيدة مستجيراً بالنبى ﷺ أن يسأل الله له السلامة فى زمن يحس شاعرنا أن الإسلام فيه صار غريباً، وأن يبسط عليه من جاهه ما يستظل به يوم القيامة.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين إلى الربوع المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- استغاثة بجاه النبى ﷺ لإنقاذ الأمة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - حَتَّىٰ مَتَى لا يَنْشُقُ المُتَعَرِّضُ ... نَفَسًا بِهِ نَحْوَ المَعالِي يَنْهَضُ

٢ - أوْ يَجْتَلِي شَمْسَ الحَقِيقَةِ بَاحِثٌ ... حَيْرانُ تَبْسُطُهُ الصِّفَاتُ وتَقْبِضُ

٣ - مُتَقَلِّبٌ لا يَسْتَقِرُّ إذَا بَنَىٰ ... عَزْمًا تَجَدَّدَ فِيهِ آخَرُ يَنْقُضُ

٤ - طَوْرًا يُصَحِّحُهُ الرَّجَاءُ وتَارَةً ... تَغْشَاهُ دَائِرَةُ الإيَاسِ فيَمْرَضُ ٤١/ب

٥ - أنَّىٰ وحَوْضُ المَاءِ عَذْبٌ مُتْرَعٌ ... لا يَلْتَقِي عَذْبًا بِهِ يَتَبَرَّضُ؟!

٦ - مَا ذاكَ إلاَّ عَائِقٌ مِنْ خُطَّةٍ ... تُرْخِيهِ عَنْ دَرْكِ العَلاءِ وتَخْفِضُ

٧ - وإذَا العِنايةُ فَارَقَتْ مَغْنَىٰ فَتًى ... أمْسَىٰ جَدِيبًا والرَّبِيعُ مَرَوِّضُ

٨ - ضَنَّتْ غَمَائِمُهُ فَلا فِيهَا حَيًا ... يَرْوِي ولا بَرْقٌ عَلَيْهَا يُومِضُ

٩ - وإذَا هِيَ احْتَلَّتْ بِسَاحَةِ عَاجِزٍ ... أضْحَىٰ بِمَيدانِ العَزائِمِ يَرْكُضُ

١٠ - للهِ عَبْدٌ مِنْ سِوَىٰ مَحْبُوبِهِ ... حُرٌّ بِشَيْءٍ عَنْهُ لا يَتَعَوَّضُ

---

(١) ينشق: يشمّ.

(٢) يجتلي: يرى. والمراد بالصفات: الصفات الإلهية التى تفعل فعلها فى الإنسان. والقبض والبسط من مصطلحات الصوفية، فالقبض: الخوف من وعيد الله عز وجلّ، والخوف من زوال نعمة أو ضياع محبوب، والبسط: الرجاء من الله عز وجل. [انظر: معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوى، ص ٢٣٢].

(٣) ينقض: يهدم.

(٤) يصححه: يجعله صحيحًا، من الصحة ضد المرض. الإياس: اليأس. يصف فى هذا البيت وسابقَيْه حال التقلب والحيرة: بين البناء والهدم، البسط والقبض، الرجاء واليأس.

(٥) أنَّى: كيف. مترع: ملآن. وجملة «وحوض الماء عذب مترع» معترضة بين اسم الاستفهام والمستفهم عنه فى عجز البيت. يتبرَّض: يشرب القليل من الماء. يقول: كيف لا يجد الظامئ ماء يطفئ بعض ظمئه، والماء أمام عينيه ؟

(٦) ترخيه: تبعده. درك العلاء: إدراك المعالى. وهو تفسير للبيت السابق.

(٧) العناية: يريد بها العناية الإلهية. جديبا: مقفرا. مروّض: خصب ينبت الرياض. والواو فى قوله (والربيع) واو الحال، يريد أن العناية إذا فارقت الإنسان أصبحت حياته مقفرة، فيصيبه الجدب فى وقت الربيع.

(٨) ضنَّت: بخلت. غمائم: جمع غمامة. حيًا: مطر. يومض: يلمع.

(٩) احتلَّت: نزلت، والضمير فيه للعناية فى البيت السابق. يركض: يجرى، يقول: إن العناية إذا أدركت عاجزًا أضحى قوى العزيمة وتخلّص من عجزه.

(١٠) لله عَبْدٌ: أسلوب ترحم. حرٌّ: يقاسى حرارة الحب. وقوله (بشىء) متعلق بالفعل (يتعوض)، أى: لا يتعوض عنه بشىء.

١١ - مَـا زالَ يَتَّـبِعُ الرَّسـولَ ويَقْـتَـفِي ... آثارَهُ فِـيـمَـا يُحِبُّ ويَبْـغَضُ

١٢ - حَـتَّىٰ أَتَتْـهُ من الوَلايةِ خِلْعَـةٌ ... فِـيـهـا لَهُ الشَّـرَفُ الطَّويلُ الأعْـرَضُ

١٣ - ومنْ اقْـتَـدَى بالهَـاشِـمِيِّ مُـحَـمَّـدٌ ... فَـهُـوَ الوَلِيُّ وفَـضْـلُهُ لا يُرْفَضُ

١٤ - نِعْمَ الرَّسـولُ بِهِ عَـرَفْنَا خَـيْـرَ مَـا ... نَـأتِي ومَـا بِالنَّهْيِ عَنْهُ نُعْـرِضُ

١٥ - رَؤُفٌ رَحِـيـمٌ واثِقٌ مُـتَـوَكِّلٌ ... هادٍ إلىٰ المَلِكِ العَـزِيزِ مُـفَـوَّضُ

١٦ - مَـغْناهُ أَخْـضَـرُ للعُـفـاةِ، وعِـرْضُـه ... بِمَكارِمِ الأخْـلاقِ عِـرْضٌ أَبْيَضُ

١٧ - مَـا زالَ يَرْعَى المُـؤمنينَ بنورِهِ ... وعَلىٰ قِـتـالِ الكافِـرينَ يُحَـرِّضُ

١٨ - حَـتَّىٰ اسـتَـقَـرَّ الدِّينُ فِي أَكْنَافِـه ... ورَسَـا ووَلَّى الكُفْـرُ فَـهْـوَ مُـقَـوَّضُ

١٩ - يَا مَنْ بِشِرْعَتِـهِ اسْتَـقَامَ لَنا الهُـدىٰ ... وبِسَـيْـفِ سُنَّتِـهِ الضَّـلالَةُ تُدْحَضُ

٢٠ - يَا مَنْ مَـحَـبَّـتُـهُ وصِـدْقُ ولائِه ... حَقٌّ عَلَيْنا فِي السَّـرائِرِ يُفْـرَضُ

٢١ - لقَـدْ اكْـتَـسَىٰ خِلَعَ السَّكِينَةِ والتُّقَىٰ ... قَلْبٌ بِخَـالِصِ وُدِّهِ لَكَ يَمْـحَضُ

٢٢ - سَلْ لِي السَّـلامَـةَ مِنْ أَذَىٰ زَمَنٍ بِهِ الْـ ... إِسـلامُ مُـغْـتَـرِبٌ عُـرَاهُ تُنْقَضُ

٢٣ - تَسْطُو ثَعـالِبُـهُ عَلىٰ آسَـادِه ... وأُسُـودُهُ فِـيـهِ كَـوَامِنُ رُبَّضُ

٢٤ - فَـابْسُطْ عَلَيَّ إِذَا البَـسِـيطَةُ زُلْزِلَتْ ... وغَـدَتْ بِمَـا فِـيـهـا إِذَا تَتَـمَـخَّضُ

٢٥ - مِنْ فَـضْلِ جَـاهِكَ مَـا أَفُـوزُ بِهِ إِذَا ... أَضْحَتْ إِلىٰ الحَشْرِ البَرِيَّةُ تُوفِضُ ٤٢/أ

*****

(١١) يقتفي آثاره: يتبع سنته.

(١٢) الولاية: الموالاة لله عز وجلّ حتى يصير وليًّا من أولياء الله. خلعة: أصلها كل ثوب تخلعه، ويراد بها هنا: المنحة الإلهية.

(١٥) رؤف: رءوف. ولم أجد هذه الصيغة التي استعملها الصرصري في كثير من قصائده في مصادر اللغة ومعاجمها.

(١٦) العفاة: الفقراء. (١٨) رسا: ثبت. مقوَّض: منهدم.

(١٩) تدحض: تُبْطِل.

(٢١) خلع السكينة: تنزُّل الطمأنينة على القلب. يمحض: يخلص الود.

(٢٢) عراه: جمع عروة، وهي كل ما يثبت شيئًا ويدعمه. تنقض: تُهدَم.

(٢٣) تسطو: تهجم. كوامن: كامنة لا تتحرك، ومثلها رُبَّض، جمع رابض.

(٢٤) ابسط عليَّ: حذف المفعول للعلم به، أي ابسط على شفاعتك. تتمخض: تتزلزل وتخرج ما فيها.

(٢٥) البرية: البشر. توفض: تخرج من قبورها للحشر يوم القيامة.

قافية الطاء المهملة

(عدتها ٥٥ ـ الكامل الأول)

تضم هذه القافية قصيدة واحدة، فى المجموع الذى بين أيدينا [١]، وتُعدُّ قصيدة طويلة فى قافية صعبة نادرة كهذه، مما جعل كلمات القافية تنتزع من معجم الألفاظ الحوشية.

تعبر القصيدة عن شوق جارف إلى محبوبه النبى الكريم ﷺ، وثناء عاطر على شخصه الكريم وخصائصه الشريفة، وثناء على أمته، ودعوة إلى الاستمساك بسنته، ثم يختم القصيدة ـ كعادته ـ مستجيراً به ﷺ ومستشفعاً به إلى الله ـ عز وجلَّ ـ من كرب يوم القيامة.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين .
- فى مديح النبى ﷺ .
- فى الثناء على الأمة المحمدية .
- استغاثة بجاه النبى ﷺ لإنقاذ الأمة .

---

(١) وله فى (ب) طائية أخرى مطلعها:

مَـــا لِى أراكَ إلى اللـذَّاتِ مُنبـــسطَا ... والشَّـيْبُ أصبَحَ فى فَـوْدَيْكَ قـد وَخَطا

وقال يمدحه ﷺ :

١ - إنْ بانَ مَنْ تَهْوَىٰ فَأنْتَ مُشَبَّطُ ... وصَبَرْتَ لا تَبْكِي فأنْتَ مُفَرَّطُ

٢ - فاحْلُلْ عُقودَ الدَّمْعَ فِي دارِ الهَوَىٰ ... فَلَهَا البُكاءُ عَلَيْكَ حَقٌّ يُشْرَطُ

٣ - طَلَّ الدُّموعِ عَلَىٰ ثَرَىٰ الأطْلالِ فِي ... شَرْعِ الغَرامِ فَريضَةٌ لا تَسْقُطُ

٤ - دارٌ عَلِقْتَ بِها وفَوْدُكَ فاحِمٌ ... أفَتَنْثَنِي عَنْها ورأسُكَ أشْمَطُ؟

٥ - وإذَا تَمَكَّنَتِ الصَّبابَةُ مِنْ فَتًى ... لَمْ يَلوِ عِطْفَيْهِ مَزارٌ يَشْحَطُ

٦ - كَيْفَ التَّسَلِّي عَنْ هَوَىٰ قَمَرٍ لَهُ ... فِي القَلْبِ مِنِّي مَنْزِلٌ مُتَوَسِّطُ

٧ - أرْضَىٰ بِمَا يَخْتارُهُ طَوْعًا ولَوْ ... أضْحَىٰ بِمَا أرْضَىٰ بِهِ يَتَسَخَّطُ

٨ - لَمْ أنْسَهُ يَوْمَ التَقَيْنا بَاسِمًا ... والصَّدرُ بالأشْجانِ مِنِّي يَنحطُ

٩ - فَفَهِمْتُ مِنْ ذُلِّي لَدَيْهِ وعِزِّهِ ... أنَّ الجَمَالَ عَلَىٰ القُلوبِ مُسَلَّطُ

١٠ - والحُسْنُ جُندٌ لا يُفَكُّ أسِيرُهُ ... وقَتِيلُهُ بِدَمِ الجَوَىٰ مُتَشَحِّطُ

١١ - ومُبَكِّرٍ جَدَّتْ بِهِ عَزَماتُهُ ... نَحْوَ العُلا فَأغَذَّ لا يَتَثَبَّطُ

١٢ - يُمْسِي ويُصْبِحُ فِي الفَلا وأنِيسُهُ ... فَتْخاءُ كاسِرَةٌ وذِئْبٌ أمْعَطُ

١٣ - ورَفِيقُهُ الأدْنَى المؤازِرُ صَعْدَةٌ ... مَكْرومَةٌ أو صارِمٌ مُتَأبَّطُ

---

(١) بان: فارق. مشبَّط: محبط الهمة. مفرِّط: مقصّر.

(٣) طل الدموع: سكبها.

(٤) علقت بها: أحببتها. الفود: جانب الرأس. فاحم: شديد السواد. ويقصد زمن الشباب. تنثني: تبتعد وترجع عن حبها. أشمط: أشيب.

(٥) يشحط: يبعد.

(٦) التسلّي: النسيان. متوسّط: عميق فى القلب.

(٨) ينحط: يزفر بشدة ومعاناة وتوجع.

(١٠) الجوى: لوعة الحب وآلامه. متشحط: غارق فى دمه.

(١١) ومبكر: فى (أ): ومكبر، وهو سهو من الناسخ. جدّت: من الجدّ وهو الاجتهاد. أغذّ: سار سيرا طويلا بهمة ونشاط. لا يتثبط: لا تفتر همته ولا تضعف.

(١٢) فتخاء: صفة لموصوف محذوف، أى ناقة فتخاء، وهى التى ارتفعت أخلافها نحو بطنها، وهى صفة مستحبة فى الإبل. ذئب أمعط: تساقط عنه شعره. يقول: إن هذا المسافر يقطع صحارى لا أنيس بها إلا ناقته وذئاب الصحراء.

(١٣) المؤازر: المعين. صعدة: رمح. صارم: سيف قاطع. متأبط: محمول تحت الإبط.

١٤ - يَطْوِى به شُعَبَ السَّباسِبِ جَلْعَدٌ ... جُدُّ القَرَا عَبْلُ السَّنَامِ عَمَلَّطُ

١٥ - مَرِحٌ يَمورُ ويَرْتَمِى فِى سَيْرِه ... مَوْرَ السَّحابِ بِرَعْدِه يَتَخَمَّطُ

١٦ - يَطْفُو به آلُ الضُّحَىٰ فَكأنَّهُ ... فَلَكٌ علىٰ مَتْنِ الخِضَمِّ مُجَلْفَطُ

١٧ - وإذَا المَسافَةُ أعْقَبَتْ بَعضَ الوَجىٰ ... أجْرَىٰ لَهُ ذِكْرَ العَقِيقِ فَيَنْشَطُ

١٨ - وإذَا بَدَا عِنْدَ الصَّباحِ لِعَيْنِه ... قَصْرٌ بِذَاتِ النَّخْلِ أبْيَضُ أغْبَطُ

١٩ - ورَأَىٰ القِبابَ البِيضَ - دامَ سَناؤهَا - ... فَانْحَلَّ عَنْهُ سَيرُه المُخْرَوَّطُ

٢٠ - أرْسَىٰ بِطَيْبَةَ للإقامَةِ كَلْكَلاً ... فَلَنِعْمَ مُرْسَاهُ ونِعْمَ المَهْبِطُ ٤٢/ب

٢١ - حَلَّتْ مَطِيَّتُهُ بأشْرَفِ مَنْزِلٍ ... مِنْهُ المَكارِمُ والتُّقَىٰ يُسْتَنْبَطُ

٢٢ - فَضَلَ البِقاعَ وسَادَها بِمُحَمَّدٍ ... فَضْلاً كَبِيراً نامِيًا لا يُغْبَطُ

٢٣ - هوَ أفْضَلُ الرُّسْلِ الكِرامِ وإنَّهُ ... لَخَطِيبُهُمْ وهُوَ الإمَامُ المُقْسِطُ

٢٤ - هوَ خَيرُ مَأمُولٍ وأكْرَمُ شافِعٍ ... يومَ القِيامَةِ جارُهُ لا يُهْمَطُ

٢٥ - نَضَبَتْ عُيونُ الشِّرْكِ والطَّغْوَىٰ به ... وغَدَا به بَحْرُ الهُدَىٰ يَتَغَمْطَطُ

٢٦ - وَافَىٰ وحِزْبُ الغَىِّ أكْبَرُ فَاتِحٍ ... بَابَ الضَّلالِ لِمَنْ بِهِ يَتَخَبَّطُ

---

(١٤) الشعب: الطرق فى الجبال. السباسب: الصحارى. جلعد: جمل قوى شديد. جُدُّ: صلب. القرا: الظهر. عبل: ضخم سمين. عملّط: شديد قوى على السفر.

(١٥) مرح: نشيط. يمور: يهتز. يتخمط: يهدر ويتلاطم.

(١٦) آل: سراب. الخضم: البحر الكبير. مجلفط: ممسوح بالقار، شبه هذا الجمل بالسفينة التى مسح أسفلها بالقار.

(١٧) أعقبت: تركت. الوجى: داء يصيب أخفاف الإبل.

(١٨) أغبط: خصب يغطيه النبات.

(١٩) سناؤها: رفعتها وعلو قدرها. المُخْرَوَّطُ: السريع.

(٢٠) الكلكل: صدر الجمل.

(٢١) يستنبط: يؤخذ.

(٢٢) فَضَلَ البقاع: زاد عليها فى الفضل. ناميًا: زائداً. لا يغبط: لعله أراد: لا يحسد، أى لا يصيبه ضرر الحسد.

(٢٣) المقسط: العادل.

(٢٤) لا يهمط: لا يظلم.

(٢٥) نضبت: نفد ماؤها. الطغوى: الطغيان والفساد. غدا: أصبح. يتغمطط: تعلو أمواجه.

(٢٦) وافى: جاء. الغَىّ: الفساد.

٢٧ - يُلْقِى زَخارِفَهُ عَلىٰ أشْيَاعِهِ ... ويُلَفِّقُ القَوْلَ الهُرَاءَ ويَلْغَطُ

٢٨ - فَمَحَا بِنُورِ الرُّشْدِ ظُلْمَةَ مَكْرِهِ الْـ ... ـوَاهِى فَأدْبَرَ خَاسِئًا يَتَلَبَّطُ

٢٩ - كَمْ قَدَّ بالبَتَّارِ مِنْ قَدٍّ وكَمْ ... شَحَطَتْ بِسَهْمٍ نَحْوَ طَاغٍ شَوْحَطُ

٣٠ - فَسَمَا بِهِ الإقْبالُ بَعْدَ خُمُودِهِ ... حَتَّىٰ تَسَنَّمَ ذُرْوَةً لا يَهْبِطُ

٣١ - وحَبَاهُ مُرْسِلُهُ بِأزْكَىٰ أُمَّةٍ ... أخْيَارُها النَّمَطُ الأعَزُّ الأوْسَطُ

٣٢ - مَا فِيهِمُ إلاَّ وَلِىٌّ واثِقٌ ... أوْ زاهِدٌ أو عَالِمٌ مُسْتَنْبِطُ

٣٣ - وغَدًا يكُونُ بِحَوْضِهِ فَرَطًا لَهُمْ ... وشَفِيعَ عَاصٍ يَعْتَدِى ويُفَرِّطُ

٣٤ - حَبِطَتْ أُجُورُ سِوَاهُمُ إذْ كَذَّبُوا ... وأُجُورُهُمْ مَوْفُورَةٌ لا تُحْبَطُ

٣٥ - وهُمُ غَدًا ثُلُثَا صُفُوفِ الجَنَّةِ الْـ ... ـفَيْحَاءِ فِى سَنَدٍ صَحِيحٍ يَضْبِطُ

٣٦ - أزْكَىٰ الوَرَىٰ نَسَبًا وأشْرَفُ عُنْصُرًا ... وأَمَدُّ كَفًّا بالنَّوالِ وأبْسَطُ

٣٧ - وأتَمُّ حِلْمًا لا يُجَازِى مَنْ أتَىٰ ... بالسُّوءِ، عَدْلٌ مُقْسِطٌ لا يُفْرِطُ

---

(٢٧) الزخارف: ما زيَّن الشيطان للناس من الباطل. أشياعه: أتباعه وأعوانه. الهراء: السخف والباطل. يلغط: يتكلم بكلام لا جدوى منه ولا معنى له.

(٢٨) الواهى: الضعيف، قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء / ٧٦. خاسئًا: خائبًا ذليلاً. يتلبَّط: يتمرغ ويتقلب فى الأرض.

(٢٩) قدَّ (الأولى) فعل ماض بمعنى: قطع. والثانية اسم بمعنى: القامة. البتار: اسم سيف من سيوف النبى ﷺ غنمه من سلاح بنى قينقاع [انظر: نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ١٨ / ٢٩٧]. شحطت: انطلقت بعيدا. شوحط: أصله شجر جبلى تصنع منه القسى، وكان للنبى ﷺ أربع قسى: اثنتان من شجر النبع، والأخريان من الشوحط [السابق، نفس الموضع، والسيرة الحلبية ٣ / ٤٦٢]، ولعل الشاعر أراد بـ (شوحط) اسما علما لقوس من قسى النبى ﷺ.

(٣٠) الإقبال: الخصب والنماء. خموده: ضعفه وجدبه. تسنَّم: ارتفع فوق القمة.

(٣١) حباه: أعطاه. والشطر الثانى إشارة إلى الآية: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة / ١٤٣.

(٣٣) قال ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» [متفق عليه: الفتح، كتاب الرقاق، باب فى الحوض، حديث رقم ٦٥٧٥، ٦٥٧٦، ١١ / ٤٧١ : ٤٧٢] فرطكم: متقدمكم إليه [انظر الحديث وشرحه فى النهاية لابن الأثير ٣ / ٤٣٤]. يفرِّط: يقصر.

(٣٤) حبطت: بطلت.

(٣٦) النوال: العطاء. أبسط: أطول، ومد اليدين وبسطهما كناية عن الكرم والجود.

(٣٧) عَدْلٌ: عادل، من باب الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة، يقال: رجل عدل، أى بلغ النهاية فى عدله حتى صار هو والعدل سواء. لا يُفرِط: لا يُسْرِف. وقد جاء صدر البيت فى الأصل هكذا: «وأتم حلما لا يجازى متى من أتى»، وكلمة (متى) زائدة على المعنى والوزن أيضا.

٣٨ - ولَقَدْ تَعَمَّقَ فِى أَذَاهُ وكَادَهُ ... بالسِّحْرِ خَبٌّ مِنْ يَهُودَ عَشَنَّطُ

٣٩ - فأُعِيذَ مِنْ كَيْدِ النَّوافِثِ فانْثَنَىٰ ... فكأَنَّمَا هُوَ مِنْ عِقَالٍ مُنْشَطُ

٤٠ - هٰذَا، ولَمْ يَعْبَسْ لَهُ وَجْهًا ولَمْ ... يَسْمَعْ لَهُ يَومًا كَلامًا يُسْخِطُ

٤١ - وأُبُثُّ بَعضَ المُعْجِزاتِ فَنَظْمُها ... دُرٌّ ثَمِينٌ بالمَسَامِعِ يُلْقَطُ ٤٣/أ

٤٢ - شَرَحَ المَلائكُ صَدْرَهُ فى أَرْبَعٍ ... يا حَبَّذَا مَا ضَمَّ مِنْهُ المِخْيَطُ

٤٣ - وكَذاكَ فى عَشْرٍ، وفى مِعْراجِهِ ... نَقَلَ الثِّلاثَةَ حافِظٌ لا يَغْلَطُ

٤٤ - وانْشَقَّ إكْرامًا لَهُ قَمَرُ الدُّجَىٰ ... وجُموعُ مَكَّةَ بالبِطَاحِ تُعَطْعِطُ

٤٥ - ولَقَدْ شَكَا يَومَ الحُدَيْبِيَةِ الصَّدَىٰ ... جَيْشٌ قَنَاةُ صَرِيخِهِمْ لا تُوهَطُ

---

(٣٨) كاده: من الكيد، وهو الحيلة المدبرة. خَبٌّ: مخادع خبيث. عشنط: طويل، ولعله جاء بهذا الوصف لحاجته إلى كلمة تنتهى بالطاء لتتم قافية البيت، إذ ما ضرورة وصف هذا اليهودى الذى آذى النبى ﷺ وسحره بالطويل ؟! وقصة سحر النبى ﷺ جاءت فى كتب السنة الصحاح، وذلك أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر النبى ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولم يفعله. وقد جىء بلبيد إلى النبى ﷺ واعترف بفعلته فعفا عنه النبى ﷺ. وفى إحدى روايات هذا الحديث - وهى عن زيد بن أرقم - أن النبى ﷺ لم يذكر لذلك اليهودى شيئا مما صنع به ولا رأى فى وجهه عبوسا.
[انظر: فتح البارى ١٠ / ٢٣٢ ، ٢٤٢].

(٣٩) النوافث: الساحرات. انثنى: رجع. وقوله: فكأنما هو من عقال مُنشط، أى: برأ من السحر، وهو مثل يقال للمريض إذا شفى، وللمغشى عليه إذا أفاق. والمعنى: كأنه كان مقيداً بحبل ثم أطلق من هذا العقال.

(٤٠) نصب (وجهًا) على التمييز، أى: لم يعبس وجه النبى ﷺ لهذا اليهودى الذى سحره. ونصب (كلاما) على المفعولية.

(٤١) دُرٌّ: لؤلؤ.

(٤٢) المِخْيط: أداة الخياطة، ويعنى بقوله: ما ضم منه المخيط: صدره ﷺ، فقد شق الملكان صدره ثم استخرجا حظ الشيطان من قلبه، ثم أعاداه كما كان.

(٤٣) وكذاك فى عشر: أى شق صدره ﷺ مرة ثانية فى سن عشر، وكذا فى معراجه ﷺ، وأشار بقوله: نقل الثلاثة .... إلى أن أخبار شرح صدر النبى ﷺ المذكورة (فى عمر أربع، ثم فى عشر، ثم فى معراجه ﷺ) أخبار صحيحة لا يرقى إليها الشك، فهى من نقل حافظ متقن لا يغلط.

(٤٤) تعطعط: تتصايح وترتفع أصواتها بالكلام. يقول: إن آية انشقاق القمر كانت معجزة رأتها جموع الناس بالبطاح. وكلمة (له) فى صدر البيت زيادة على الأصل، ليستقيم الوزن، وقد سقطت من الناسخ سهوا.

(٤٥) الصدى: العطش. صريخهم: منقذهم. قناة: رمح. لا توهط: لا يصيبها الضعف. يقول: =

٤٦ - فسَقَاهُمُ حَتَّىٰ رَوَوا وتَطَهَّرُوا ... والماءُ مِنْ بَيْنِ الأصابِعِ يُنْبَطُ

٤٧ - وأَتَاهُ وَفْدُ فَزَارَةٍ وبِلادُهُمْ ... بالجَدْبِ أضْحَتْ تَقْشَعِرُّ وتَقْحَطُ

٤٨ - فنَفَىٰ قُنُوطَهُمُ بِدَعْوَتِهِ، ومَنْ ... كَانَ الرَّسُولُ سَفِيرَهُ لا يَقْنَطُ

٤٩ - ودَعَا فسَحَّتْ دِيمَةٌ، حَتَّىٰ دَعَا ... بِالصَّحْوِ فانْجابَتْ كَثُوبٍ يُكْشَطُ

٥٠ - ولَهُ الشَّفَاعَةُ فِي المَعادِ وحَوْضُهُ الْـ ... ـعَذْبُ الرَّوِيُّ ولَهُ اللِّواءُ الأَحْوَطُ

٥١ - ولَهُ المَقَامُ الأَكْبَرُ المَحْمُودُ والـ ... ـزُّلْفَىٰ بِهِ يَومَ القِيامَةِ نُغْبَطُ

٥٢ - هٰذا - لَعَمْرُ إِلٰهِكَ - الفَضْلُ الَّذِي ... لا رَيْبَ فِيهِ، والثَّناءُ الأَقْسَطُ

٥٣ - يَا صَفْوَةَ الرَّحْمٰنِ مِنْ كُلِّ الوَرَىٰ ... يا مَنْ بِهِ فِي الخَطْبِ جَاشِي يُرْبَطُ

٥٤ - إِنِّي إِلَىٰ رَبِّ العُلاَ مُتَوَجِّهٌ ... بِكَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَتَمَغَّطُ

= ولقد شكا جيش المسلمين الظمأ يوم الحديبية، وهم تحت إمرة المنقذ المخلِّص الذى لا تلين قناته، أى لا يصيبه الضعف أو الانكسار لدى الشدائد.

(٤٦) هذا البيت تفسير لما قبله، أى: فسقاهم النبى ﷺ حتى إرتووا وتطهروا من الماء الذى نبع من بين أصابعه. وقد سبق ذكر هذه المعجزة للنبى ﷺ مرارا.

(٤٧) فزارة: قبيلة عربية. تقشعر: ترتعش من شدة الجدب. تقحط: يجف ماؤها.

(٤٨) نفي: طرد وأبعد. قنوطهم: يأسهم.

(٤٩) سحت: أمطرت مطرا غزيرا. ديمة: سحابة. انجابت: انكشفت. يكشط: ينزع. يشير إلى أن النبى ﷺ لما رجع من غزوة تبوك أتاه وفد بنى فزارة مقرِّين بالإسلام، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فأخبروه أنه قد أصابها جدب شديد، وطلبوا منه أن يدعو الله لهم. ففعل النبى ﷺ فسقط المطر غزيرا، حتى رجع القوم إليه يطلبون منه أن يدعو الله حتى يكف عنهم المطر، فقال ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا» فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب. أى كما ينزع الثوب.

[الحديث فى دلائل البيهقى ٦ / ١٤٤ ، ونحوه فى صحيحى البخارى ومسلم، انظر: الفتح، كتاب الاستسقاء، ٢ / ٥٨١ ، حديث رقم ١٠١٣ ، ومسلم بشرح النووى، كتاب صلاة الاستسقاء ٦ / ١٩١ : ١٩٥].

(٥٠) اللواء: الراية التى يحملها النبى ﷺ يوم القيامة ويجتمع تحتها المؤمنون به ﷺ. الأحوط: صيغة تفضيل، أى المحيط الشامل.

(٥١) الزُّلْفى: القرب من الله عز وجل. تغبط: يتمنى الناس أن لهم مثل ما للمؤمنين به ﷺ من القرب والمنزلة عند الله عز وجل.

(٥٢) الأقسط: الوافر الكثير.

(٥٣) جأشى: قوتى. وأراد بقوله «جاشى يربط»: يزداد ثباتى فى المحنة.

(٥٤) مُلِمَّة: مصيبة. تتمغط: تزداد وتطول.

٥٥ ـ فاسْألْ لأُمَّتِكَ الضَّعِيفَةَ نُصْرَةً وَرَخَاءَ عَيْشٍ ثُمَّ أَمْنًا يُبْسَطُ

*****

---

(٥٥) يتوجه الشاعر في ختام قصيدته إلى النبي الكريم ﷺ أن يسأل الله لأمته الضعيفة: النصرة، والرخاء، والأمن. ونحن نتوجه إلى الله بهذا الدعاء، ونسأله ـ بجاه نبينا العظيم ﷺ ـ أن يمد أمتنا الضعيفة بالقوة والرخاء، وأن يبسط عليها الأمن.

قافية الظاء المعجمة

(عدتها ٢٧ ـ الخفيف الأول)

تضم هذه القافية قصيدة واحدة [١]، احتشدت فى قوافيها الألفاظ الغريبة النادرة. والتى يبدو فيها أن الصرصرى قد أتى بها من ذاكرته المعجمية وليس من الواقع اللغوى.

والشاعر يدخل فى موضوعه الأساسى ـ وهو مديح النبى ﷺ ـ من أول بيت، سارداً بعض خصائصه ومعجزاته، ثم يخاطبه مستشفعاً به من هول يوم الظمأ الأكبر، ومستجيراً به :

مِنْ زَمانٍ فيه القَبُولُ لذى الجَهْـ ـلِ ووقْتٍ لِذِى الحِجَىٰ لَغَّاظِ

فيهِ للغَمْرِ نِعْمَةٌ وثراءٌ وأَخُو العِلْمِ عاجِزٌ عَنْ لُمَاظِ

وكأنه يتحدث عنَّا وعن زماننا هذا، وما فيه من سيادة أهل الجهل والأغمار من الناس، وبؤس أهل العلم حتى لا يجد أحدهم ما يقتات به.

تتضمن القصيدة فكرتين :

- فى مديح النبى ﷺ.
- مناجاة واستجارة بجاه النبى ﷺ.

---

(١) وفى (ب) ظائية أخرى، مطلعها:

عَلِقْتُ بحَبْلٍ أزكىٰ الناسِ أصلا وأوفَرِهِمْ من الرحمنِ حَظَّا

وقال يمدحه ﷺ :

١ - عُـدَّتِى للنَّجـاةِ والفَـوزِ فى الحَـشْـ ـرِ ونـارٍ سَـوْداءَ ذاتِ شُـوَاظِ

٢ - أَحْـمَـدُ الشَّـافِعُ الوَجِـيـهُ أَبُو القَـا سِمِ ذُو الحَظْ فـوقَ كُلِّ الأَحَـاظِ

٣ - مَنْ بِهِ بَشَّـرَ المُـتَـوَّجُ سَـيْفٌ وتَـلاه قُـسٌّ بِسُـوقِ عُـكَـاظِ

٤ - أَيْقَظَ النَّاسَ مِنْ سُـبـاتِ هَواهُمْ بِيَـدِ الرُّشْـدِ أَحْـسَنَ الإِيقَـاظِ

٥ - وأَتَاهُمْ بِمُـحْكَمِ الذِّكْـرِ مِنْهُ يَقْـبِسُ الوَعْظَ حـاذِقُ الوُعَّـاظِ

٦ - هُوَ مُـحْـيِى القُلوبِ مَـاحِى الخَطَايا قُـرَّةُ العَـيْنِ رَوْضَـةُ الحُـفَّـاظِ ٤٣/أ

٧ - دَخَـلَ الشِّـرْكُ فى قُلُوبِهِـمُ الغُـلْـ ـفِ دُخُـولَ النُّصُـولِ فى الأَرْعَـاظِ

٨ - فـأَرَاهُمْ لِيَـهْـتَـدُوا مُـعْـجِـزاتٍ كَـافِـيَـاتٍ لِلصُّـبَّـرِ الأَيْقَـاظِ

٩ - وهَـدَاهُـم إِلىٰ صِـرَاطٍ سَـوِىٍّ مُـورِثٍ لِـيـنَـهُ قُـلـوبَ الـفِـظَـاظِ

١٠ - فَـدَنَا مِنْهُ كُلُّ عَـبْـدٍ مُنِيبٍ ونَـأَىٰ كُـلُّ فـاجِـرٍ جَـوَّاظِ

١١ - لَـمْ يَـزَلْ يُـحْـسِنُ الـبَـلاغَ إِلىٰ أَنْ عَـبَـدُ اللهُ فى الـذُّرَا والشَّـنَاظِى

---

(١) عُدَّتى : ما أعددته، وهو مبتدأ، خبره فى البيت الثانى . شواظ : لهب .

(٢) الأحاظ : جمع حَظّ، وأصله أحظُظ، فقلبت الظاء الثانية ياء فصارت أحْظ، ثم جمعت على أحاظ .

(٣) سبق ذكر بشارة سيف بن ذى يزن بالنبى ﷺ . أما قس بن ساعدة فهو الخطيب الجاهلى المعروف، وقد ألقى خطبته المشهورة بسوق عكاظ، ومنها قوله : « أقسم قسٌّ قسماً بالله لا كذباً ولا إثماً : إن لله ديناً هو أرضَى له من دين نحن عليه » وقد سمع النبى ﷺ خطبته هذه بسوق عكاظ قبل النبوة، وقال فيه : « والذى بعثنى بالحق لقد آمن قس بالبعث »
[دلائل البيهقى ٢ / ١٠١ : ١٠٤] .

(٤) سبات : نوم وغفلة .

(٥) حاذق : ماهر متقن .

(٧) الغلف : الصِّمَّاء التى لا تهتدى . النصول : جمع نصل، وهو السهم العريض . الأرعاظ : جمع رُعظ، وهو مدخل النصل فى السهم، يقول إن الشرك قد تمكن من قلوبهم وتعمق فيها .

(٨) الصُّبَّر : جمع صبور .

(٩) الفظاظ : الغلاظ، جمع فظ . وفى الأصل : مورث لينه القلوب الفظاظ . وفيه خطأ نحوى لأن القافية مكسورة، والصواب بحذف (أل) من (القلوب) ليصير ما بعده مضافاً إليه مجروراً .

(١٠) منيب : تائب إلى ربه . نأى : ابتعد . جوّاظ : غليظ متكبر .

(١١) الذُّرا : جمع ذروة، وهى قمة الجبل . الشناظى : أعالى الجبال .

١٢ - وشُسُوعِ الفَلاةِ والتُّنُفِ والرِّيـ ـفِ، وبَثَّ الصَّفَاءَ بَعْدَ الكظَاظِ

١٣ - فسَمَا الخَيْرُ مُقْبِلاً وتولَّى الـ ـشَرُّ خَزْيانَ رامِقًا بلِحَاظِ

١٤ يا حَبِيبَ الرَّحْمٰنِ يا شامِخَ البُنْـ ـيَانِ فى المَجْدِ يا مَنِيعَ الحِفَاظِ

١٥ - يا جَمِيلَ الأخْلاقِ يا حَسَنَ الإعْـ ـراضِ والصَّفْحِ عنْ ذَوِى الأَحْقَاظِ

١٦ - يا كَرِيمَ الأخْلاقِ يا أَفْصَحَ النَّا سِ لسانًا بأعْذَبِ الألْفَاظِ

١٧ - يا رَءوفًا بالمؤْمنينَ رَحِيمًا ولأَهْلِ الفُجُورِ ذا إغْلاظِ

١٨ - يا شَفِيعَ الأنَامِ يا مُنْقِذَ العَا صِينَ مِنْ بَطْشَةِ الشِّدادِ الغِلاظِ

١٩ - يا مُغِيثَ العِطاشِ فى الظَّمَأ الأكْـ ـبَرِ والنَّاسُ فى صَدًى وكِظَاظِ

٢٠ - فى مَقامٍ فيه الجحيمُ اكْفَهَرَّتْ ثمَّ أَبْدَتْ تَنَفُّسَ المُغْتَاظِ

٢١ - يا نَبِىَّ الهُدَىٰ أَغِثْ مُسْتَجِيرًا بِكَ فى الخَطْبِ دائمَ الإلْظَاظِ

٢٢ - مِنْ زَمانٍ فيه القَبُولُ لذِى الجَهْـ ـلِ ووقْتٍ لِذِى الحِجَىٰ لَغَّاظِ

٢٣ - فيه للغَمْرِ نِعْمَةٌ وثراءٌ وأَخُو العِلْمِ عاجِزٌ عَنْ لَمَاظِ

---

(١٢) شسوع الفلاة: أطراف الصحراء. التنف: غير واضحة فى الأصل، ولعلَّ ما أثبته هو الصواب، والتُّنُف: جمع نادر لكلمة (تَنُوفة) وهى الصحراء البعيدة المقفرة. والريف: الأرض الخصبة وما فيها من قرى ومدن عامرة. الكظاظ: الشدائد الملازمة المتتابعة. يقول: إن النبى ﷺ أحسن بلاغ رسالة ربه حتى ملأ الإيمان كل الأرض وصار الناس يعبدون الله عز وجل فى كل مكان منها، حتى فى الصحارى المهلكة والمفاوز البعيدة، فلقد بلَّغ دعوة الإسلام فى كل مكان.

(١٣) رامقا: ناظرا بمؤخر عينه. بلحاظ: جمع لحظ، وهو طرف العين.

(١٤) شامخ: مرتفع، وشامخ البنيان كناية عن رفعة قدره ﷺ. منيع: قوى. الحفاظ: المحافظة على العهد والإيمان.

(١٥) الصفح: العفو. الأحفاظ: الأحقاد، جمع حفيظة.

(١٨) الشداد الغلاظ: خزنة النار، قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ التحريم / ٦.

(١٩) مغيث: منقذ. صدى: ظمأ. كظاظ: ضيق وزحام.

(٢٠) اكفهرَّت: اسودَّ لونها. وأشار فى عجز البيت إلى قوله تعالى: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ الملك / ٧.

(٢١) الإلظاظ: الإلحاح فى الدعاء والتوسل إلى الله.

(٢٢) الحجى: العقل. لغاظ: لم أجده فى المعاجم، ولعله: (لفَّاظ) بالفاء، أى زمن يُقْبَل فيه ذو الجهل ويُلفَظ أخو العقل، أى يُطرد ويُبْعَد.

(٢٣) الغمر: الجاهل الذى لا رأى عنده ولا تجربة. لماظ: قليل من الطعام.

٢٤ - لا تَدَعْنِى أكـــيلَةً لِزَمـــانٍ ... سَـــابِلِ الخَطْبِ مُـــوجِعٍ بَهَّـــاظِ

٢٥ - واسْـــأَلِ اللهَ لُطْفَـــهُ بِىَ حَـــيًّـــا ... فَـــإِلَيْـــهِ صِـــيَـــانَتِى وحِـــفَـــاظِى

٢٦ - وإِذَا النَّفْسُ بالمَنِيَّـــةِ فَـــاظَتْ ... فى انْتِـــهَـــاءِ الحَـــيَـــاةِ أىَّ فَـــوَاظِ

٢٧ - لا عَـــدَاكَ السَّـــلامُ فى كُلِّ يومٍ ... مِنْ مُـــحِبٍّ مُـــواصِلٍ مِلْظاظِ ٤٤/أ

*****

---

(٢٤) أكيلة : تصغير أُكلة، كأنه قال : لا تجعلنى لقمة سائغة فى فم الزمان . سابل : كثير . الخطب : المصيبة . بهّاظ : شاق ثقيل .

(٢٥) الصيانة والحفاظ بمعنى، وعطف بينهما لحاجته إلى كلمة تنتهى بالظاء .

(٢٦) المنية : الموت . فاظت نفسه : مات . فواظ : مصدر فاظت نفسه .

(٢٧) لا عداك : لا جاوزك، وهو دعاء . ملظاظ : مُلِحّ مواصل المديح والسلام .

قافية العين المهملة (*)

(عدتها ٣٦ ـ الكامل الأول)

على الرغم من شيوع حرف العين فى قوافى الشعر العربى، فإن الصرصرى لم ينظم على هذه القافية ـ ضمن المجموعة التى بين أيدينا ـ سوى قصيدة واحدة، وإن كان الناسخ قد أشار أن له قصيدتين أخريين على هذا الروى لم يضمنهما هذا الديوان (١).

تبدأ القصيدة بوصف أشواق شاعرنا إلى الربوع المقدسة، وسرد ذكرياته فيها، وأشواقه إلى محبوبه ﷺ، ثم يذكر بعضاً من مناقبه الشريفة، وينتقل إلى البوح إليه بشكواه من فتنة التتر الذين حاصرت جيوشهم دار الخلافة، مستنجداً بعزته وأن يسأل ربَّه جبر أمته الكسيرة، فقد محقت طغاة الترك أطراف القرى حتى خربوا الديار، وأتوا على الأخضر واليابس.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين إلى الربوع المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فتنة التتر وحصار العالم الإسلامى.
- استغاثة بجاه النبى ﷺ لإنقاذ الأمة.

(*) جاء فى هامش المخطوط : اعلم أن للناظم قصيدة عينية بديعة تضمنت رؤياه النبى ﷺ وبشره أنه يموت على الكتاب والسنة، فلما أصبح نظمها، بين فيها معتقده، وضمَّنها مدحَ النبى ﷺ وأهل بيته والعشرة المبشرين، فكان اللائق إثباتها فى هذا الديوان، ومطلعها :

تواضع لربِّ العرش عَلَّكَ تُرْفَعُ ... فقد فاز عبدٌ للمُهَيْمِن يَخْضَعُ

وله أخرى على حرف العين، مجرد مدح وتوسل، فلا عُذر فى تركها، أولها :

إليك رسول الله عندى نوازِعُ ... من الشَّوق لكنْ دون قصدى موانِعُ

هذا وقد أثبت النبهانى العينيةَ الأخيرة منهما. [النبهانية ٢ / ٣١٤].

وفى (ب) مقطوعتان عينيتان، مطلع أولاهما :

سَقَى اللَّهُ أرضَ الحِمىٰ وابلا ... إذا حَلَّ فى جَوِّها أمْرَعا

ومطلع الثانية (وهى فى عَدد أسنان الإنسان !!) :

ثَنِيَّاتُ الفتىٰ ورَبَاعِيَاتٌ ... وأنيابُ الفتىٰ كُلٌّ رَبَاعُ

وقال يمدحه ﷺ :

١ - بَيْنِ العَقِيقِ وبَيْنَ سَلْعٍ مَرْبَعُ ... لِلْقَلْبِ فيهِ وللنَّواظِرِ مَرْتَعُ

٢ - عَطِرُ الثَّرَىٰ أرِجٌ كأنَّ لَطِيمَةً ... مِنْ مِسْكِ دارِيٍّ بِهِ تَتَضَوَّعُ

٣ - بَدْرُ السعادَةِ كاملٌ بِسَمَائِهِ ... وبِبُرْجِهِ شَمْسُ الحَقائِقِ تَطْلُعُ

٤ - حُلْوُ الجَنَىٰ عَذْبُ المَوارِدِ عِنْدَهُ ... مِنْ كُلِّ شِرْبٍ مَعْنَوِيٍّ مَنْبَعُ

٥ - يا مَنْزِلاً فيهِ لأَرْبابِ الهَوَىٰ ... مَرْأًى يَرُوقُ مِنَ الجَمَالِ ومَسْمَعُ

٦ - ما بَالُ وِرْدِكَ مَاؤُهُ يَشْفِي الصَّدَىٰ ... وأنَا المُحِبُّ وغُلَّتِي لا تُنْقَعُ

٧ - لِي فِيكَ عَهْدُ هَوًى قَدِيمٌ لَيسَ لِلْـ ... ـعُذَّالِ فِي الإقْلاعِ عَنْهُ مَطْمَعُ

٨ - لَكَ أنْ تَزِيدَ علىٰ المَدَىٰ بأَحِبَّتِي ... عِزًّا، ولِي أنِّي أَذِلُّ وأَخْضَعُ

٩ - لَوْلا ادِّكارُكَ لَمْ يَهُزَّ مَعاطِفِي ... بَرْقٌ علىٰ شُعَبِ الأَبارِقِ يَلْمَعُ

١٠ - ولَمَا أرِقْتُ وهَاجَ وَجْدِيَ فِي الدُّجَىٰ ... وَرْقَاءُ فِي فَنَنِ الأَرَاكَةِ تَسْجَعُ

١١ - وكَذاكَ لَوْلا سِرُّ قَصْدِكَ لَمْ أَكُنْ ... أَلْتَاعُ إنْ ذُكِرَ العَقِيقُ ولَعْلَعُ

١٢ - ويُعَرِّضُ الحادِي بِزُوَّارِ الغَضَا ... والجِزْعِ مِنْ بابِ السَّلامِ فأَخْضَعُ

---

(١) مربع: منزل. مرتع: المكان الذى ترتع فيه الماشية، أى تأكل ما شاءت، وأراد به: موطن الذكريات الطيبة.

(٢) أرج: طيب الرائحة. لطيمة من مسك: حمولة تحمل على البعير. دارىٌّ: منسوب إلى (دارين): بلد بالبحرين تنسب إليه العطور الجيدة. وفى النبهانية: من مسك دارين. تتضوع: تفوح رائحتها وتنتشر بقوة.

(٤) الجَنَى: الثمار. شِرْب: نوع من الشراب. والشرب المعنوى أراد به: متعة الروح.

(٥) أرباب: أصحاب. يروق: يعجب.

(٦) الغلّة: العطش. لا تنقع: لا تروى.

(٩) ادكارك: تذكرك. لم يهز معاطفى: لم يجذبنى إليه. الشعب: الطرق فى الجبال. الأبارق: جمع أبرق، وهو الأرض ذات الحجارة والرمال.

(١٠) هاج: أثار. الوجد: شدة العشق. ورقاء: حمامة. فنن: غصن. الأراكة: الواحدة من شجر الأراك. تسجع: تغنى.

(١١) ألتاع: أشعر باللوعة. لَعْلَع: منزل بين البصرة والكوفة [معجم البلدان ٥ / ٢١].

(١٢) يعرض به: يذكره بطريقة غير مباشرة. الغضا: منطقة نجد فى الجزيرة العربية، وأصله نوع من شجر الصحراء، وسميت نجد بالغضا؛ لكثرة هذا الشجر فيها. الجزع: منعطف الوادى، وهو علم على واد بنجد [معجم البلدان ٢ / ١٥٥]. باب السلام: أحد أبواب المسجد النبوى الشريف [انظر: وفاء الوفا ٢ / ٧٠٠] =

١٣ - كَلَفِى بِبَانَاتِ العَقِيقِ وإنَّمَا ... وَجْهُ اشْتِيَاقِى بالحِجَازِ مُبَرْقَعُ

١٤ - عَجَبًا لِجِسْمٍ بالعِرَاقِ مُخَلَّفٍ ... وفُؤَادُهُ مُغْرًى بِطَيْبَةَ مُولَعُ

١٥ - ولِكَيْفَ لا تَجِفُ الأَضَالِعُ نَحْوَهَا ... شَوْقًا وتُذْرَفُ فى هَوَاهَا الأَدْمُعُ

١٦ - وبِهَا رَسُولُ اللهِ خَيْرُ مُؤَمَّلٍ ... تَخْدِى الرِّكَابُ إلىٰ حِمَاهُ وتُوضِعُ

١٧ - أَزْكَىٰ البَرِيَّةِ عُنْصُرًا وأَعَزُّهُمْ ... بَيْتًا وأَوْلَىٰ بالفَخَارِ وأَجْمَعُ

١٨ - وأَمَدُّ كَفًّا بالنَّدَىٰ وأَتَمُّهُمْ ... حِلْمًا وأَصْدَقُ فى المَقَالِ وأَبْرَعُ

١٩ - وأَشَدُّهُمْ بَأْسًا إذا الْتَظَتِ الوَغَىٰ ... والسُّمْهَرِيَّةُ بالأَسِنَّةِ تُشْرَعُ

٢٠ - جُمِعَتْ لَهُ غُرَرُ المَنَاقِبِ فَهْىَ كَالْـ ... ـعِقْدِ النَّظِيمِ لَدَيْهِ لا تَتَوَزَّعُ

٢١ - هُوَ صَفْوَةُ الرَّحْمٰنِ وهْوَ حَبِيبُهُ ... ولَهُ المَقَامَاتُ التى لا تُدْفَعُ

٢٢ - حَلاَّهُ مِنْ أَنْوَارِهِ وكَسَاهُ مِنْ ... أَسْنَىٰ المَوَاهِبِ حُلَّةٌ لا تُنْزَعُ ٤٤/ب

٢٣ - وجَلاَهُ فى مَلَكُوتِهِ وأَبَاحَهُ ... مَا كَانَ يَطْلُبُهُ سِوَاهُ فَيُمْنَعُ

٢٤ - وهُوَ الذى بَرَّ المُهَيْمِنُ وارْتَضَىٰ ... لِبَلاغِ حُجَّتِهِ التى لا تُقْطَعُ

٢٥ - أَشْكُو إلَيْكَ - وأنتَ تَعْلَمُ - فِتْنَةً ... كَادَتْ لَهَا الصُّمُّ الصِّلابُ تَصَدَّعُ

وجاء هذا البيت فى النبهانية هكذا:

ويعرِّض الحادى بجرعاء الحمى ... والجَزْع من وادى الأراك فَأَجْزَعُ

(١٣) كلفى: شدة حبى وتعلقى. بانات: جمع بانة، وهو شجر البان المعروف. يقول: إننى مولع بأغصان البان فى وادى العقيق، وإن حب أرض الحجاز يلازمنى حتى صار كأنه برقع يغطى وجهى.

(١٤) بالعراق: فى (أ): بالحجاز. ولا يستقيم، لأن الشاعر يحن إلى طيبة وهى من الحجاز، فلا يكون مخلفًا بالحجاز. وما أثبته من النبهانية.

(١٥) تجف: تضطرب. الأضالع: الضلوع.

(١٦) مؤمل: مأمول. تخدى وتوضع: نوعان من سير الإبل.

(١٩) التظت: توقدت. الوغى: الحرب. السمهرية: الرماح. تشرع: ترفع للطعن. وهذا البيت زيادة من النبهانية، وليس فى (أ).

(٢٠) النظيم: المنظوم.

(٢١) هذا البيت زيادة من النبهانية.

(٢٢) أسنى: أعلى. المواهب: العطايا الإلهية. حلة: ثوب.

(٢٣) جلاه: أظهره. ملكوت الله: عالم الغيب.

(٢٥) الصم الصلاب: الحجارة الصلبة الصماء. تصدَّع: تتصدع، حذف إحدى التاءين تخفيفًا.

٢٦ - جاءَتْ بِغُصَّتِها الطُّغاةُ تَرُومُ مِنْ ... دَارِ الخِلافَةِ خُطَّةً تُسْتَشْنَعُ

٢٧ - فدَنَوْا فَصَفُّوا إِثْرَ جَيْشِ ضَلالةٍ ... بِإِزَاءِ جَيْشٍ بِالهُدَىٰ يَتَدَرَّعُ

٢٨ - وعَوَوْا عُواءَ الكَلْبِ بَيْنَ سُروجِهِمْ ... وهُمُ أَحَقُّ بِوَصْفِهِ لِيُرَوَّعُوا

٢٩ - فلَقُوا أُسُودَ الغَابِ لا تَخْشَى الرَّدَىٰ ... والرَّاسِياتُ الشُّمُّ لا تَتَضَعْضَعُ

٣٠ - فنَجَوْا بِلَيْلٍ - لا نَجوا - لَوْ أَصْبَحُوا ... لَعَفَتْهُمُ لِلحَرْبِ رِيحٌ زَعْزَعُ

٣١ - فَلَبَيْتُكَ المَحْرُوسِ رَهْطُ أَعِزَّةٍ ... وهُوَ الأَعَزُّ مِنَ البُيُوتِ الأَرْفَعُ

٣٢ - هُوَ بَيْضَةُ الإِسلامِ وهْوَ بِوعْدِكَ الـ ... ـمَنْصورِ مَحْرُوسُ الجَنابِ مُمَنَّعُ

٣٣ - فَبِمَنْ أَعَزَّكَ واصْطَفاكَ وأَجْزَلَ الـ ... ـنُّعْمَى عَلَيْكَ فَحَوْضُ فَضْلِكَ مُتْرَعُ

٣٤ - سَلْ جَبْرَ أُمَّتِكَ الكَسِيرَةِ إِنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ فِى قَوْسِ التَّجَلُّدِ مِنْزَعُ

٣٥ - مَحَقَتْ طُغاةُ التُّرْكِ أَطْرافَ القُرَىٰ ... فالمالُ نَهْبٌ والمَنازِلُ بَلْقَعُ

٣٦ - واشْفَعْ إِلَىٰ الرَّحْمٰنِ فِى غُفْرانِ ما ... هذا عُقُوبَتُهُ فَأَنْتَ مُشَفَّعُ

*****

---

(٢٦) بغصتها: الباء للمصاحبة، أى جاءت مصحوبة بالغصة، أى المرارة. تروم: تريد. تستشنع: تُرَى شنيعة قبيحة.

(٢٧) بإزاء: فى مواجهة. يتدرع: يتحصن.

(٢٩) الراسيات: الجبال. الشم: العالية. لا تتضعضع: لا تتصدع ولا تضعف.

(٣٠) عفتهم: أزالتهم ومحت آثارهم. ريح زعزع: عاصفة شديدة.

(٣١) رهط: جماعة.

(٣٢) بيضة الإسلام: حصنه وموضع عزته. ممنّع: ممنوع محروس من الأعداء.

(٣٣) أجزل: أكثر. النعمى: النعمة. مترع: ملآن.

(٣٤) الكسيرة: الضعيفة. منزع: سهم، وقوله: «لم يبق فى قوس التجلد منزع» مثل يراد به: لم يعد الصبر ممكنا.

(٣٥) محقت: محت وأذهبت كل خير. نهب: منهوب. بلقع: خراب.

قافية الغين المعجمة

تضم هذه القافية قصيدتين قصيرتين ولعلَّ السر فى قلة منظومه على هذا الروىّ صعوبة قوافيه (١).

الغينية الأولى

(عدتها ١٧ ـ السريع الأول)

فى ذكر الديار المقدسة والتشوق إليها، ومديح النبى ﷺ.

تتضمن القصيدة فكرتين :

- فى الشوق إلى الديار المقدسة وتعظيمها.
- فى مديح النبى ﷺ.

---

(١) وفى (ب) مقطوعة أخرى من أربعة أبيات على الغين، مطلعها:

إذا الفَتىٰ لم يَكُنْ بالفقهِ مشتَغِلا ... ولا الحديثِ ولم يَتْلُ الكتابَ لَغَا

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هَلْ لِىَ بالبَطْحاءِ مِنْ نَهْلَةٍ ... مِنْ وِرْدِها المُسْتَعْذَبِ السَّائِغِ؟

٢ - وهَلْ تَمُرُّ العِيسُ بى مَرَّةً ... أُخْرَى بِمَجْرَى السَّيْلِ مِنْ رَابِغِ

٣ - تَطْلُبَ مِنْ طَيْبَةَ رَبْعِ المُنَى ... مَقِيلَها فى ظِلِّها السَّابِغِ

٤ - فَاقَتْ عَلَى الأَرْضِ وأَقْطارِها ... بالبَدْرِ فِيها الكامِلِ البازِغِ

٥ - أَنْوَارُهُ لَيْسَ لَها كَاسِفٌ ... ولَيْسَ عَنْها التَّمُّ بالزَّائِغِ

٦ - مُحَمَّدٌ أَكْمَلُ مُسْتَنْجَبٍ ... مِنْ خَيرِ أصلٍ طَيِّبٍ نَابِغِ ٤٥/أ

٧ - مُطَهَّرٌ لا وَصْمَ فى عِرْضِهِ ... لِكاشِحٍ ذِى إِحْنَةٍ نَادِغِ

٨ - هُوَ الَّذِى أَنْوَارُهُ أَطْفَأَتْ ... نِيرانَ غَاوٍ فَاتِنٍ نَازِغِ

٩ - وذَادَ عَنْ حَوْضِ الهُدَى عَزْمُهُ ... كُلَّ خَبِيثٍ مارِدٍ وَالِغِ

١٠ - فَأَوْضَحَ الحَقَّ بِتِبْيَانِهِ ... لِذِى هُدًى عَنْ رُشْدِهِ زائِغِ

١١ - وبَلَّغَ النَّاسَ رِسالاتِهِ ... بِكُلِّ لَفْظٍ جَامِعٍ بَالِغِ

١٢ - فَأَصْبَحَ الكُفْرُ بِهِ زاهِقًا ... بِدِينِ حَقٍّ لِلهَوَى دَامِغِ

١٣ - رَعَى الأَصاحِيبَ بِجَفْنٍ لَهُ ... عَنِ المَعالِى لَيْسَ بالهَابِغِ

---

(١) نهلة: اسم مرة من (نَهِلَ) أى شرب حتى ارتوى. المستعذب والسائغ كلاهما بمعنى: الطيب العذب.

(٢) العيس: الإبل. رابغ: وادٍ يقطعه الحجاج بين الجحفة والأبواء [معجم البلدان ١٢/٣].

(٣) ربع المنى: بدل من (طيبة). مقيلها: استراحتها، وهو مفعول (تطلب). السابغ: الممتد الشامل.

(٤) البازغ: المشرق.

(٥) كاسف: مطفئ، من الكسوف. التَّمّ: البدر ليلة التمام.

(٦) أكمَل مستنجب: خير من وُلِد. نابغ: ظاهر معروف.

(٧) وصم: عيب. كاشح: يضمر العداوة. إحنة: حقد. نادغ: طاعن عائب. وفى (أ): نازغ، والتصويب من (ب).

(٨) نازغ: محرض على الإثم والضلال. فى (أ) نيرانه، بدل «أنواره»، وازغ فى موضع (نازغ). والصواب ما أثبته من (ب).

(٩) ذاد: دفع وطرد. والغ: من ولغ الكلب فى الإناء، والمراد: كثير الشر والخبث.

(١٢) زاهقا: باطلا. دامغ: مبطل.

(١٣) الهابغ: الغافل، أى ليس غافلاً عن المكارم والفضائل.

١٤ - لا عَـــارَ بَيْنَ النَّاسِ فى حُـــبِّـــهِ ... عَلىٰ مَـــشُـــوقٍ وَالِـهٍ نـاشِـغِ

١٥ - وإنَّـمـــا العَـــارُ عَلىٰ غَـــافِلٍ ... عَـنْـهُ بِـقَـلْـبٍ بـارِدٍ فَـــارِغِ

١٦ - سُـبْـحـانَ مَنْ أَحْـسَنَهُ صِـبْـغَـةً ... فَـجَلَّ رَبُّ العَـرْشِ مِنْ صَـائِغِ

١٧ - صَلَّىٰ عَلَيْـهِ وعَلىٰ صَـحْـبِـهِ ... رَبٌّ نَـفَـىٰ عَـنْـهُ أذَىٰ الـمَـاشِغِ

*****

---

(١٤) مشوق: مشتاق. واله: شديد الحب. ناشغ: مولع.

(١٦) صبغة: خَلْق وفطرة. صائغ: مصوِّر.

(١٧) الماشغ: العائب.

الغينية الثانية

(عدتها ٢٤ ـ الكامل الثانى)

هذه القصيدة كلها أشواق إلى ديار الأحبة وإلى ساكنها ﷺ، ودعاء لهذه الديار بالسقيا والخصب والرغد، إكرامًا لسيد الخلق ﷺ.

تتضمن القصيدة فكرتين :

- فى الشوق إلى النبى ﷺ والديار المباركة.
- دعاء بالسقيا لهذه الديار.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - لَوْمُ المُحِبُّ عَلَيْكَ لَيْسَ يَسُوغُ ... فَلِمَ العَذُولُ عَنِ الصَّوابِ يَرُوغُ ؟

٢ - يَتَجَرَّعُ المُشْتاقُ فيكَ تَسَتُّرًا ... غُصَصَ المَلامِ ولا يَكادُ يُسِيغُ

٣ - ما لامَ مُغْرًى بادِّكارِ مُولَعًا ... إلا غَبِيٌّ فى الرِّجالِ رَدِيغُ

٤ - يا مَنْ سَمَتْ شَرَفًا خَلائِقُهُ فَلَمْ ... يَبْلُغْ بِوَصْفٍ مَدْحَهُنَّ بَلِيغُ

٥ - مَنْ لى بِرُؤْيَةِ وَجْهِكَ الحَسَنِ الذى ... فيهِ لأَقْمارِ الجَمالِ بُزُوغُ

٦ - سُبْحانَ مَنْ سَوَّاكَ أَحْسَنَ صُورَةٍ ... أَمِنَ اللُّجَيْنِ المَحْضِ أَنتَ مَصُوغُ ؟

٧ - حُزْتَ الكَمالَ فما لِشَمْسِكَ كاسِفٌ ... كَلاَّ ولا لِلقَدِّ مِنْكَ مُزِيغُ

٨ - يَشْكُو إِلَيْكَ ولا يُلامُ إذا شَكَا ... صَبٌّ بِأَنْيابِ الفِراقِ لَدِيغُ

٩ - مَنْ زَاغَ فى نَأْىِ الأَحِبَّةِ قَلْبُهُ ... فَفُؤادُهُ فى البُعْدِ لَيسَ يَزِيغُ ٤٥/ب

١٠ - لِلقَلْبِ شُغْلٌ مِنْ هَواكَ فَما لَهُ ... مِنْهُ - وإِنْ طالَ الزَّمانُ - فُرُوغُ

١١ - بُلِّغْتُ فى الأَشْجانِ غَايَتَها فَلوْ ... لِى بالمَطِىِّ إِلَىٰ حِماكَ بُلُوغُ؟

١٢ - فَأُمَرِّغَ الخَدَّيْنِ فيهِ، وتُحْفَةٌ ... لِلخَدِّ فَوقَ تُرابِهِ التَّمْرِيغُ

١٣ - فانْعَشْ قَتِيلَ ظُبَا البِعادِ بِنَظْرَةٍ ... لِيَقِرَّ قَلْبٌ مُذْ نَأَيْتَ نَشُوغُ

---

(١) ليس يسوغ: لا يُقْبَل. يروغ: يبتعد.

(٢) يتجرع: يشرب على كُره ومشقة. غُصص: جمع غصة، وهى ما يقف فى حلق الإنسان. يُسيغ: يبتلع الشراب وغيره. يقول: إن المحب المشتاق يستمع إلى كلام العذال كأنه غصص فى حلقه يتجرعها على مضض.

(٣) مُغرًى، مولعًا: شديد الحب والتعلُّق. (مغرى) مفعول (لام) و(مولعًا) نعت للمفعول، والفاعل (غبىّ). رديغ: أحمق.

(٤) سمت: عَلَت. خلائقه: طباعه.

(٥) بزوغ: طلوع وإشراق.

(٦) اللجين: الفضة. المحض: الخالص النقىّ. مصوغ: مصنوع.

(٧) مُزيغ: مُميل.

(٨) لديغ: ملدوغ. شبه الفراق بثعبان يلدغ.

(٩) يقول: إذا كان هناك عشاق تميل قلوبهم وتنصرف عن محبوبها إذا فارقهم، فإن قلبى لا ينصرف عن حبك مهما زاد البعد.

(١١) الأشجان: الأحزان. وجملة (لو) وما بعدها للتمنى.

(١٢) تُحْفَة: هديَّة.

(١٣) ظبا: سيوف. نأيتَ: بَعُدتَ. نشوغ: مولع.

١٤ - يا سَائِقَ البَكَرات لا تَعْدُ الحِمَىٰ ... إنْ مِلْتَ عَنْ سَلْعٍ فَأَيْنَ تَزِيغُ؟!

١٥ - شَرَفُ الرَّكائِبُ قَصْدُهُ ولَوِ اغْتَدَتْ ... وحَصَىٰ الفَلا بدمائِها مَصْبُوغُ

١٦ - بِلِّغْ تَحِيَّاتِي إلىٰ سُكَّانِهِ ... فلَرُبَّ عَطْفٍ جَرَّهُ التَبْلِيغُ

١٧ - لا تَأْبَقَنَّ لِعِزِّهِمْ مِن ذِلَّتِي ... فَالبَحْرُ لَيْسَ يَغُضُّ مِنْهُ وُلُوغُ

١٨ - سَقْيًا لِذَاكَ المَرْبَعِ الرَّحْبِ الذِي ... لِلنُّورِ فِيهِ تَرَادُفٌ وسُبُوغُ

١٩ - رَوِيَتْ بأمْواهِ النَّسِيمِ غُصُونُهُ ... فَلَهُنَّ فَوْقَ الخَافِقَيْنِ نُبُوغُ

٢٠ - لا زالَ وَسْمِيٌّ الغَمَامِ يَجُودُهُ ... حَتَّىٰ يَرُوقَ العَيْنَ مِنْهُ ضَغِيغُ

٢١ - ويَزولَ بُؤْسُ الجَدْبِ عَنْ أقْطارِهِ ... ويَعُودَ ضِيقُ العَيْشِ وهْوَ رَسِيغُ

٢٢ - حُبًّا وإكْرامًا لأحْمَدَ مَنْ لَهُ ... يَومَ المَعَادِ الجَاهُ والتَّسْوِيغُ

٢٣ - مَنْ أقْبَلَ الحَقُّ المُبِينُ بِبَعْثِهِ ... وانْصَاعَ غَاوٍ بالضَّلالِ نَزوغُ

٢٤ - وذَوَتْ غُصونُ الشِّرْكِ وابْتَهَجَ الهُدَىٰ ... وسَمَا ومَاسَ شَبَابُهُ الرَّدُغُ

*****

---

(١٤) البكرات: الإبل الفتية. لا تَعْدُ: لا تتجاوز. تزيغ: تميل. يقول لسائق الإبل: لا تجاوز حمى المدينة، فأين تذهب إن ملت عن جبل سلع وعن حمى المدينة؟! والشطر الثانى غير واضح فى (أ) وما أثبته من النبهانية.

(١٦) الشاعر هنا يُلغز باستخدام مصطلحات النحو، فى قوله: فلربَّ عطفٍ جرَّه التبليغ. فكلمة (عطف) مجرورة بـ (رُبَّ)، وأراد بالعطف: الميل، وبقوله (جرَّه): جاء به وسببه. يقول: لعل تبليغ تحياتى إلى سكان الحمى يؤدى إلى عطفهم علىَّ.

(١٧) لا تأبقنَّ: لا تهرب. ولوغ: شرب الكلب بأطراف لسانه.

(١٨) ترادف: تتابع. سبوغ: امتداد وشمول.

(١٩) أمواه: جمع ماء. الخافقين: المشرق والمغرب. نبوغ: ظهور وعلوّ.

(٢٠) الوسمىّ: المطر. يجوده: يسقيه. يروق: يعجب. ضغيغ: خصب نضر.

(٢١) رسيغ: واسع رغد.

(٢٢) التسويغ: قضاء الحاجة، وأراد به الشفاعة.

(٢٣) انصاع: ذل. غاوٍ: ضالّ. نزوغ: محرِض على الإثم والضلال.

(٢٤) ذوت: ذبلت. ماس: تمايل طربا. الردُغ: مفردها الردوغ: النضر الناعم.

قافية الفاء

تضم هذه القافية قصيدتين طويلتين نسبيًّا.

الفائية الأولى

(عدتها ٦٤ ـ الكامل الأول)

تعبر هذه القصيدة عن حب الديار المقدسة والشوق إليها، وذكريات الشاعر في ساحة الحرم الشريف ملجأ الخائف وقرارة الشرف العظيم، ومدينة الرسول العظيم ﷺ.

ثم يدخل إلى مديح النبي ﷺ وذكر بعض تجلياته النورانية وتقلبه في الأصلاب الطاهرة. ثم يرفع إلى النبي ﷺ شكوى أهل القرن السابع الذين يخشون كيد العدو، راجين أن يسأل لهم النصر، فهو المؤيد بجنود الله، وهو أمنع ناصر وأعز جار.

تتضمن القصيدة ثلاث أفكار:

- في الشوق إلى الديار المقدسة.
- في مديح النبي ﷺ.
- شكوى أهل القرن السابع واستنصارهم بجاهه ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - حَيِّ المَنازِلَ بالمَحَلِّ الأشْرَفِ ... مَحْمِيَّةً بِمُهَنَّدٍ ومُثَقَّفِ

٢ - عَنِّى تَحِيَّةَ حافِظٍ لِعُهُودِها ... إنْ أسْعَفَتْ بالقُرْبِ أو لَمْ تُسْعِفِ !

٣ - مُزِجَتْ مَحَبَّةُ أهْلِها بِحُشاشَتِى ... كَمِزاجِ صَفْوِ الماءِ صِرْفَ القَرْقَفِ

٤ - فأنا المُقِيمُ لَها بأسْبابِ الهَوَىٰ ... صَدَفَتْنِىَ الأيَّامُ أو لَمْ تَصْدِفِ

٥ - قَصُرَتْ لَيالِى وصْلِها وتَصَرَّمَتْ ... وثَوَىٰ بِها وَجْدِى وطَالَ تَأَسُّفِى ١/٤٦

٦ - ما عَنَّ مِنْ أقْطارِها بَرْقٌ خَفَا ... إلا وأظْهَرَ مِنْ غَرامِىَ ما خَفِى

٧ - فلوِ اسْتَطَعْتُ لَجُبْتُ شَوْقًا نَحْوَها ... تَحْتَ الدَّياجِى كُلَّ بَرٍّ نَفْنَفِ

٨ - لَوْلا عَلائِقُ قَيَّدَتْنِى لَمْ أكُنْ ... لأَصُدَّ عَنْ وَطَنِى القَدِيمِ ومَأْلَفِى

٩ - دارٌ بِوُدِّى لو أُقَبِّلُ أرْضَها ... وأشَمُّ نَشْرَ تُرابِها المُتَعَرِّفِ

١٠ - أنِسَتْ بِها رُوحِى وآنَسَ رَوْحُها ... قَلْبِى وطابَ عَلى رُباهَا مَوْقِفِى

١١ - وحَلا بِها وِرْدِى ورَاقَ جَمالُها ... طَرْفِى ولاثَتْ بالكَرامَةِ مَطْرَفِى

١٢ - عَزَّتْ فَلَوْ سَعَتِ المَطامِعُ نَحْوَها ... رَدَّتْ بأسْمَرَ أوْ بأبْيَضَ مُرْهَفِ

١٣ - للهِ ما أبْقَتْ لأرْبابِ الهَوَىٰ ... مِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَىٰ وجِسْمٍ مُدْنَفِ

---

(١) حَيِّ : أمر من التحية . مهند : سيف . مثقف : رمح أجيد صنعه .

(٢) عنى : أى بالنيابة عنى ، والجار والمجرور متعلق بفعل الأمر فى البيت الأول .

(٣) حشاشتى : روحى . مزاج : مزج . صرف : خالص . القرقف : اسم للخمر .

(٤) أسباب : علائق وروابط . صدفتنى : حوّلتنى وأمالتنى عنهم .

(٥) تصرّمت : مضت . ثوى : أقام .

(٦) عَنَّ : ظهر . خَفَا البرق يخفو : بَرَق برقًا ضعيفًا تحت السحاب .

(٧) جُبْت : قطعت . الدياجى : الظلمات . نفنف : مترامى الأطراف .

(٨) أصد : أعرض وأنصرف . مألفى : المكان الذى ألفته .

(٩) نشر : رائحة . المتعرّف : ذو العَرف ، أى الرائحة الطيبة .

(١٠) أنست : شعرت بالأنس . آنس : جعله يشعر بالأنس ، متعدٍّ بالهمزة . رَوْحها : ما فيها من راحة وطمأنينة . رباها : جمع ربوة ، وهى التل المرتفع .

(١١) طرفى : بصرى . لاثت : ألبست . المطرف : الثوب المزركش من الخز .

(١٢) أسمر : رمح . أبيض : سيف . مرهف : حاد قاطع .

(١٣) أرباب : أصحاب . مقلة : عين . عَبْرَىٰ : دامعة باكية . مدنف : مريض .

١٤ - سَقَتْ العِهَادُ ثَرَىٰ مَعاهِدِها الَّتى ... طالَ اشْتِياقِى نَحْوَها وتَشَوُّفِى

١٥ - فَكَسَتْ مَقِيلَ الأُنْسِ مِنْ جَنباتِها ... مِنْ كُلِّ بُرْدٍ لِلرِّياضِ مُفَوَّفِ

١٦ - وتَرَنَّمَتْ أطْيارُها مَشْغُوفَةً ... مِنْ بانِهِنَّ بِكُلِّ قَدٍّ أهْيَفِ

١٧ - يا أيُّها السَّارِى يَجوبُ لِقَصْدِهِ ... وَعْرَ الحُزونِ وكُلَّ سَهْلٍ صَفْصَفِ

١٨ - يتَعَسَّفُ الأخْطارَ فى طَلَبِ العُلا ... للهِ دَرُّ أبِيكَ مِنْ مُتَعَسِّفِ!

١٩ - لا غَبَّ عَيْشَكَ وِرْدُها كَلاًّ ولا ... خَانَتْ كَلالَتُها مَرامِىَ مُوجِفِ

٢٠ - وأجَدَّ دَأْبُكَ لِلمَطايَا كُلَّما ... جَدَّ السُّرى أرَبًا وفَرْطَ تَعَجْرُفِ

٢١ - إنْ جُزْتَ عَنْ وادِى العَقِيقِ مُيَمِّمًا ... سَلْعًا وعَايَنْتَ القِبابَ ضُحًى قِفِ

٢٢ - فى ساحَةِ الحَرَمِ الشَّرِيفِ ومَجْمَعِ الـ ... ـتَّقْوَى وأعْلامِ الجَنابِ الأشْرَفِ

٢٣ - فى مَعْدِنِ الحُسْنَىٰ وكَنْزِ جَواهِرِ الـ ... ـمَعْنَى ومِنْهاجِ الهُدَىٰ لِلمُقْتَفِى

٢٤ - وقَرارَةِ الشَّرَفِ الجَسِيمِ ودارَةِ الـ ... ـفَضْلِ العَظِيمِ ومَلْجَأِ المُتَخَطَّفِ

---

(١٤) العهاد : المطر . ثرى : تراب . معاهدها : المواضع التى كنت أعهدها . تشوُّفى : شوقى .

(١٥) مقيل : موضع القيلولة . برد : ثوب . مفوَّف : مخطط بخطوط بيضاء .

(١٦) ترنمت : تغنَّت . أهيف : ضامر رقيق الخصر .

(١٧) يجوب : يقطع . الحزون : جمع حَزن ، وهو الصعب من الجبال الوعرة . صفصف : مستوٍ ناعم .

(١٨) يتعسف : يسير فى الصحراء التى لا أعلام فيها . لله دَرُّ أبيك : كلمة مدح . متعسف : مقتحم مغامر .

(١٩) غَبَّ : من الغبِّ وهو أن ترد الإبل الماء يومًا وتمنع منه يومًا . عيشك : منصوب على الظرفية ، أى طَولَ حياتك . مرامى : جمع مرمى ، وهو الهدف . الكلالة : الضعف . موجف : سائر . يدعو للسارى نحو الحمى بدوام السقيا لإبله ، وأن تقوى على السير فلا يخونها الضعف ويعجزها عن الوصول إلى القصد . وهذا البيت وتاليه زيادة من (ب) .

(٢٠) أجدَّ : جدَّد . الدأب : الاستمرار . المطايا : الإبل . جدَّ : اشتد . السرى : السير . أربًا : نشاطًا . فرط : زيادة . تعجرف : سرعة فى السير .

(٢١) جزت : تجاوزت . ميمما : قاصدا . عاينت : رأيت . ضُحىً : فى وقت الضحى .

(٢٢) فى ساحة الحرم . . . : متعلقان بفعل الأمر (قف) فى قافية البيت السابق . أعلام : دلائل . الجناب الأشرف : الحضرة الشريفة للنبى الكريم ﷺ .

(٢٣) معدن : أصل . المقتفى : المتبع لآثاره ﷺ .

(٢٤) قرارة : أصل . الجسيم : العظيم . المتخطَّف : الذى يخشى أن يتخطفه الناس ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت / ٦٧ . فالذى يلجأ إلى البيت الحرام يدركه الأمن ولا يستطيع أن يروِّعه أحد .

٢٥ - بِمَدِينَةٍ شَرُفَتْ عَلَى كُلِّ القُرَىٰ ... شَرْقًا إِلَىٰ غَرْبٍ بِخَيْرِ مَنِ اصْطُفِى

٢٦ - بِالهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ أَزْكَىٰ الوَرَىٰ الـ ... ـمُخْتَارِ مِنْ عُلْيَا قَبَائِلِ خِنْدِفِ

٢٧ - كَتَبَ اسْمَهُ الرَّحْمٰنُ تَشْرِيفًا لَهُ ... سَطْرًا علىٰ العَرْشِ المَجِيدِ الأَشْرَفِ

٢٨ - فَرَآهُ آدَمُ فَاسْتَقَرَّ بِقَلْبِهِ ... تَعْظِيمُهُ؛ فَبِجَاهِهِ عَنْهُ عُفِى ٤٦/ب

٢٩ - وكَذَاكَ أَشْرَقَ نُورُهُ بِجَبِينِهِ ... وجَبِينِ حَوَّاءَ الكَرِيمَةِ فَاعْرِفِ

٣٠ - فِى صُلْبِ نُوحٍ حَلَّ فِى طُوفَانِهِ ... فَبِجَاهِهِ نُوحٌ ومَنْ مَعَهُ كُفِى

٣١ - وأُحِلَّ فِى صُلْبِ الخَلِيلِ فَأَطْفَأَتْ ... أَنوارُهُ نَارَ العَنِيدِ المُسْرِفِ

٣٢ - وبِهِ تَجَاوَزَتْ الذَّبِيحَيْنِ المُدَىٰ ... حِفْظًا لِسِرٍّ فِيهِمَا مُتَكَنِّفِ

٣٣ - وسَمَتْ بِهِ كُلَّ القَبَائِلِ هَاشِمٌ ... بِعَظِيمِ فَضْلٍ ثَابِتٍ لا يَنْتَفِى

٣٤ - أَقْمَارُهُ ظَهَرَتْ علىٰ فَلَكِ العُلا ... فِى بُرْجِ سَعْدٍ كَمَالُهُ لَمْ تُكْسَفِ

٣٥ - مِنْ كُلِّ قَرْمٍ فِى المَكَارِمِ سَابِقٍ ... ومُؤَيَّدٍ فِى مُلْكِهِ مُسْتَخْلَفِ

٣٦ - مَا زَالَ نُورُ بَهَائِهِ مُتَنَقِّلاً ... مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طَاهِرٍ لَمْ يُقْذَفِ

٣٧ - وحَشَا حَصَانٍ لَمْ تُزَنَّ بِرِيبَةٍ ... حَتَّىٰ بَدَتْ أَنْوَارُهُ لا تَخْتَفِى

٣٨ - بِرَبِيعِ الأَدْنَى بِثَانِى عَشْرِهِ ... فَسَمَتْ بِهِ دِيبَاجَةُ المُتَطَوِّفِ

٣٩ - فِى يَوْمِ الاثْنَيْنِ الَّذِى بِوِلادِهِ ... وبِبَعْثِهِ قَدْ كَانَ خَيْرَ مُشَرَّفِ

---

(٢٦) قبائل خندف: قبائل مضر، ومنها قريش.

(٣٢) الذبيحين: سيدنا إسماعيل عليه السلام، وعبد الله بن عبد المطلب أبو النبى ﷺ، قال ﷺ: «أنا ابن الذبيحين» [ذكره العسقلانى فى شرحه على البخارى: الفتح ١٢/ ٣٩٥]. المُدَىٰ: جمع مدية، وهى السكين. متكنِّف: محاط محفوظ. والسر هو أن النبى محمدًا ﷺ سوف يولد من أصلابهما، فإن نسبه الكريم ينتمى إلى إسماعيل عليه السلام.

(٣٣) سمت: علت. وعدّى الفعل بنفسه بعد حذف حرف الجر (على).

(٣٤) لم تكسف: لم يغب نورها.

(٣٥) قرم: شهم كريم.

(٣٦) لم يقذف: لم يُتَّهَم بالسوء.

(٣٧) حشا: رَحِم. حَصان: امرأة عفيفة. لم تُزَنَّ: لم تتهم. ريبة: شك.

(٣٨) ربيع الأدنى: شهر ربيع الأول. ديباجة: بشرة الوجه. المتطوِّف: أراد به عبد المطلب جد النبى ﷺ؛ لأنه كان يطوف حول البيت الحرام يوم مولده. يقول إنه لما ولد النبى ﷺ فى الثانى عشر من ربيع الأول، أشرق وجه جده عبد المطلب وهو يطوف به حول الكعبة.

(٣٩) كان ميلاد النبى ﷺ ومبعثه كلاهما فى يوم الإثنين.

٤٠ - فاسْتَبْشَرَ الأرْضُونَ والسَّبْعُ العُلا ... بجَمَالِ وَجْهِ بالمحَاسِنِ مُتْحَفِ

٤١ - أهْوَىٰ إلىٰ مَهْدِ البَسِيطَةِ سَاجِداً ... لِمَنِ اصْطَفَاهُ سُجودَ عَبْدٍ مُزْلَفِ

٤٢ - وتَبَوَّأَ المَهْدَ الكَرِيمَ مُحَصَّنًا ... بِعَظِيمِ جُنْدٍ مِنْ مَلائِكَ عُكَّفِ

٤٣ - وعَرَا شَياطِينَ الفِجَاجِ لِوَضْعِهِ ... رَوْعٌ يُحَيِّرُ كُلَّ غَاوٍ مُرْجِفِ

٤٤ - وتَزَلْزَلَ الإيوانُ مُنْشَقًّا وزَا ... لَ التَّاجُ عَنْ كِسْرَىٰ ومَوْقِدُهُ طُفِي

٤٥ - ما زالَ يَنْشَأُ فِي الجَلالَةِ مائِسًا ... بِقَوامِهِ السَّامِي ولِينِ المَعْطَفِ

٤٦ - حَتَّىٰ تَكَمَّلَ أرْبَعًا فِي مَرْبَعٍ ... بِسَنَاهُ أخْصَبَ بَعْدَ جَدْبٍ مُجْحِفِ

٤٧ - شَرَحَ المَلائِكُ صَدْرَهُ واسْتَخْرَجُوا ... مِنْهُ نَصِيبَ الدَّاحِضِ المُتَخَطِّفِ

٤٨ - مَلأوُهُ إيمانًا وحِلْمًا وافِرًا ... وَرِضًا وحُسْنَ سَكِينَةٍ وتَرَأُّفِ

٤٩ - حَتَّىٰ إذا بَلَغَ الأشُدَّ أتَىٰ الوَرَىٰ ... بِهُدًى لأثْقَالِ الأنَامِ مُخَفِّفِ ٤٧/أ

٥٠ - وَجَلا غَيابَاتِ الضَّلالِ وأوْضَحَ الـ ... ـحَقَّ المُبِينَ فَكانَ خَيرَ مُعَرِّفِ

٥١ - وتَأَلَّفَتْ فِيهِ المَكارِمُ كُلُّهَا ... فَلأجْلِ هَذا كَانَ خَيْرَ مُؤَلِّفِ

٥٢ - فَجَزَاهُ رَبُّ العَرْشِ عَنْ دِينِ الهُدَىٰ ... ومَنِ اقْتَفَاهُ جَزاءَ رَبٍّ مُزْلِفِ

---

(٤٠) السبع العُلا : السماوات السبع . متحف : أتحفه الله بالمحاسن ، أى جمَّله بها .

(٤١) أهوى : سقط ساجدا . البسيطة : الأرض . مزلَف : مقرب من ربِّه عز وجل . يشير فى هذا البيت إلى ما روى عنه ﷺ أنه لمَّا ولد أهوى إلى الأرض ساجدا [انظر : السيرة الحلبية ١ / ٨٠] .

(٤٢) عكَّف : عاكفين عليه يحرسونه .

(٤٣) عرا : أصاب . روعٌ : خوف ورعب . مرجف : كاذب .

(٤٤) الإيوان : إيوان كسرى الذى تصدع يوم ولادة النبى ﷺ .

(٤٥) مائسا : متمايلا . المعطف : الجانب ، ولين الجانب كناية عن الحلم واللطف فى معاملة الناس .

(٤٦) سناه : نوره . مجحف : مهلك .

(٤٧) الداحض : الشيطان .

(٤٩) بلغ الأشد : بلغ سن الرشد . الأنام : الناس . وفى (أ) الآثام . والصواب - وزنًا ومعنى - ما أثبته من (ب) .

(٥٠) جلا : بدَّد . غيابات : ظلمات .

(٥١) تألفت : اجتمعت . خير مؤلف : أى خير جامع بين الناس على الخير .

(٥٢) مزلف : مقرَّب .

٥٣ - يا سَيِّدَ السَّادَاتِ يا مَنْ مَدْحُهُ ... فى نَقْدِ أَهْلِ الفَضْلِ غَيرُ مُزَيَّفِ

٥٤ - وإذَا أبيَّاتُ القَوَافى شِمْتُهَا ... مَدْحًا لَهُ انْقَادَتْ بِغَيْرِ تَكَلُّفِ

٥٥ - هَذا رَبِيعٌ شَهْرُ مَوْلِدِكَ الَّذى ... عَمَّ الفِجَاجَ بِنَضْرَةٍ وتَعَرُّفِ

٥٦ - فِيهِ وَصَلْتُ إلىٰ نَعِيمٍ مُؤْذِنٍ ... بِوَسِيلَةٍ حُفَّتْ بِأَشْرَفِ رَفْرَفِ

٥٧ - فَاجْبُرْ بِفَضْلِكَ كَسْرَ عَبْدٍ يَائِسٍ ... قَدْ ذَفَّت بِهِ الآمَالُ نَحْوَكَ يَعْتَفِى

٥٨ - يَرْجُو نَدَاكَ رَجَاءَ عَبْدٍ وَاثِقٍ ... لِحَيَاتِهِ الدُّنْيَا ويَوْمَ المَوْقِفِ

٥٩ - وأغِثْ بِعَوْنِكَ أَهْلَ قَرْنٍ سَابِعٍ ... يَخْشَوْنَ كَيْدَ مُعَانِدٍ ومُخَوِّفِ

٦٠ - يَرْجُونَ جَاهَكَ إنَّهُمْ مِنْ أُمَّةٍ ... عَلِقَتْ بِوَعْدٍ مِنْكَ غَيْرِ مُسَوَّفِ

٦١ - فَاسْأَلْ لَهُمْ نَصْرًا نُصِرْتَ بِمِثْلِهِ ... بِمُسَوَّمٍ يَوْمَ النِّزَالِ ومُرْدِفِ

٦٢ - أوْ رُعْبِ شَهْرٍ لا يَزَالُ مُزَلْزِلاً ... أَقْدَامَهُمْ أوْ رِيحِ صَرٍّ حَرجَفِ

٦٣ - صَوْنًا لأَرْبَابِ الثَّرى أنْ يَبْرُزُوا ... مِنْ بَعْدِ طُولِ صِيَانَةٍ وتَعَفُّفِ

٦٤ - فَلأَنْتَ أَمْنَعُ نَاصِرٍ وأَعَزُّ مَا ... جَارٍ لِمُلْتَجِئٍ وأَكْرَمُ مُسْعِفِ

*****

---

(٥٤) أبيَّات : ممتنعات . شمْتُها : أردْتها .

(٥٥) الفجاج : الأماكن . نضرة : ازدهار . تعرُّف : رائحة طيبة .

(٥٦) مؤذن بكذا : مشعر به مؤذٌ إليه . حفَّت : أحيطت . رفرف : علم .

(٥٧) يعتفى : يطلب العطاء .

(٥٨) نداك : كرمك .

(٥٩) يشير الصرصرى فى هذا البيت إلى معاناة الأمة الإسلامية فى القرن السابع الهجرى من غزوات الترك والتتر والروم .

(٦٠) علقت : تعلقت آمالها . مسوَّف : مؤجَّل لا ينجز، مشتق من كلمة (سوف) .

(٦١) مسوَّم : معلم بعلامة، يشير إلى قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ آل عمران / ١٢٥ .
النزال : القتال . مردف : راكب خلف الفارس، من قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ الأنفال / ٩ .

(٦٢) ريح صر : ريح شديدة البرد، ومثله حرجف .

(٦٣) صونا : حفظا . أرباب الثرى : الموتى . يقول مخاطبًا النبى ﷺ : اسأل ربك أن ينصر أمتك كما نصرك الله بالملائكة أو بالحجارة أو برعب الأعداء منك على مسافة شهر، أو بريح باردة . . . فقد كاد الموتى أن يخرجوا من قبورهم حسرة على حال الأمة وما آلت إليه من ضعف وهوان .

(٦٤) (ما) فى قوله : « وأعز ما جار » زائدة للتوكيد . مسعف : ناصر معين .

الفائية الثانية

(عدتها ٤٨ ـ الطويل الثانى)

تبدأ القصيدة باستنزال المطر والدعاء بالسقيا والخصب للديار المباركة وأهلها فرسان الحروب، وغيث الناس فى السلم، ويتمنى الشاعر لو عادت به أيام سلع والعقيق فى جوار الحمى الشريف وساكنه ﷺ. ثم ينتقل إلى مدحه ﷺ وذكر بعض معجزاته وفضله على البشرية، ويختم القصيدة مستشفعاً بجاهه ﷺ ومسلماً عليه وعلى أصحابه وأتباعه فى كل عصر.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق إلى الديار المباركة وأهلها.
- فى مديح النبى ﷺ.
- دعاء واستغاثة بجاهه ﷺ.
- ثناء على أصحابه وتابعيه فى كل عصر.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَقَىٰ دَارَها هَامٍ مِنَ المُزْنِ واكِفُ ... مُرِبٌّ بِأَرْجاءِ المَعاهِدِ عَاكِفُ

٢ - فَزانَتْ ثَراها مِنْ نَسِيجِ رياضِها ... سَرابِيلُ وَشْيٍ فُوِّفَتْ ومَطارِفُ

٣ - وعَاقَرَ فِيها الرَّنْدُ كَأْسًا من النَّدَىٰ ... وغَنَّتْهُ وُرْقٌ فى الفُروعِ هَواتِفُ

٤ - ورَقَّ لَهُ فى آخِرِ اللَّيْلِ شَمْأَلٌ ... فَلانَتْ مِنَ الأَغْصَانِ مِنْهُ المَعاطِفُ

٥ - ولا بَرِحَت بَانَاتُها فى غَضَاضَةٍ ... يُرَنِّحُها رَوْحُ النَّسِيمِ المُلاطِفُ

٦ - وضَاهىٰ تَثَنِّيها قُدُودَ وَصَائِفٍ ... عَلَيْهِنَّ مِنْ خُضْرِ المُلاءِ مَلاحِفُ

٧ - ولا انْفَكَّ يَحْمِى تِلْكَ صَفْراءُ عَيْطَلٌ ... وأَبْيَضُ صَمْصَامٌ وأَسْمَرُ رَاعِفُ

٨ - بأَيْدِى بَنِى هَيْجاءَ إِنْ قِيلَ فى الوَغَىٰ ... نَزالِ، فَما فى القَوْمِ إلا مُسايِفُ

٩ - عَلَىٰ ضُمَّرٍ قُبٍّ عِتاقٍ كَأَنَّها ... رِياحٌ إذا اشْتَدَّ الهِيَاجُ عَواصِفُ

---

(١) هام: منصبٌّ. المزن: السحاب. واكف: شديد غزير. مُرِبٌّ: دائم متزايد. المعاهد: المنازل. عاكف: مقيم دائم.

(٢) سرابيل وشى: ملابس منقوشة شبه النبات بها.
فوِّفَت: زركشت ونقشت. مطارف: ثياب من الحرير.

(٣) عاقر: شرب. الرند: نبات طيب الرائحة. وُرْق: جمع ورقاء وهى الحمامة.
هواتف: تسجع وتغنى.

(٤) شمأل: ريح الشمال. والضمير فى (له) و(منه) للرند فى البيت السابق.

(٥) لا برحت: دعاء بالدوام. باناتها: أشجار البان. غضاضة: نضرة ونعومة.
يرنحها: يجعلها تتمايل تمايل السكران. رَوْح: رقة وطيب.

(٦) ضاهى: شابه. قدود: جمع قدٍّ، وهو القامة. وصائف: جمع وصيفة، وهى الشابة الحسنة القامة. ملاحف: أغطية.

(٧) لا انفك: دعاء بالدوام. تلك: اسم إشارة إلى ما سبق، أى: تلك الدار المذكورة. صفراء: لعله أراد بها القوس. عيطلٌ: طويلة.
أبيض: سيف لامع. صمصام: قاطع. أسمر: رمح. راعف: سابق سريع الطعن.

(٨) بنى هيجاء: رجال حرب.
نزال: اسم فعل أمر مبنى على الكسر، بمعنى (انزل)، وهى دعوة للمبارزة.
مسايف: مبارز بالسيف.

(٩) ضُمَّر: خيل مضمَّرة، أى مدربة على القتال. قُبّ: دقيقة الخصر ضامرة البطن، وهذا من صفات الخيل القوية المدربة.
الهياج: أراد به شدة القتال. شبه الخيل فى الحرب بالرياح العاصفة.

١٠ - أكُفُّهُمُ فى السِّلْمِ غَيْثٌ لِمُجْتَدٍ ... ولَكِنَّها فى الحَرْبِ بِيضٌ خَواطِفُ

١١ - فَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ دَارٌ أَلِفْتُها ... وذُو الوَجْدِ مَشْغُوفٌ بِما هُوَ آلِفُ

١٢ - قَطَفْتُ بِها غُصْنًا من العَيْشِ ذُلِّلَتْ ... لِقَلْبِى وطَرْفِى مِنْ جَنَاهُ المَقَاطِفُ

١٣ - جَرَرْتُ ذُيولَ الأمْنِ فى جَنَبَاتِها ... إلىٰ أَنْ كَسانِى البَيْنُ ما أنَا خَائِفُ

١٤ - أَحِنُّ إلىٰ ذاتِ السُّتُورِ وبَيْنَنَا ... مَهَامِهُ مِنْ وَعْرِ الفَلا وتَنَائِفُ

١٥ - فَهَلْ بَعْدَ شَحْطِ النَّأْىِ لِى فى ظِلالِها ... مَقِيلٌ لِما أَلْقَى مِنَ الضُّرِّ كاشِفُ؟

١٦ - وهَلْ بَيْنَ سَلْعٍ والعَقِيقِ تَعودُ لِى ... مَقَامَاتُ صِدْقٍ للرِّضَا ومَواقِفُ

١٧ - مَواقِفُ زُهْرٌ كُنْتُ آنَسْتُ عِنْدَهَا ... مِنَ الرُّشْدِ ما قَلْبِى بِهِ الآنَ عَارِفُ

١٨ - فَأُقْسِمُ لَوْ شَارَفْتُها وتَبَيَّنَتْ ... بِلا مِرْيَةٍ تِلْكَ القِبَابُ الشَّرائِفُ

١٩ - لَقَبَّلْتُ تُرْبًا مِنْ ثَراها فَإِنَّها ... لأَزْكَىٰ تُرابٍ قَبَّلَتْهُ المَراشِفُ

٢٠ - فَثَمَّ مَنارُ الحَقِّ والحُجَّةُ التى ... تَتِمُّ وبَدْرُ التَّمِّ بالأَمْرِ خاسِفُ

٢١ - مُحَمَّدٌ المَكْتُوبُ فى القِدَمِ اسْمُهُ ... وما كُتِبَتْ للأَنْبِياءِ صَحائِفُ

٢٢ - وأَحْسَنَ رَبُّ العَرْشِ فى الذِّكْرِ وَصْفَهُ ... فَماذا يَقولُ الآنَ فى الشِّعْرِ واصِفُ ؟

٢٣ - تَسَلَّمَهُ مِنْ كُلِّ صُلْبٍ مُطَهَّرٍ ... عَفِيفٍ بُطُونٌ طَاهِراتٌ عَفائِفُ

---

(١٠) غيث : مطر . مجتد : طالب جَدًا، أى عطاء . بيض : سيوف .
خواطف : كأنها تخطف الأرواح .

(١١) لعمر الله : قسم بالله عز وجل .

(١٢) ذللت : سُهِّلت . جناه : ثماره . المقاطف : مواضع القطف .

(١٣) جررت ذيول الأمن : كناية عن تمام الشعور بالأمن . البين : الفراق .

(١٤) ذات الستور : الكعبة المشرفة . مهامه : صحارى واسعة ومثلها الفلا ، والتنائف .

(١٥) شحط : بُعد . مَقيل : راحة .

(١٧) زُهر : حسنة طيبة . وهذا البيت زيادة من (ب) .

(١٨) شارفتها : وصلت إليها . بلا مرية : بلا شك . الشرائف : جمع شريفة .

(١٩) المراشف : جمع مرشف ، وهو موضع الشرب ، أى الشفاه .

(٢٠) ثم : هنا . بدر التمّ : القمر فى اكتماله .
خاسف : منطفئ (من الكسوف) .

(٢٣) طاهرات : فى (أ) : زاهرات ، ولعل ما أثبته من (ب) هو الأصح رواية ، لمشاكلته لفظ (مطهر) فى صدر البيت .

٢٤ - بِعَقْدِ نِكاحٍ لا سِفاحٍ فَيَا لَها ... أُصُولاً زَكَتْ لَمْ يَنْتَقِصْهُنَّ قارِفُ

٢٥ - إلىٰ أَنْ سَمَتْ أَنْوارُهُ فى قَبيلَةٍ ... لَها شَرَفٌ فى سالِفِ الدَّهْرِ سالِفُ

٢٦ - وتَمَّ بِخَيْرِ المُرْسَلينَ فَخارُها ... إذًا فَلَها مَجْدٌ تَليدٌ وطارِفُ

٢٧ - فَلِلّٰهِ ما حازَتْ مِنَ الفَضْلِ، إذْ إلىٰ ... حُلولِ المَسيحِ الأَرْضَ مِنْها الخَلائِفُ

٢٨ - بَدا فى رَبيعٍ شَهْرِ مَوْلِدِهِ الرِّضَا ... فَكانَ رَبيعًا رَوْضُهُ الدَّهْرَ آنِفُ

٢٩ - ولاحَ بِبُرْجِ السَّعْدِ نُورُ هِلالِهِ ... ووافَتْهُ فى المَهْدِ الشَّريفِ اللَّطائِفُ

٣٠ - وتَمَّ إلىٰ أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ بَعْثِهِ ... فَلَيْسَ لَها حَتَّىٰ القِيامَةِ كاسِفُ ١/٤٨

٣١ - فأَظْهَرَ ما أَخْفَىٰ الضَّلالُ مِنَ الهُدَىٰ ... وبانَتْ بِهِ لِلْمُوقِنينَ مَعارِفُ

٣٢ - وأَقْبَلَ وَجْهُ الدِّينِ أَبْلَجَ مُسْفِرًا ... وأَدْبَرَ شَيْطانُ الهَوَىٰ المُتَجانِفُ

٣٣ - وقَدْ كانَ فى الدُّنْيا غِياثًا لأَهْلِها ... بِهِ رُفِعَتْ آصارُها والمَخاوِفُ

٣٤ - وفى الحَشْرِ يَأْتى راكِبًا وبِكَفِّهِ الـ ... ـلِّواءُ لَهُ نُورُ الجَلالَةِ كانِفُ

٣٥ - وفيهِ لَهُ الجاهُ العَظيمُ وإنَّهُ الـ ... ـشَّفيعُ إذا فَرَّ الحَميمُ المُساعِفُ

٣٦ - وفيهِ لَهُ الحَوْضُ الرَّوِىُّ كاشِفُ الصَّدَىٰ ... إذِ القَلْبُ مِنْ حَرِّ القِيامَةِ واجِفُ

---

(٢٤) نكاح: زواج. سفاح: زنا. قارف: آثم. وقد أشار الصرصرى إلى هذا المعنى كثيراً، وهو أن النبى ﷺ مولود من نكاح لا سفاح، وذلك فى كل أصوله من آدم عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاة والسلام، إلى عبد الله وآمنة بنت وهب والدى نبينا ﷺ. روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح، كلها نكاح» [السيرة الحلبية ١/٦٥].

(٢٥) سالف (الأولى): الماضى. والثانية: سابق متقدم.

(٢٦) تليد: قديم. طارف: حديث. والجمع بين التليد والطارف كناية عن عموم المجد وشموله.

(٢٧) الخلائف: الخلفاء يتوارثون الأرض جيلاً بعد جيل.

(٢٨) الدهرَ: منصوب على الظرفية، أى: مدى الدهر. آنف: خبر (روضه) والروض الآنف: الدائم الإنبات والنماء.

(٢٩) اللطائف: المنن الإلهية.

(٣٠) كاسف: مطفئ، أى إن شمس النبوة ستبقى مشرقة لا انطفاء لها إلى يوم القيامة.

(٣٢) أبلج: مشرق واضح، ومثله مسفر. المتجانف: الآثم البعيد عن الحق.

(٣٣) غياثا: رحمة. آصارها: أثقالها وقيودها، جمع إصر.

(٣٤) كانف: محيط به.

(٣٥) الحميم: القريب. المساعف: المنقذ المخلص.

(٣٦) الرَّوِى: الملآن الذى يروى الظمأ. الصدى: الظمأ. واجف: مضطرب. وهذا البيت =

٣٧ - وَيُنْزِلُهُ اللهُ الوسيلةَ دُونَها ... مَراتِبُ أرْبابِ الرِّضا والرَّفارِفُ

٣٨ - فَيا مُصْطَفَىٰ الرَّحْمٰنِ يا مُوضِحَ الهُدَىٰ ... ولَيْلُ الهَوَىٰ مُسْحَنْفِرٌ مُتَكاثِفُ

٣٩ - ومَنْ أَلَّفَ الدِّينَ الحَنيفَ بِبَعْثِهِ ... إذا افْتَرَقَتْ لِلمُبْطِلينَ الطَّوائِفُ

٤٠ - ومَنْ عَنْ كُنُوزِ الأرْضِ أصْبَحَ عازِفًا ... وطاحَتْ - بِتَقْواهُ - الطِّلَىٰ والمعازِفُ

٤١ - ومَنْ بِرَواءٍ مِنْ أصابِعِ كَفِّهِ ... سَقَىٰ جَيْشَهُ الظَّمْآنَ واليَوْمُ صائِفُ

٤٢ - تَعَطَّفْ عَلَىٰ ضَعْفِي بِجاهِكَ شافِعًا ... إلى مَلِكٍ تُرْجَى لَدَيْهِ العَواطِفُ

٤٣ - فأنتَ شَفيعٌ لا تُرَدُّ، ومَنْ يَعُذْ ... بِجاهِكَ لا تُسْرِعْ إليهِ المَتالِفُ

٤٤ - وأنَّى يَخافُ الخَطْبَ عَبْدٌ مُؤَمِّلٌ ... عَلَى بابِكَ الرَّحْبِ الجَوانِبِ واقِفُ؟

٤٥ - عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ ما حَنَّ وافِدٌ ... إلَيْكَ وما آوَىٰ إلَىٰ البَيْتِ طائِفُ

٤٦ - وما بَقِيَتْ دارُ النَّعيمِ مُجَدَّدًا ... يُبارِكُ فيهِ رَبُّنا ويُضاعِفُ

٤٧ - وعَمَّ بأسْنَىٰ الفَضْلِ أصْحابَكَ الأُولَىٰ ... رَأَوْكَ فلَمْ يَصْرِفْهُمُ عَنْكَ صارِفُ

= وتاليه زيادة من (ب).

(٣٧) أرباب: أصحاب. رفارف: رياض أو بُسُط (جمع بساط)، قال الله تعالى فى أصحاب الجنة: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ الرحمن / ٧٦ . أى بُسُط ووسائد [انظر: تفسير الجلالين، ص ٧٠٩].

(٣٨) فيا مصطفى الرحمن: يا من اصطفاه ـ أى اختاره ـ الرحمن. مسحنفر: ممتد.

(٣٩) المبطلين: أصحاب الباطل. يقول: أنت أيها النبى من جمعت الناس على دين الله الحق، بينما أهل الباطل تفرقت بهم الأهواء والملل والضلالات.

(٤٠) عازفا: منصرفا. طاحت: هُدمت وقضى عليها. الطِّلى: الخمر. المعازف: ما يعزف عليه من آلات النغم والموسيقا.

(٤١) رواء: وصف لموصوف محذوف تقديره: ماء، أى ماء يَروى الشاربين. صائف: حار من أيام الصيف.

(٤٢) الملك: اسم من أسماء الله الحسنى. العواطف: ما يجلب العطف والرحمة، وأراد بها: الشفاعة.

(٤٣) يَعُذ: يلجأ ويستغيث. المتالف: ما يتلف ويهلك. وفى (أ): التوالف، وهو خطأ صرفى، والصواب ما أثبته من (ب).

(٤٤) أنَّى: كيف. الخطب: المصيبة، والأمر العظيم. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٤٥) (ما) فى صدر البيت وعجزه ظرفية لبيان المدة. وكذا فى صدر البيت التالى.

(٤٦) دار النعيم: الجنة.

(٤٧) أسنى: أعلى.

٤٨ - وأتْبـاعَـهُـمْ فى كُلِّ عَـصْـرٍ منَ الورَىٰ فـفِى كُلِّ وَقْتٍ مِنْهُمُ الدَّهْرَ عَـارِفُ

*****

---

(٤٨) الدهرَ: منصوب على الظرفية، أى: أبَدَ الدّهر.

قافية القاف

تضم هذه القافية ثلاث قصائد، الأولى متوسطة الطول ، والثانية قصيرة من (١٩) تسعة عشر بيتاً، والثالثة طويلة.

القافيَّة الأولى

(عدتها ٣٥ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بالنسيب وشرح أشواق الشاعر نحو أرض الحجاز ومنى والخيف وسائر الأماكن المعظمة، والدعاء لها بالسقيا والخصب حتى تترنح الأغصان ويشدو الحمام، ثم يُحمِّل ركب الحجاز رسالة شوق إلى الكعبة المشرفة ومن حلَّ بأرض الحمى، ثم يدخل إلى مدح ساكنه الكريم ﷺ، الذى ألَّف بين القلوب وجلا ظلمات الضلال، وبلغ قمة الحسن خَلْقًا وخُلُقًا، ثم يتوسل به إلى الله أن يجلو كربه ويكشف عنه خطوب زمن صعب صار أهله فيه شيعًا حتى تمنَّى التقيُّ الموتَ فراراً من فتنه ومهالكه.

والقصيدة تتضمن العناصر الآتية :

- فى حب الديار المقدسة.
- رسالة شوق وحب إلى الحمى الطاهر.
- فى مديح النبى ﷺ.
- توسل ودعاء.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أبارِقٌ عَنَّ بالجَرْعاءِ يأتَلِقُ ... أمِ الأسِنَّةُ حَوْلَ الحَيِّ تَحْتَدِقُ

٢ - أمِ المُحِبُّ دَعاه نَحْوَ كاظِمةٍ ... داعي الهَوَىٰ فَحَدَتْ أنْفاسَهُ الحُرَقُ

٣ - سَقَىٰ العُذَيْبَ ونَجْداً والحِجازَ جَداً ... يَحيَا به الأقْحُوانُ الأبْيَضُ اليَقَقُ

٤ - وعَاجَ نَحْوَ مِنَىٰ والخَيْفِ وانْبَجَسَتْ ... بأرْضِ نَعْمانَ مُزْنٌ ما وَهَىٰ غَدِقُ

٥ - وصَبَّحَتْ ساحَةَ البَطْحاءِ سارِيَةٌ ... لَهَا اصْطِباحٌ بَرَيَّاهَا ومُغْتَبَقُ ٤٨/ب

٦ - وباكَرَتْ جَنَباتِ الخَيْمَتَيْنِ إلَىٰ ... وَادِي العَقِيقِ وسَلْعٍ مُزْنَةٌ تَدِقُ

٧ - فَغادَرَتْ عَذَباتِ البَانِ مائِسَةً ... يَشْدُو بها الوُرْقُ حَتَّى يَطْرَبَ الوَرَقُ

٨ - ورَنَّحَتْ دَوْحَها رِيحُ الصَّبَا سَحَراً ... حَتَّىٰ تَخالَ بها الأغْصانَ تَعْتَنِقُ

٩ - باللهِ يا حَادِيَيْ رَكْبِ الحِجازِ خُذَا ... عَنِّي رَسائِلَ شَوْقٍ بَثَّها الأرَقُ

١٠ - فَأدِّيَاها إلَىٰ ذَاتِ السُّتُورِ ومَنْ ... حَلَّ الحِمَىٰ فَلِقَلْبِي بالحِمَىٰ عَلَقُ

١١ - وإنْ دَنَتْ مِنْ حِمَىٰ سَلْعٍ مَطِيُّكُمَا ... فأصْبَحَتْ بِمُناخٍ نَشْرُهُ عَبِقُ

---

(١) بارق: بَرْق لامع. عَنَّ: ظهر. يأتلق: يلمع بالضوء. الأسنَّة: جمع سنان، وهو حد السيف. تحتدق: تحيط.

(٢) كاظمة: بلد فى الطريق بين البصرة ومكة المكرمة، بينها وبين البصرة مسيرة ثلاثة أيام. حَدَت: بعثت. الحُرَق: جمع حرقة، وهى ما يجد العاشق من الشوق.

(٣) جدا: مطر. وفى النبهانية (حيا) وهو المطر أيضا. الأقحوان: نبت له زهر أبيض. اليقق: شديد البياض.

(٤) عاج: مال ومرّ. الخَيْفُ: بفتح الخاء وسكون الياء هو المحصَّب، أى موضع رمى الجمار فى منى [معجم البلدان ٢ / ٤٧١] . انبجست: انفجرت. غدق: كثير.

(٥) سارية: سحابة. الاصطباح: الشرب فى الصباح، ومغتبَق: مصدر ميمى بمعنى الاغتباق وهو الشرب آخر النهار. رِيَّاها: ماؤها الذى يروى، وفى النبهانية: بمغناها.

(٦) باكرت: جاءت بكرة، أى فى الصباح الباكر. الخيمتين: ذات الخيمتين: موضع قرب المدينة المنورة [معجم البلدان ٤٧٣] .
مزنة: سحابة، وهى فاعل (باكرت). تدق: تمطر مطراً غزيراً.

(٧) عذبات البان: أغصانه. مائسة: تتمايل وتهتز طربا. الوُرْق: الحمائم. الورق: ورق النبات.

(٨) رنَّحت: جعلته يترنَّح، أى يهتز ويتمايل كالسكران. دوحها: أشجارها الضخمة. سحراً: فى وقت السحر. تخال: تظن. تعتنق: تتعانق.

(٩) يا حاديى: يا سائقى. الأرق: السهر.

(١٠) عَلَق: تعلُّق وحب.

(١١) مُناخ: موضع إناخة الإبل حيث تستريح. نشره: رائحته الطيبة. عبق: عطرٌ فوَّاح.

١٢ - فَبَلِّغَا مِنْ تَحِيَّاتِي أَطَايِبَهَا ... رَبْعًا بِأَرْجَائِهِ الأَنْوَارُ تَخْتَرِقُ

١٣ - رَبْعًا بِطَيْبَةَ أَضْحَىٰ لِلْوَرَىٰ لَجَأً ... يَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ غَامِضٍ عُنُقُ

١٤ - مَا أَمَّهُ الرَّكْبُ إِلاَّ وَالقُلُوبُ عَلَىٰ ... آثَارِهِ مِنْ ذَوِي الأَشْوَاقِ تَسْتَبِقُ

١٥ - حَثُّ الرَّكَائِبِ مَشْرُوعٌ إِلَيْهِ وَلَوْ ... أَنْضَىٰ ظُهُورَ المَطِيِّ النَّصُّ وَالعَنَقُ

١٦ - وَكَيْفَ لا تُقْطَعُ البِيدُ القِفَارُ إِلَىٰ ... هَادٍ بِأَنْوَارِهِ ضَاءَتْ لَنَا الطُّرُقُ

١٧ - مُحَمَّدٍ صَفْوَةِ الرَّحْمٰنِ أَرْسَلَهُ ... إِلَىٰ أَعَارِيبَ وَارَىٰ حِلْمَهَا الخَرَقُ

١٨ - تَفَرَّقَتْ سُبُلُ الكُفْرِ المُبِينِ بِهَا ... لَكِنَّهَا فِي جُحُودِ الحَقِّ تَتَّفِقُ

١٩ - أَتَىٰ يُبَشِّرُهَا طَوْرًا وَيُنْذِرُهَا ... طَوْرًا، وطَوْرًا لَهَا مِنْ بَأْسِهِ فَرَقُ

٢٠ - حَتَّىٰ انْجَلَىٰ بِسَنَا أَنْوَارِ مِلَّتِهِ ... عَنْهَا ظَلامُ ضَلالٍ دُونَهُ الغَسَقُ

٢١ - وَأَلَّفَ اللهُ مَا بَيْنَ القُلُوبِ بِهِ ... وَزَالَ عَنْهَا بِهِ البَغْضَاءُ وَالحَنَقُ

٢٢ - وَإِنَّهُ لَنَذِيرُ الإِنْسِ قَاطِبَةً ... وَالجِنِّ خُصَّ بِهَا دُونَ الأُلَى سَبَقُوا

٢٣ - تَسَنَّمَ الذِّرْوَةَ العَلْيَاءَ ثُمَّ حَوَىٰ ... كُلَّ المَحَاسِنِ مِنْهُ: الخَلْقُ وَالخُلُقُ

٢٤ - لَقَدْ كَسَا اللهُ مَعْنَاهُ وَصُورَتَهُ ... حَدَائِقَ الحُسْنِ يَسْمُو نَحْوَهَا الحَدَقُ

---

(١٣) ربعًا: بدل من (ربعًا) في عجز البيت السابق. لجأً: ملجأً آمنًا. فج: طريق. غامض: ليس به أعلام تهدى السائرين. عُنُق: جماعات من الناس.

(١٤) أمَّه: قصده.

(١٥) الحث: الإسراع فى السير. أنضى: أهزل وأرهق. النص والعنق: كلاهما السير السريع. وفى (أ): حُثَّ الركائب من عرض إليه ولو... وما أثبته من النبهانية.

(١٦) البيد: الصحارى، جمع بَيْداء. ضاءت: أضاءت.

(١٧) صفوة الرحمن: الذى اصطفاه - أى اختاره وفضله - الله عز وجل. وارى: ستر وغطّى. حلمها: عقلها. الخَرَق والخُرْق: الجهل والحماقة.

(١٨) سبل: طرق. والضمير فى (بها) عائد على (أعاريب) فى عجز البيت السابق. يقول: أرسله الله إلى قبائل العرب وقد تفرقت بهم سبل الضلال، لكنهم اتفقوا على جحود الحق.

(١٩) طورًا: مرة. بأسه: شدته. فَرَق: رعب وفزع.

(٢٠) انجلى: انكشف وزال. الغسق: ظلمة أول الليل. (٢١) الحنق: الغضب والحقد.

(٢٢) قاطبة: جميعا. الأُلَىٰ: الذين. يقول إن عمومية رسالة سيدنا محمد ﷺ وكونه مرسلاً لجميع الإنس والجن - خاص به ﷺ دون السابقين من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢٣) تسنّم: ارتقى. الذروة: القمة. الخَلْق: الصورة والهيئة، والخُلُق: الأخلاق.

(٢٤) الحدق: العيون. وهذا البيت وما بعده تفصيل لما أجمله فى البيت السابق فى قوله: ثم حوى كلَّ المحاسن منه الخَلْقُ والخُلُق.

٢٥ - كـأنَّ ديباجَتَيْهِ رَوْضَةٌ أُنُفٌ ... والطَّلُّ مِنْ فَوْقِها كاللؤْلؤِ العَرَقُ

٢٦ - مُهَذَّبٌ لَفْظُهُ كأنَّ مَنْطِقَهُ ... عِقْدٌ منَ الدُّرِّ فَوْقَ الجيدِ مُتَّسِقُ ٤٩/أ

٢٧ - وكَفُّهُ لا يُضاهِي جُودَها بَشَرٌ ... أنَّى ومِنْها نَميرُ الماءِ مُنْدَفِقُ؟

٢٨ - وبأسُهُ لا تُجارِيهِ الكُماةُ، أما ... ظَلَّتْ بإيمائِهِ الأصْنامُ تَصطَفِقُ؟

٢٩ - وهْوَ الحَليمُ ألَمْ يَصْفَحْ عَلَى ظَفَرٍ ... عَمَّا جَناهُ الخَبيثُ السَّاحِرُ النَّزِقُ

٣٠ - والعَدْلُ فى الخَصْمِ والأصْحابِ سيرَتُهُ ... لا يَعْتَرِى حُكْمَهُ بَخْسٌ ولا رَهَقُ

٣١ - يا مَنْ خَصائِصُهُ لَمْ يُؤْتَها أحَدٌ ... وفِيهِ ما فى الكِرامِ الزُّهْرِ مُفْتَرِقُ

٣٢ - يا مَنْ إذا نالَنِى ضَيْمٌ وضِقْتُ بِهِ ... ذَرْعًا فَقَلْبِى بِهِ فى كَشْفِهِ يَثِقُ

٣٣ - لَمْ يُبْقِ ذا الوَقْتُ فى جِسْمِى سِوَىٰ رَمَقٍ ... فامْنُنْ عَلَىَّ بِما يَحْيَا بِهِ الرَّمَقُ

٣٤ - فإنَّنِى فى زَمانٍ أهْلُهُ شِيَعٌ ... وَدَّ التَّقِىُّ بِهِ لَوْ مَسُّهُ نَفَقُ

٣٥ - فلا تَذَرْنِى نَهْبًا لِلْخُطُوبِ بِهِ ... فإنَّنِى بِكَ - بَعْدَ اللهِ - أعْتَلِقُ

*****

---

(٢٥) ديباجتيه: خدَّيه. أنف: ناضرة مزدهرة دائمة الخضرة. يقول: كأن خديه ﷺ والعرق يعلوهما، كروضة زاهرة يعلوها الندى الأبيض كاللؤلؤ.

(٢٦) متسق: منتظم.

(٢٧) أنَّى: كيف. نمير الماء: العذب الصافى.

(٢٨) الكماة: الفرسان الشجعان. بإيمائه: بإشارته. تصطفق: تتصادم فى تساقطها.

(٢٩) يصفح: يعفو. على ظفر: مع ظفره ونصره على عدوه. النزق: السفيه الطائش، وهو اليهودى الذى سحر النبى ﷺ، ثم عفا عنه النبى ﷺ.

(٣٠) لا يعترى: لا يصيب. بخس: نقص. رهق: ظلم.

(٣١) الزهر: البيض، أى الكرام، وهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٣٢) ضيم: ظلم. ضقت به ذرعا: لم أستطع احتماله والصبر عليه.

(٣٣) الرمق: بقية الروح. امنن علىَّ: تكرَّم. يقول: إن هذا الزمان الصعب لم يبق لى سوى بقية الروح، فانعم على بما تحيا به روحى.

(٣٤) شيع: جماعات متفرقة. نَفق: موت. وفى النبهانية: ودَّ التقىُّ به لو ضَمَّه نفق، وفسر النفق بالسرداب تحت الأرض.

(٣٥) لا تذرنى: لا تتركنى. نهبًا: هدفًا معَّرضًا لها. الخطوب: المحن. أعتلق: أتعلق وأتمسك.

القافيَّة الثانية

(عدتها ١٩ ـ الوافر الأول)

هذه القصيدة زفرة حنين وآهة ملتاعة شوقًا إلى أرض الحمى، تصوِّر عاشقًا بالعراق جسدُه وبالحجاز روحُه، يهتز وجدًا كلما ذكر العقيق وسلع والحجاز، تلك البقاع التى شهدت رسول الإنسانية محمدًا ﷺ.

وتحتوى القصيدة على عنصرين :

- فى الحنين والشوق إلى الربوع الطاهرة.
- فى مديح النبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - دُمُوعَ العَيْنِ مَوْعِدُكِ الفِراقُ ... هُنالِكَ ما خَزَنْتِ أسًى يُراقُ

٢ - وما رِفْقُ المُتَيَّمِ يَوْمَ بَيْنٍ ... بِأدْمُعِهِ وقَدْ سَارَ الرِّفاقُ؟!

٣ - أيَا رَكْبَ الحِجازِ - هُدِيتَ - رِفْقًا ... بِقَلْبٍ هائِمٍ مَعَكُمْ يُساقُ!

٤ - عَجِبْتُ لَه يَحِلُّ بِذاتِ عِرْقٍ ... بِهِمَّتِهِ، ومَنْزِلُهُ العِراقُ

٥ - ويَسْكُنَ أرْضَ نَعْمانَ اشْتِياقًا ... ولَمْ تَشْعُرْ بِمَسْراهُ النِّياقُ

٦ - فَيَا لَيْلاتِ خَيْفِ مِنًىٰ أتُقْضَىٰ ... مَآرِبُ فى ظِلالِكِ أمْ تُعاقُ؟

٧ - ويَا بَطْحاءَ مَكَّةَ هَلْ سَبِيلٌ ... إلىٰ وَصْلٍ يَلَذُّ بِهِ المَذاقُ؟

٨ - وهَلْ رَدٌّ إلىٰ أعْلامِ سَلْعٍ ... لِصَبٍّ لا يُزايِلُهُ اشْتِياقُ؟

٩ - طَلِيقِ جَفْنُهُ سَهَرًا ودَمْعًا ... أسِيرٍ لا يُفَكُّ لهُ وَثاقُ

١٠ - جَلِيدٍ لا يُطِيقُ الصَّبْرَ ضَعْفًا ... ويَحْمِلُ فى الهَوَىٰ ما لا يُطاقُ

١١ - يُجِيبُ دَواعِيَ الأشْجانِ طَوْعًا ... وعَنْ حُكْمِ السُّلُوِّ لَهُ إباقُ ٤٩/ب

١٢ - يُجَنُّ إذا تَأَلَّقَ ومْضُ بَرْقٍ ... وإن هَتَفَ الحَمامُ ضُحًى يُشاقُ

١٣ - إذا ذُكِرَ الحِمَىٰ يَهْتَزُّ وَجْدًا ... كَما تَهْتَزُّ مُرْهَفَةٌ رِقاقُ

---

(١) دموع العين: منادى حذفت أداته. يراق: يسكب.

(٢) المتيم: العاشق. بَيْن: فراق. و(ما) فى أول البيت: استفهامية يراد بها التعجب، يتعجب من العاشق كيف يملك أدمعه وقد فارق أحبته بينما سار رفاقه قاصدين الأحبة.

(٤) ذات عرق: ميقات أهل العراق. يتعجب ممن يقيم بروحه وقلبه فى ذات عرق [وهى الحد بين نجد وتهامة، انظر معجم البلدان ٤ / ١٢١] بينما هو مقيم بجسده فى العراق، وذلك لحنينه إلى زيارة البقاع الشريفة.

(٥) مسراه: مسيره. النياق: جمع ناقة.

(٦) مآرب: حاجات.

(٨) رد: رجوع، وفى النبهانية: عَوْد، وهما بمعنى. أعلام سلع: جبالها. صب: عاشق. لا يزايله: لا يفارقه.

(٩) طليق جفنه: كثير البكاء. وثاق: قيد.

(١٠) جليد: صبور.

(١١) السُّلُوّ: النسيان. إباق: فرار.

(١٢) تألق: لمع. ومض: ضوء.

(١٣) وجدا: حبا وشوقا. مرهفة رقاق: سيوف لامعة.

١٤ - وإنْ ذُكِرَ العَقِيقُ فَثَمَّ أضْحَىٰ ... جِمَاعُ الحُبِّ لَيسَ لهُ افْتِراقُ

١٥ - بِمَنْ كُسِيَتْ بِهِ الأرْضُونَ فَخْراً ... ومَنْ شَرُفَتْ بِهِ السَّبْعُ الطِّباقُ

١٦ - دَعَاهُ جِبْرئِيلُ إلىٰ ذُراهَا ... فَطافَ بِها ومَرْكَبُهُ البُراقُ

١٧ - فَصَارَ إلَىٰ مَقاماتٍ عِظَامٍ ... يُرَىٰ للنُّورِ فِيهِنَّ اخْتِراقُ

١٨ - بِهَا لَوْ جِبْرَئِيلُ دَنَا لأَوْدَىٰ ... بِهِ مِنْ تِلْكُمُ الحُجُبِ احْتِراقُ

١٩ - فَيَا لَكِ حَلْبَةً للسَّبْقِ بَذَّتْ ... فَأعْجَزَ مَنْ يُحاوِلُها اللِّحاقُ!

*****

---

(١٤) ثمَّ: عندئذ. وجاء هذا البيت قبل السابق فى النبهانية.

(١٥) السبع الطباق: السماوات السبع.

(١٨) أودى به: أهلكه. يقول إن النبى ﷺ عرج فى ليلة معراجه إلى السماوات العُلىٰ، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم علا حتى تجاوز جبريل وصعد إلى درجات لا يستطيع جبريل عليه السلام أن يرتقى إليها، وإلا أهلكته الحجب. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(١٩) حلبة السبق: ميدان السباق، وأراد به ما خُصَّ به سيدنا محمد ﷺ من مكارم فاقت ما أكرم الله عز وجل به عباده. بذت: غلبت وفاقت.

القافيَّة الثالثة

(عدتها ٦١ ـ السريع الأول)

مناجاة طويلة للمحبوب ﷺ، وشرح للأشواق والحب الخالص لشخصه الكريم، ولكل من يقيم فى حماه، ولتلك الربوع الطاهرة التى شرفها بالخطو فوقها، واستعادة للذكريات التى عاشها الشاعر فى تلك الديار الطاهرة، وأمنيات العودة إليها وإلى حمى النبى الكريم ﷺ.

ثم ينتقل بنا إلى مديح النبى ﷺ وذكر بعض مآثره ومحاسنه ومعجزاته، وينهى القصيدة بالتوسل والاستغاثة بجاهه العظيم أن يجيره من خطوب الزمان، وأن يستنقذه من أحزانه ولوعته فى البعد عن حماه، وأن يسأل له الله عز وجل أن يفسح له قبره وأن يفيض عليه من رحمته يوم القيامة.

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- فى مناجاة المحبوب ﷺ.
- ذكريات فى الربوع المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- توسل واستغاثة بجاهه العظيم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - لَوْلا شَذاً مِنْ نَحْوِكُمْ يُنْشَقُ ... مـا حَنَّ نَحْوَ المُتْهِمِ المُعْرِقُ

٢ - ولا صَبَا فى الصُّبْحِ نَحْوَ الصَّبَا ... ولا أثَارَتْ شَجْوَهُ الأيْنُقُ

٣ - مـا لِرُبوعٍ بَعْدَكُمْ بَهْجَةٌ ... ولا لِرَوْضٍ ناضِرٍ رَوْنَقُ

٤ - أنْتُمْ مَعَانِيهَا فإنْ غِبْتُمُ ... فَلَيْسَ فِيهَا حَسَنٌ يُرْمَقُ

٥ - لَوْلاكُمُ مَا هَاجَنِى بَارِقٌ ... ولا شَجَانِى بالحِمَى أبْرَقُ

٦ - ولا لَوَى لِى عُنُقًا فى الهَوَى ... عِيسٌ إذا جَدَّ السُّرَى تُعْنِقُ

٧ - مَا عَرَّضَ الحَادِى بِذِكْرَاكُمُ ... إلاَّ وسَمْعِى نَحْوَهُ يَسْبِقُ

٨ - ولا سَرَى رَكْبٌ إلَى أرْضِكُمْ ... إلاَّ تَلاهُ قَلْبِىَ الشَّيِّقُ

٩ - فُكُّوا أسِيرًا لَكُمُ مُوثَقًا ... عَلَيْهِ فى حِفْظِ الهَوَى مَوْثِقُ

١٠ - فُؤادُهُ قَيَّدَهُ حُبُّكُمْ ... وجِسْمُهُ بَيْنَ الوَرَى مُطْلَقُ

١١ - قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ النَّوَى إنْ جَرَى ... فِراقُكُمْ فى خَاطِرِى أفْرَقُ

١٢ - وكُنْتُمُ نُصْبًا لِعَيْنِى فَهَلْ ... طَيْفُ خَيَالٍ مِنْكُمُ يَطْرُقُ؟!

١٣ - أحْبَبْتُكُمْ طِفْلاً وقَدْ أخْلَقَتْ ... شَبِيبَتِى والوُدُّ لا يَخْلَقُ ٥٠/أ

---

(١) شذا: رائحة طيبة. ينشق: يُشَمّ. المتهم: السائر إلى تهامة. المعرق: السائر إلى العراق.

(٢) صبا: مال واشتاق. الصَّبا: ريح القبول. شجوه: حنينه وشوقه. الأينق: جمع ناقة، وقصد بها الإبل المتوجهة لزيارة البيت الحرام.

(٣) رونق: بهجة وجمال.

(٤) يُرمَق: ينظر إليه.

(٥) هاجنى: حرّك مشاعرى. شجانى: أحزننى. بارق: برق. الأبرق: الأرض التى اختلطت فيها الرمال بالحجارة.

(٦) عيس: إبل بيضاء. جدّ: اشتد. تعنق: تسير مسرعة.

(٧) عرّض: ذكر بطريقة غير مباشرة.

(٨) تلاه: تبعه. الشيّق: المشتاق.

(٩) موثقًا: مشدودًا مقيدًا بالحبال. مَوْثِق: عهد.

(١٠) وجسمه: كذا فى النبهانية وهو الأليق بالمعنى، وفى (أ): وحبه.

(١١) النَّوَى: الفراق. أفرق: أفزع وأخاف.

(١٢) نصبًا لعينى: ماثلاً أمام العين تراه دائمًا. يطرق: يزور.

(١٣) أخلقت: بليت. شبيبتى: شبابى.

١٤ - أنّىٰ أشُوبَ الآنَ صَفْوَ الهَوَىٰ ... وعَارِضِى قَدْ شَابَ والمَفْرِقُ؟!

١٥ - يَليقُ بِى صَبْرِى عَلىٰ حُكْمِكُمْ ... ولٰكِنِ العَطْفُ بِكُمْ أَلْيَقُ

١٦ - هَلْ عَائِدٌ لِى - والمُنَىٰ ضِلَّةٌ - ... ظِلٌّ وَوِرْدٌ سَائِغٌ رَيِّقُ؟

١٧ - بِأَرْضِ نُعْمَانَ وَوادِى مِنىٰ ... والخَيْفِ، لَوْ أنَّ المُنَىٰ تَصْدُقُ !

١٨ - وهَلْ بِذاكَ الشِّعْبِ لِى وَقْفَةٌ ... فِى حَرَمٍ أنْوارُهُ تُشْرِقُ

١٩ - ورَبَّةُ السِّتْرِ لَنَا مُجْتَلَى ... وَعُودُ وَصْلِى مُثْمِرٌ مُورِقُ

٢٠ - وأكْثَرُ الآمالِ لَوْ ضَمَّنِى ... بِسَفْحِ سَلْعٍ مَرْبَعٌ مُونِقُ

٢١ - فَبِالقِبَابِ البِيضِ لِى مَطْلَبٌ ... عَرْفُ الرِّضَا مِنْ تُرْبِهِ يُنْشَقُ

٢٢ - مُحَجَّبٌ بالعِزِّ لا بالظُّبَا ... بِهِ سَنَاهُ لا القَنَا تُحْدِقُ

٢٣ - تَقْطَعُ بالأشْواقِ أرْواحُنَا ... إلَيْهِ مَا لا تَقْطَعُ السَّبَّقُ

٢٤ - حَازَ كُنُوزَ الفَضْلِ بالمُصْطَفَىٰ ... ذاكَ الجَنابُ العَطِرُ المُشْرِقُ

٢٥ - وكُلُّ فَجٍّ أرِجٍ بالتُّقَىٰ ... فَإنَّه مِنْ طِيبِهِ يَعْبَقُ

٢٦ - مُحَمَّدٌ فَاتِحُ بابِ الهُدَىٰ ... فَهْوَ - إلىٰ المِيقاتِ - لا يُغْلَقُ

---

(١٤) أشوب: أعكّر. عارضى: خدى. المفرق: حيث يفرق الشعر. يقول: كيف أعكّر صفو حبى لكم الآن وقد شاب شعرى؟ وأنا الذى حفظت حبكم وتعلقته منذ طفولتى؟! فهو استفهام غرضه النفى.

(١٦) المنى: الأمنيات. ضلة: ضلال. ريّق: رائق حسن. يقول: هل تعود لى تلك الذكريات الجميلة فى أرض ظلها ممدود وماؤها عذب سائغ للشاربين؟ وجملة: والمنى ضلة، اعتراضية، كأنه يقول إن هذه الأمنيات تقود إلى الضلال.

(١٧) بأرض نعمان: متعلق بـ (عائد) أى: هل عائد لى ذلك الزمان الطيب بأرض نعمان و... إلخ.

(١٩) مجتلى: موضع نظر.

(٢٠) مونق: معجب بحسنه يروق للناظرين..

(٢١) عرف: رائحة طيبة.

(٢٢) الظبا: السيوف. سناه: ضوؤه. القنا: الرماح. تحدق: تحيط.

(٢٣) السَّبَّق: الركائب السراع. يقول: إن أرواحنا تقطع من المسافة ما لا تستطيع قطعه الركائب المسرعة.

(٢٥) فَجّ: طريق. أرج: عَطِر. يعبق: تفوح له رائحة طيبة.

(٢٦) الميقات: يوم القيامة.

٢٧ - أتَىٰ بِدِينٍ قَيِّمٍ واضِحٍ ... بَيْنَ الضَّلالِ والهُدَىٰ يَفْرُقُ

٢٨ - يَنْمِي ويَزْدَادُ ودِينُ الهُدَىٰ ... أئِمَّةُ الزَّيْغِ بِهِ تُمْحَقُ

٢٩ - كَذلِكَ الحَقُّ إذَا ما عَلا ... عَلَىٰ مُحالٍ بَاطِلٍ يَزْهَقُ

٣٠ - طَوَىٰ الطِّباقَ السَّبْعَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ ... إلَىٰ مَدًى لِلسَّبْقِ لا يُلْحَقُ

٣١ - قَامَ مَقامًا لَوْ دَنَا غَيْرُهُ ... مِنْهُ لأضْحَىٰ - بالسَّنَا - يُحْرَقُ

٣٢ - وعَادَ لَيْلاً وأَسَارِيرُهُ ... بِنَضْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ تَبْرُقُ

٣٣ - يا وَيْلَ مَنْ كَذَّبَهُ بَعْدَ مَا ... كَانَ أمِينًا فِيهِمُ يَصْدُقُ

٣٤ - لَوْ لَمْ يَقُلْ: إنِّي رَسُولٌ، أمَا ... شَاهِدُهُ فِي وَجْهِهِ يَنْطِقُ ؟! ٥٠/ب

٣٥ - سُبْحَانَ مَنْ صَوَّرَهُ صُورَةً ... أكْمَلَ مَعْنَاها الَّذِي يَخْلُقُ

٣٦ - كَأنَّ فَاهُ - بَاسِمًا ناطِقًا ... - بِجَوْهَرِ الغَائِصِ مُسْتَحْدَقُ

٣٧ - فَالشَّفَةُ اليَاقُوتُ واللُّؤْلُؤُ الـ ... ـرَّطْبُ الثَّمِينُ الثَّغْرُ والمَنْطِقُ

٣٨ - جَبِينُهُ الصُّبْحُ ومِنْ فَوْقِهِ الـ ... ـفَرْعُ الدُّجَىٰ، والفَلَكُ المُفْرِقُ

٣٩ - كَأنَّمَا قَدْ صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ ... بَنَانُهُ والكَفُّ والمِرْفَقُ

٤٠ - مُخَصَّصٌ بالخُلُقِ المُرْتَضَىٰ ... سَمْحٌ حَلِيمٌ خَاشِعٌ مُشْفِقُ

٤١ - يَسْمُو ويَعْلُوهُ بَهَاءٌ إذَا ... مَا قَالَ، والتَّوْقِيرُ إذْ يُطْرِقُ

٤٢ - كَانَ عَلَىٰ الأعْدَاءِ ذا قُوَّةٍ ... وبِالَّذِي يَبْغِي الهُدَىٰ يَرْفُقُ

---

(٢٨) ينمى: يزيد. الزيغ: الضلال. تمحق: تُمحَى. وفى (أ) ودين العدا، وهو تصحيف، والصواب من النبهانية.

(٢٩) يزهق: يزول.

(٣٠) الطباق السبع: السماوات السبع.

(٣٢) أساريره: خطوط وجهه وملامحه. نضرة: حُسْن.

(٣٦) بجوهر الغائص: اللآلئ التى يبحث عنها الغواص. مستحدق: محاط. يصف كلام النبى ﷺ باللآلئ الثمينة.

(٣٨) الفرع: الشعر. الدجى: الظلام.

(٣٩) بنانه: أطراف أصابعه.

(٤٠) مخصص: فى (أ): وخصَّه. والتصويب من النبهانية.

(٤١) بهاء: جمال وحسن. يطرق: يخفض رأسه، والمراد: عندما لا يتكلم. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

٤٣ - فى صُلْبِ نُوحٍ كَانَ مُسْتَوْدَعًا ... فَهْوَ علىٰ الآذىِّ لا يَغْرَقُ

٤٤ - وصُلْبُ إبراهيمَ مِنْ أجْلِهِ ... لَهُ ضِرامُ النَّارِ لا يُحْرِقُ

٤٥ - وكَانَ مِنْ مُعْجِزِهِ أنْ غَدَا ... ماءٌ رِوَى مِنْ كَفِّهِ يَدْفُقُ

٤٦ - كَمَا حَوَىٰ كَفَّاهُ تَمْرًا بِهِ ... أشْبَعَ جَيْشًا ضَمَّهُ الخَنْدَقُ

٤٧ - ومِزْوَدُ الدَّوْسِىِّ فَاعْجَبْ لَهُ ... إذْ زُوِّدَتْ مِنْ تَمْرِهِ الأوْسُقُ

٤٨ - فُرْسَانُهُ أخْنَتْ عَلىٰ فَارِسٍ ... فَزَالَ عَنْهَا التَّاجُ والمِنْطَقُ

٤٩ - وجَاهُهُ مُتَّصِلٌ بَعْدَمَا ... يُصْعَقُ بالنَّفْخَةِ مَنْ يُصْعَقُ

٥٠ - غَدًا لَهُ الحَوْضُ وفى كَفِّهِ ... لِواءُ حَمْدٍ شَامِلٌ يَخْفِقُ

٥١ - وهْوَ شَفِيعٌ مُنْقِذٌ فى غَدٍ ... مَنْ بالخَطَايَا فِى لَظًى مُوثَقُ

٥٢ - يا مَنْ لَهُ فى مَنْقَبَاتِ العُلا ... وفى البَرَايَا نَسَبٌ مُعْرِقُ

٥٣ - ويَعْرِفُ المُخْضَرُّ آثارَهُ ... ومَغْرِبُ الغَبْرَاءِ والمَشْرِقُ

---

(٤٣) الآذى : الموج.

(٤٤) ضرام النار : جمرها ولهيبها .

(٤٧) المزود : كيس يوضع فيه التمر ونحوه . الدَّوسى : أبو هريرة ﷺ . الأوسق : جمع وسق، وهو ستون صاعا أى نحو مائة قدح . يشير إلى ما رواه الترمذى والبيهقى وغيرهما عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله ﷺ بتمرات [وفى بعض الروايات ذكر أن عدد هذا التمر إحدى وعشرون تمرة] فدعا النبى ﷺ فى هذا التمر، ثم قال لأبى هريرة : ادعُ عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقى فى المزود من هذا التمر . قال أبو هريرة : فأكلت منه حياة النبى ﷺ ، وأكلت منه حياة أبى بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها، فلما قتل عثمان نُهِبَ ما فى بيتى، ونهب المزود . وجاء فى بعض الروايات أن أبا هريرة أخرج من هذا التمر خمسين وسقا فى سبيل الله [انظر : دلائل البيهقى ٦ / ١٠٩ : ١١١] .

(٤٨) أخنت عليهم : أهلكتهم . المنطق : حزام يجعله الفارس فى وسطه . يقول إن الأمة الإسلامية أزالت ملك الفرس وقضت على قوتهم العسكرية .

(٤٩) يصعق : يغشى عليه . النفخة : النفخة فى الصور يوم القيامة .

(٥١) لظى : نار . موثق : مقيد . فى (أ) : من الخطايا فى لظى موبق . ولا يتبين معناه، والصواب ما أثبته من النبهانية .

(٥٢) منقبات : جمع منقبة وهى الفضيلة والمكرمة . معرق : أصيل .

(٥٣) المخضر : ما اخضرَّ من الأرض، كذا فى (أ)، وفى النبهانية (الخضراء) وفسرها بالسماء، ولعله أصوب لأنه ذكر الأرض فى عجز البيت . الغبراء : الأرض .

٥٤ - ووَصْفُهُ يَعْجِزُ عَنْ حَصْرِهِ ... نَظْمًا ونَثْرًا ماهِرٌ مُفْلِقُ

٥٥ - مَسَّنِيَ الضُّرُّ وما لِي سِوَىٰ ... جَاهِكَ أسبَابٌ بِها أَعْلَقُ

٥٦ - كُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ زَمانٍ بِهِ ... قَوارِعٌ أسْهُمُها تُرْشَقُ ١/٥١

٥٧ - أحْسِنْ بِرؤْياكَ وعَجِّلْ، فَلِي ... قَلْبٌ كَئِيبٌ مُغْرَمٌ شَيِّقُ

٥٨ - واسْأَلْ لِيَ الرَّحْمٰنَ رَوْحًا، عَسَىٰ ... يُفْسَحُ لِي قَبْرٌ - غَدًا - ضَيِّقُ

٥٩ - ورَحْمَةً تُوصِلُنِي جَنَّةً ... لِبَاسُها الفَاخِرُ إسْتَبْرَقُ

٦٠ - لا زالَ فِي رَبْعِكَ أمْلاكُهُ ... سَبْعُونَ ألفًا حَوْلَهُ تُحْدِقُ

٦١ - تُهْدَىٰ إلىٰ تُرْبِكَ - طولَ المَدَىٰ - ... نَوافِجُ المِسْكِ بِها تَعْبَقُ

*****

---

(٥٤) مُفْلِق: بليغ فصيح.

(٥٥) أعلَق: أتعلق وأتمسك.

(٥٦) قوارع: شدائد ومصائب.

(٥٨) روحا: راحة وطمأنينة.

(٥٩) إستبرق: حرير سميك. قال تعالى فى ثياب أهل الجنة: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ الكهف / ٣١.

(٦٠) أملاكه: ملائكته، والضمير لله عز وجل. تحدق: تحيط.

(٦١) نوافج المسك: آنيته الفواحة برائحته. تعبق: تعطّر الجو برائحتها الطيبة.

قافية الكاف

تضم هذه القافية ثلاث قصائد متوسطة الطول.

الكافيَّة الأولى

(عدتها ٣٥ ـ الطويل الثانى)

تبدأ هذه القصيدة بمجموعة من الحكم الداعية إلى النهوض فى طلب المجد ولو باقتحام المهالك، مازجًا بين هذه الدعوة ووصف رحلة السائرين إلى الحرم الشريف، يقتحمون أهوال الصحراء قاصدين القباب البيض وحجرته ﷺ المحفوفة بالملائكة، ومن ثم يدخل إلى مديحه ﷺ بإهداء التحية والسلام إليه، ثم سرد بعض فضائله ومعجزاته، وينهى القصيدة ـ كعادته ـ بالشكاية إليه من صروف الزمان، والاستشفاع به إلى الله عز وجل أن يحسن خاتمته وأن يصونه عن الهوان فى الدنيا.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- دعوة للنهوض إلى المعالى.
- تحية إجلال للنبى ﷺ .
- فى مدحه ﷺ والثناء عليه.
- شكوى وتوسل بجاهه ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - ذَرِ العَجْزَ وانْهَضْ خَائضًا لِلمَعارِكِ ... فَما العِزُّ إلاَّ فى السُّيوفِ البَواتِكِ

٢ - ولا تَثْنِ عَنْ تَطْلابِكَ المَجْدَ هِمَّةً ... ولوْ كانَ فى هَامِ النُّجومِ الشَّوابِكِ

٣ - وأقْدِمْ فإمَّا أنْ تَرَىٰ فَوْقَ مَعْقِلٍ ... مَنيعٍ، وإمَّا تَحْتَ وَقْعِ السَّنابِكِ

٤ - فَلَمْ نَرَ إحْرازَ السَّلامةِ لِلْفَتَىٰ الـ ... ـمُشَمِّرِ إلاَّ باقْتِحامِ المَهالِكِ

٥ - أرَىٰ السُّبُلَ المُثْلَىٰ علىٰ غَيْرِ أهْلِها ... تَضيقُ وإنْ كانَتْ رِحابَ المَسالِكِ

٦ - فلا تَرْضَ بالأدْنَىٰ وكُنْ مُتَطَلِّبًا ... نَفيسَ المَعالِى بالعَوالِى الفَواتِكِ

٧ - ولا يُلْهِكَ الإهْمالُ عَنْ سَدِّ خَلَّةِ الـ ... ـثُّغورِ بِرَبَّاتِ الثُّغورِ الضَّواحِكِ

٨ - أمَا فى المَواضِى البِيضِ مِنْ غُرَرِ العُلا ... غَنَاءٌ عَنِ البِيضِ الغَوانِى الفَوارِكِ؟!

٩ - وذِى أرَبٍ مِنْ دُونِ مَطْلَبِهِ السُّهَا ... يَجُوبُ الفَلا بالنَّاجِياتِ الرَّواتِكِ

١٠ - طَوَيْنَ زَرُودًا والغُوَيْرَ وحَاجِرًا ... بأخْفَافِها طَىَّ العَجُولِ المُواشِكِ

---

(١) ذَر : اترك . البواتك : القاطعة .

(٢) تطلابك : شدة طلبك . هام : رأس، تستعمل للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد، وهى هنا للجمع . الشوابك : المتشابكة، لكثرتها .

(٣) أقْدِم : كن شجاعا . معقل : حصن . السنابك : حوافر الخيل .

(٤) المشمر : المستعد للجهاد .

(٥) السبل المثلى : المؤدية للحق . رحاب : واسعات .

(٦) نفيس : غالى . المعالى : المكارم والفضائل . العوالى : أطراف الرماح . الفواتك : القاتلة .

(٧) سد : كفاية . خَلَّة : نقص وضعف . الثغور : جمع ثغر، وهو ما يواجه الأعداء من البلاد، ونسميه الآن بالجبهة . ربات : صاحبات . الثغور : جمع ثغر، وهو الفم . وقوله (بربات) متعلق بالفعل (يلهك) . يقول : لا تجعل الإهمال يلهيك بالنساء الجميلات عن الجهاد والرباط على ثغور البلاد الإسلامية المواجهة للعدو .

(٨) المواضى البيض : السيوف اللامعة القاطعة . البيض الغوانى : النساء الجميلات . الفوارك : اللواتى يكرهن أزواجهن . يقول : إن فى الانشغال بالجهاد وعدته من سيوف وغيرها غنى عن اللهو مع النساء الحسناوات اللواتى يكرهن رجالهن . وهذا البيت وسابقه زيادة من النبهانية .

(٩) وذى : مجرور بربَّ المحذوفة بعد الواو، أى وربَّ صاحب . . .إلخ . أرب : غرض . السها : نجم . يجوب : يقطع . الناجيات : المسرعات، والرواتك مثلها .

(١٠) زرود والغوير وحاجر : مواضع فى طريق حجاج العراق إلى مكة المكرمة . المواشك : الذى أوشك على الوصول .

١١ - حَمَلْن علىٰ الأكْوارِ أكْرَمَ فِتْيَةٍ ... أعَزَّ منَ الأقْيَالِ فَوْقَ الأرائكِ

١٢ - فيا خَيْرَ وَفْدٍ يَمَّمُوا خَيْرَ مُوفِدٍ ... إذَا نِلْتُمُ البُشْرَىٰ بتِلْكَ المَناسكِ

١٣ - وملْتُمْ إلىٰ وَادِي العَقِيقِ فأصْبَحَتْ ... بسَلْعٍ مَطَايَاكُمْ كِرامَ المَبَارِكِ

١٤ - فأمُّوا القِبَابَ البِيضَ ثُمَّ توجَّهُوا ... إلىٰ حُجْرَةٍ مَحْفُوفَةٍ بالمَلائكِ

١٥ - فَحيُّوا رسُولَ اللهِ عَنِّي وسَلِّمُوا ... سَلامَ مُحِبٍّ صَادِقٍ غَيرِ آفكِ

١٦ - وقُولوا: عُبَيْدُ البَرِّ يَحْيَىٰ بْنُ يُوسُفَ الْـ ... ـفَقِيرُ إلىٰ إحْسَانكَ المُتَدارِكِ

١٧ - يُقَبِّلُ - إجلالاً لَكَ - التُّرْبَ خَاضِعًا ... خُضوعَ أخِي عُسْرٍ لخَصْمٍ مُمَاحِكِ ٥١/ب

١٨ - عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا خَيْرَ مُرْسَلٍ ... بخَيرِ كِتابٍ مُنْقِذٍ شَرَّ هَالِكِ

١٩ - ويا صَفْوَةَ الرَّحْمٰنِ منْ آلِ هَاشمٍ ... ونُخْبَتَهُ منْ آلِ فِهْرِ بنِ مالكِ

٢٠ - ومَنْ لِبَنِي العَلْيَاءِ شَارَكَ فِي النُّهَىٰ ... ولَيْسَ لَهُ فِي فَضْلِهِ منْ مُشَارِكِ

٢١ - لأنْتَ مُعَمٌّ فِي المَكارِمِ مُخْوَلٌ ... ومَا لَكَ فِي أصْلٍ زَكَا منْ مُشابِكِ

٢٢ - لِمَنْ - كَانَ - كالعَبَّاسِ عَمٌّ وحَمْزَةٍ ... وعَاتِكَةَ العَمَّاتِ خَيرِ العَواتِكِ

٢٣ - وزُهْرَةَ فِي الأخْوالِ ثُمَّ بِكَ ارْتَقَوْا ... إلىٰ الفَخْرِ مَرْقًى لا يَذِلُّ لسَالِكِ

---

(١١) الأكوار: الرحال. الأقيال: جمع قَيْل، وهو لقب لملوك اليمن قديمًا. الأرائك: العروش.

(١٢) يمموا: قصدوا. موفد: من يستقبل الوفد. المناسك: أماكن العبادات فى الحج. وجواب (إذا) سيأتى فى البيت رقم (١٤).

(١٣) مطاياكم: ركائبكم. المبارك: الموضع الذى يبرك فيه الجمل.

(١٤) أمُّوا: اقصدوا. محفوفة: محاطة، والحجرة المذكورة هى الحجرة النبوية المباركة.

(١٥) غير آفك: غير كاذب.

(١٦) عبيد: تصغير (عبد). يحى بن يوسف: اسم شاعرنا. المتدارك: المتتابع.

(١٧) الترب: التراب. أخى عسر: صاحب ضيق وفقر. مماحك: منازع يبغى العداوة والشر.

(١٩) النخبة: المختار المفضل على غيره. آل فهر: قريش. (٢٠) النهى: العقول.

(٢١) مُعَمّ مُخْوَل: له أعمام وأخوال كرام كثيرون. مشابك مخالط. يقول: إن لك أعماما وأخوالاً لهم فى المكارم باع طويل، وليس لأحد ما لك من أصل طاهر كريم.

(٢٢) كان: تتضمن محذوفا، والتقدير: لمن - كائنا من كان. عاتكة: عمة النبى ﷺ، ومعنى كلمة (عاتكة): ذات الصفاء المضمخة بالطيب، ولهذا وصف عاتكة بنت عبد المطلب بخير العواتك، أى خير من تعطرت بالطيب من النساء. وفى جدات النبى ﷺ تسع كل واحدة منهن تسمى عاتكة [أفاده فى هامش النبهانية ٢/٤٧٨].

(٢٣) زهرة: أخوال النبى ﷺ. مرقى: موضع ارتقاء. لا يذل: لا يسهل، لعلوه وارتفاع قدره بشرف النبى ﷺ.

٢٤ - لكَ اجْتَمَعَ التَكْلِيمُ والرُّؤْيَةُ الَّتى ... بِها نِلْتَ شَأْواً ليسَ يَدْنُو لِمَاسِكِ

٢٥ - وجِئْتَ بِنُورٍ مُشْرِقٍ كامِلٍ جَلاَ ... ظَلامَ دُجًى لِلكُفْرِ أسْوَدَ حَالِكِ

٢٦ - وأوتِيتَ قُرآنًا مُبِينًا فاعْجَزَ الْـ ... ألْبَاءَ أرْبابَ الحِجَىٰ والمَسالِكِ

٢٧ - وأُيِّدْتَ بالنَّصْرِ العَزِيزِ فذَلَّلَ الْـ ... عِدا بِسُيُوفٍ لِلدِّماءِ سَوافِكِ

٢٨ - فمَا زالَ بالتأْيِيدِ جَيْشُكَ قَاهِراً ... جُنودَ ذَوِى التِّيجانِ وسْطَ المَعارِكِ

٢٩ - إلىٰ أنْ سَمَا الدِّينُ الحَنِيفُ وأذْعَنَتْ ... لَهُ بانْقِيادِ الطَّوْعِ أهْلُ المَمَالِكِ

٣٠ - أبَا القَاسِمِ اعْطِفْ وارْحَمِ اليَوْمَ شاكِيًا ... صُروفَ زمانٍ مُوجِعِ القَلْبِ شائِكِ

٣١ - بِهِ فِتَنٌ آفَاتُها قَدْ تَطَرَّقَتْ ... إلىٰ عَالِمٍ فى العَالَمِينَ ونَاسِكِ

٣٢ - فسَلْ لِى رَبَّ العَرْشِ ثُمَّ لِعِتْرَتِى ... صِيانَةَ وَجْهٍ عَنْ بَخِيلٍ مُداعِكِ

٣٣ - وخَاتِمَةَ الحُسْنَى فَتِلْكَ الَّتِى بِها ... يَتِمُّ سُعودِى فهْوَ أكْرَمُ مالِكِ

٣٤ - أرَى نَظْمَ شِعْرِى فى مَدِيحِكَ قُرْبَةً ... فلَسْتُ لَهُ ما اسْطَعْتُ عُمْرِى بِتارِكِ

---

(٢٤) شأوًا: قدرًا وغاية بعيدة. يقول: إن الله عز وجل قد جمع لك بين التكليم والرؤية، - وذلك فى ليلة معراجه ﷺ. ورؤية النبى ﷺ لربه عز وعلا - مختلف فيها بين العلماء، قال القاضى عياض بعد أن ساق أدلة القائلين برؤية سيدنا محمد ﷺ لربه وأدلة القائلين بعدم جواز رؤية الله عز وجل فى الدنيا: لا استحالة فى رؤية محمد ﷺ لربه، ولا نص قاطع يؤيد أو ينفى هذا [الشفا ١/٢٠٢].

(٢٥) حالك: شديد السواد.

(٢٦) الألباء: العقلاء، جمع لبيب. الحجى: العقل.

(٢٧) فى (أ): بالنصر العجز، وهو سهو فاحش من الناسخ، والصواب ما أثبتناه بالإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ الفتح / ٣، وكما فى النبهانية.

(٢٨) ذوى التيجان: الملوك من الفرس والروم وغيرهم.

(٢٩) الدين الحنيف: الإسلام، ومعنى الحنيف: المائل عن الباطل إلى الحق.
أذعنت: خضعت. بانقياد الطوع: باختيارهم وليس بالسيف.

(٣٠) صروف: تقلبات. شائك: جارح كالشوك.

(٣١) آفاتها: مهلكاتها. تطرقت: وصلت. ناسك: عابد. يقول إن الفتن فى هذا الزمان لم تدع أحدًا حتى العلماء والعُبَّاد.

(٣٢) عترتى: أهلى. صيانة الوجه: ستر الحال والعفاف عما فى أيدى الناس. المداعك: المخاصم المشاحن.

(٣٤) ما اسطعت: ما استطعت، و(ما) للظرفية. عمرى: أى لن أدع مديحك مدى حياتى.

٣٥ - فـــإنَّكَ أوْفَىٰ مَنْ أجـــازَ مُـــؤَمِّـــلاً بِبَـيضِ الأيَادِي فى السِّنِينِ الحَـوالِكِ

*****

---

(٣٥) بيض الأيادى: النعم البيض، أى ذات الخير الكثير. الحوالك: الشديدة السواد.

الكافيَّة الثانية

(عدتها ٢٤ ـ البسيط الثانى)

تبدأ هذه القصيدة بمناجاة طويلة للكعبة المشرفة، وللمعالم المباركة فى أرض العرب، وذكرياته فيها، ولركب الحجاز الراحلين إلى هذه الربوع، حتى الركاب التى تحملهم إليها يناجيها شاعرنا فى حنين جارف وشوق غامر، ثم يدعو لهذه الربوع بالخصب والسقيا، ولسكَّانها بالدعة والأمن.

ثم يلتفت مخاطبًا نفسه أن تصبر على فتن الزمان وشدائده، وأن تعتصم بسنة النبى ﷺ.

تحتوى القصيدة على فكرتين :

- فى مناجاة البقاع المباركة والثناء على ساكنيها وقاصديها.
- فى الاعتصام بسنة النبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - يا رَبَّةَ السِّتْرِ لا انْجابَتْ غَوادِيكِ ... عَنْ جَوِّ دارِكِ أو يَخْضَرَّ وَادِيكِ

٢ - وزِدْتِ فى كُلِّ صُبْحٍ عِزَّةً وسَنَا ... ولا خَلا مِنْ رِجالِ الحَىِّ نَادِيكِ ٥٢/أ

٣ - لا زَالَ مَرْبَعُكِ الدَّانِى الظِّلالِ حِمًى ... رَحْبًا لِعَاكِفِكِ الثَّاوِى وبَادِيكِ

٤ - وأنتِ يا عَذَباتِ البَانِ لا بَرِحَتْ ... تَهِيجُ أشْواقَنَا أَلْحانُ شَادِيكِ

٥ - ومَاسَ مِنْ كُلِّ غُصْنٍ مِنْكِ، من طَرَبٍ ... عِطْفٌ وتِهْتِ دَلالاً فى تَهَادِيكِ

٦ - ويا مِيَاهَ الحِمَىٰ لا زِلْتِ طَيِّبَةً ... يَرْوَىٰ بِشُرْبِ الأَلَذِّ العَذْبِ صَادِيكِ

٧ - ويا نَسِيمَ صَبَا نَجْدٍ لَقَدْ عَرَفَتْ ... رُوحِى بِمَسْرَاكِ وَهْنًا عَرْفَ مُهْدِيكِ

٨ - ويا لَيَالِيَنَا لله عَيْشُ هَوًى ... مَعَ البُدُورِ تَقَضَّىٰ فى دَآدِيكِ

٩ - ويا فَوارِطَ أيَّامِى بِخَيْفِ مِنًىٰ ... لوْ كَانَ يُفْدَىٰ زَمانٌ كُنْتُ أَفْدِيكِ

١٠ - ويا رَسَائِلَ وَجْدٍ لا أَبُوحُ بِهَا ... إِلَىٰ الأَحِبَّةِ عَنِّى مَنْ يُؤَدِّيكِ؟

١١ - أُخْفِيكِ مِنْ عُذَّلِى صَوْنًا وتَكْرِمَةً ... بَلِ المَدامِعُ والأَنْفاسُ تُبْدِيكِ

١٢ - ويا رِكَابَ الحِجازِ القُودَ لا نَقِبَتْ ... مِنَ السُّرَىٰ أَبَدًا أَخْفافُ أَيْدِيكِ

١٣ - ولا عَدَلْتِ عن النَّهْجِ القَوِيمِ ولا ... مالَتْ إِلَىٰ غَيْرِ أَحْبابى هَوادِيكِ

---

(١) انجابت : تفرقت وانقطعت . غواديك : جمع غادية، وهى السحابة التى تنشأ فى الصباح . أو يخضرّ : حتى يخضر، وفى (أ) : أو مخضر، وما أثبته من النبهانية أقرب للمراد .

(٣) رحبا : واسعا . العاكف : المقيم، وكذا الثاوى . البادى : الغريب الذى من أهل البادية . يلمح إلى قوله تعالى : ﴿ والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ الحج / ٢٥ .

(٤) عذبات البان : أغصانه . تهيج : تثير وتحرك . شاديك : الطير المغنية على أغصانك .

(٥) ماس : تمايل واهتز طربا . عطف : جانب، وهو فاعل (ماس) تهت : شعرت بالزهو والفخر . تهاديك : تمايلك .

(٦) يَرْوَى : يرتوى . صاديك : الظمآن إليك .

(٧) مسراك : مسيرك . وهنا : فى منتصف الليل . عرف : رائحة طيبة . يقول : يا نسيم الصبا لقد عرفت روحى فيك رائحة مَنْ أهداك إلينا . ويعنى بذلك أنها جاءت من قبل الديار المقدسة على ساكنها الصلاة والسلام .

(٨) البدور : الأقمار فى ليالى التمام . دآديك : جمع دأداء، وهو الوادى والفضاء المتسع .

(٩) فوارط : سوابق .

(١٢) القود : السهلة المطيعة لقائدها . لا نقبت : لا أصابها النقب وهو داء يصيب أخفاف الإبل، وفى (أ) : لا برحت، وهو غير مناسب للمعنى، وما أثبته من النبهانية .

(١٣) عدلت : مِلْتِ . النهج القويم : الطريق المستقيم . هواديك : أعناقك .

١٤ - ونِلْتِ ما شِئْتِ من وِرْدٍ ومنْ كَلأٍ ... ولا نَبَا السَّمْعُ عَنْ تَغْرِيدِ حَادِيكِ

١٥ - كَمْ ذا التَّمادِى دَعِى التَّعْلِيلَ وابْتَدِرِى ... إلىٰ الحِمَىٰ فَعَنَائِى فى تَمادِيكِ

١٦ - سِيرِى فَأَنْوارُ أَقْمارِ المَحامِلِ إنْ ... حَارَ الأَدِلَّةُ فى البَيْداءِ تَهْدِيكِ

١٧ - ويا قِبابَ حِمَىٰ سَلْعٍ حَوَيْتِ عَلَىٰ ... رِقِّى بِما أَسْلَفَتْ عِنْدِى أَيَادِيكِ

١٨ - فَتَحْتِ بالرُّشْدِ لِى عَيْنَىَّ بَعْدَ عَمًى ... وَأَسْمَعَ السِّرَّ مِنْ قَلْبِى مُنَادِيكِ

١٩ - حَقٌّ عَلَىَّ أُوالِى مَنْ بِكِ اعْتَلَقَتْ ... أَسْبابُهُ وأُعادِى مَنْ يُعادِيكِ

٢٠ - إنِّى وإنْ يَكُ أَضْحَتْ عَنْكِ نَازِحَةً ... دارِى لأَرْعَىٰ بِظَهْرِ الغَيْبِ وُدِّيكِ

٢١ - لا زالَ سُكَّانُكِ القُطَّانُ فى دَعَةٍ ... وفازَ رائِحُكِ السَّارِى وغَادِيكِ

٢٢ - وأنتِ لا تَجْزَعِى يا نَفْسُ مِنْ بِدَعٍ ... مُضِلَّةٍ، ورسولُ اللهِ هَادِيكِ

٢٣ - أَجارَكِ اللهُ، لَوْلا دِرْعُ سُنَّتِهِ ... لَكانَ سَهْمُ الهَوَىٰ الفَتَّانُ يُرْدِيكِ ٥٢/ب

٢٤ - لا تُخْلِفِى مَوْعِدِى فِى حِفْظِ مَنْهَجِها ... فَلَسْتُ أُخْلِفُ فى حِفْظِيهِ وَعْدِيكِ

*****

(١٤) ورد: شراب. كلأ: عشب. نَبَا السمع عن كذا: لم يعجبه فتباعد عنه. تغريد: غناء. حاديك: السائق الذى يحدو - أى يغنى - للإبل.

(١٥) التمادى: التزايد والاستمرار. التعليل: التلهّى والتشاغل. ابتدرى: أسرعى. فعنائى: تعبى، وفى (أ): «وتصابى»، ولا يستقيم، وما أثبته من النبهانية.

(١٦) المحامل: ما يحمل على البعير، وهو الهودج. الأدلة: الذين يرشدون المسافرين إلى الطرق. البيداء: الصحراء.

(١٧) حويت: ملكت. رقّى: عبوديتى، أى صرت عبداً مملوكًا لك. أسلفت: قدمت. أياديك: نعمك وأفضالك.

(١٨) السر من قلبى: أعماق القلب وأقاصى الضمير.

(١٩) أوالى: أتابع. اعتلقت أسبابه: تعلق بك وأحبك.

(٢٠) نازحة: بعيدة. بظهر الغيب: فى البعد عنك. ودّيك: ودّى إياك، وجاء بالضمير المتصل لضرورة القافية.

(٢١) القُطّان: المقيمون بأرضك. فى دعة: فى خير ونعمة. الرائح: الذاهب فى المساء، والغادى: الذاهب فى الصباح. والجمع بين النقيضين لإفادة الشمول، فهو يدعو بالفوز لكل من كان بأرض الحمى.

(٢٢) لا تجزعى: لا تخافى، والجزع ضد الصبر.

(٢٣) أجارك الله: حفظك ورعاك. درع سنته: حصن السنة النبوية المطهرة، شبهها بالدرع فى حمايتها لمن يتمسك بها كما تحمى الدرع لابسها.

يرديك: يهلكك، من الردى وهو الموت.

(٢٤) قوله: فلست أخلف فى حفظيه وعديك، أى: لا أخلف وعدى لك فى حفظى إياه.

الكافيَّة الثالثة

(عدتها ٤٢ ـ البسيط الأول)

هذه القصيدة فى الثناء على الله عز وجل وتمجيده، ومدح نبيه الهادى ﷺ، كما كتب الناسخ، فالقصيدة تبدأ بتمجيد الله عز وجل وسرد بعض مظاهر الألوهية وتجليات القدرة، والعناية بالخلق، ومن ملامح هذه العناية الإلهية بالخلق : إرسال الرسل وخاتمهم محمد ﷺ.

ومن ثم يدخل إلى مديحه ﷺ، معدِّداً بعض خصائصه ومعجزاته، وينهى القصيدة باستعطافه والتوسل به إلى الخلاص من أذى زمن ارتبكت فيه معايير الصواب والحق، وإلى الدخول فى عداد أمته، وهذا هو الفوز الذى يبتغيه.

تتضمن القصيدة ثلاثة عناصر :

- فى تمجيد الله عز وجلَّ.
- فى مديح النبى ﷺ.
- استغاثة وتوسل به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ ويثنى على الله عز وجل:

١ - جَلَّ المُهَيْمِنُ رَبُّ العِزَّةِ المَلِكُ ... عَنْ قَوْلِ مَنْ يَفْتَرِى زُوراً ويَأتَفِكُ

٢ - سُبْحانُهُ مِنْ عَظِيمٍ لا نَظِيرَ لَهُ ... ولا لِعَقْلٍ علَى تَمْثِيلِهِ دَرَكُ

٣ - يُحِيطُ عِلْمًا على العَرْشِ العَظِيمِ بِما ... تَضَمَّنَ البَحْرُ والقِيعانُ والنَّبَكُ

٤ - يُحْصِى الضَّمِيرَ ولَمْ تَلْفِظْ بِهِ شَفَةٌ ... ولا تَحَرَّكَ فى إظْهارِهِ الحَنَكُ

٥ - هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَىُّ لا بَشَرٌ ... أحاطَ عِلْمًا بِهِ، كَلاَّ، ولا مَلَكُ

٦ - الخَالِقُ البارِئُ الرَزَّاقُ ذو المِنَنِ الْـ ... ـجِسَامِ لَيسَ لِما أعْطَاهُ مُمْتَسِكُ

٧ - القَادِرُ المَانِعُ القَهَّارُ لَيسَ لِمَا ... زَواهُ مِنْ نِعْمَةٍ فى النَّاسِ مُدَّرِكُ

٨ - والواجِدُ الماجِدُ المُحْيِى المُمِيتُ فلا ... يَفُوتُهُ سُوقَةٌ منَّا ولا مَلِكُ

٩ - والواحِدُ الأحَدُ القَيُّومُ جامِعُ ما ... تُوهِيهِ أيْدِى البِلَىٰ منَّا وتَنْتَهِكُ

١٠ - يُعِيدُ مِنْ غَيرِ رَيْبٍ ما تَضَمَّنَتِ الْـ ... أجْداثُ والطَّيْرُ والآسَادُ والسَّمَكُ

١١ - شَادَ السَّمٰواتِ سَبْعًا لا تَرَى خَلَلاً ... فِيما أحاطَتْ بِهِ مِنْ جَوِّها الحُبُكُ

١٢ - ومَدَّ سَجْفَ دُجَاها ثُمَّ طَرَّزَهُ ... بِبَدْرِها والنُّجومِ الزُّهْرِ تَشْتَبِكُ

١٣ - حَتَّىٰ بَدَا صُبْحُها يَطْوِى حواشِيَهُ ... وجَرَّ أذْيالَ شَمْسِ المَطْلَعِ الفَلَكُ

١٤ - ومَهَّدَ الأرْضَ فامْتَدَّتْ مُذَلَّلَةً ... قَدِ اسْتَبانَتْ بِها لِلسَّالِكِ السُّلُكُ

---

(١) زوراً: باطلاً. يأتفك: يكذب.

(٢) درك: قدرة على الإدراك.

(٣) القيعان: جمع قاع. النبك: المرتفعات الصخرية.

(٤) الحنك: الفم.

(٦) المنن: جمع منة وهى النعمة الإلهية. الجسام: العظيمة. ممتسك: مانع.

(٧) زواه: أبعده. مُدَّرِك: قادر على إدراكه وتحصيله.

(٨) سوقة: من عامة الناس.

(٩) توهيه: تضعفه. البلى: الفناء والقدم.

(١٠) الأجداث: القبور. الآساد: جمع أسد.

(١١) شاد: بنى. الحُبُك: الطرق السماوية.

(١٢) سجف: ستر. طرزه: جمّله. النجوم الزهر: اللامعة.

(١٣) حواشيه: جوانبه.

(١٤) مذللة: ميسرة للإنسان. السلك: الطرق.

١٥ - وبَثَّ فيها من الأزْواجِ مَا شَهِدَتْ ... لَهُ بِحِكْمَةِ صُنْعٍ لَيْسَ يَشْتَرِكُ

١٦ - وأثْبَتَ الرَّاسِيَاتِ الرَّاسِخَاتِ لَهَا ... كَأَنَّهَا فى يَدَىْ زِلزَالِهَا شُرُكُ

١٧ - وسَخَّرَ الفُلْكَ للطُّلاَّبِ مَنْفَعَةً ... يَجْرِينَ فى البَحْرِ والأمْواجُ تَلْتَبِكُ

١٨ - وأرْسَلَ الرِّيحَ تُزْجِى للحَيَا سُحُبًا ... كَأَنَّهُنَّ عِشَارٌ سَيْرُهَا الرَّتَكُ

١٩ - سَطَا بِهَا رَعْدُهَا حَتَّىْ غَدَا دَمُهَا ... فَوقَ الثَّرَى بِسُيُوفِ البَرْقِ يَنْسَفِكُ ٥٣/أ

٢٠ - فَعِنْدَهَا امْتَهَدَتْ مِنهَا الرُّبَا حُلَلَ الـ ... أزْهَارِ وامْتَلأتْ مِنْ وَدْقِهَا البِرَكُ

٢١ - وجاءَ سُلْطَانُ جَيْشِ الصَّحْوِ فابْتَهَجتْ ... رِياضُهَا كَثُغُورٍ زانَهَا الضَّحِكُ

٢٢ - فَتِلْكَ آيةُ أنَّ اللهَ بَاعِثُنَا ... والعَظْمُ مِنَّا بِطولِ المُكْثِ يَنْفَرِكُ

٢٣ - تَبَارَكَ اللهُ ذو الإحْسَانِ، أحْمَدُهُ ... عَلَىٰ الهِدايَةِ حَمْداً لَيسَ يَنْبَتِكُ

٢٤ - لَقَدْ هَدانا إلَىٰ الإسْلامِ مُبْتَدِئًا ... بِنِعْمَةٍ شُكْرُهَا مَا لَيْسَ يُدْرَكُ

٢٥ - ورَدَّنا - بِرَسُولِ اللهِ صَفْوَتِهِ ... مُحَمَّدٍ - عنْ ضَلالٍ أمْرُهُ لَبَكُ

٢٦ - وانْتَاشَنَا مِنْ يَدَىْ غَاوٍ عَلَىٰ رَصَدٍ ... لِلْخَلْقِ يَجْتَاحُهُمْ إثْمًا ويَحْتَنِكُ

٢٧ - وجَاءَنَا بِكِتَابٍ حُكْمُهُ سَدَدٌ ... فِيهِ البَيَانُ لِمَا نَأتِى ونَتْرُكُ

---

(١٦) الراسيات: الجبال. الراسخات: الثابتة. شُرُك: جمع شِراك، وهو الفخ. شبه الجبال بالفخاخ التى تقبض على ما فوق الأرض إذا أصابها زلزال.

(١٧) تلتبك: يختلط بعضها ببعض وتتصادم.

(١٨) تزجى: تسوق. الحيا: المطر. عشار: إبل حوامل. الرتك: مشية فيها اهتزاز وسرعة.

(١٩) سطا بها: بطش، والضمير للسحب. ينسفك: يسيل. شبه الرعد بإنسان يحمل سيفًا ويفتك بالسحب فيسيل دمها - أى المطر - على الأرض.

(٢٠) امتهدت: فرشت. الربا: المرتفعات. حلل: ثياب. ودقها: مطرها الغزير.

(٢١) الصحو: صفاء الجو بعد سقوط المطر. ثغور: أفواه.

(٢٢) المكث: البقاء. ينفرك: يتفتت. أشار فى هذا البيت إلى أن دورات الطبيعة من مطر يعقبه صحو، وجدب يعقبه خصب ونماء - دليل على بعث بنى آدم بعد أن بليت منهم العظام.

(٢٣) ينبتك: ينقطع.

(٢٤) ليس يُدْرَك: لا يمكن بلوغه.

(٢٥) لَبَك: مختلط.

(٢٦) انتاشنا: خلّصنا. غاو: شيطان. على رصد: يترصد بنى آدم لإغوائهم. يجتاحهم: يهلكهم. يحتنك: يستولى عليهم ويضلهم.

(٢٧) سدد: حقّ. نَتْرُك: نَتْرُك.

٢٨ - نِعْمَ الرَّسولُ حَبَانَا ذُو الجَلالِ بِهِ ... بِحَبْلِهِ وهْوَ حَبْلُ اللهِ يُمْتَسَكُ

٢٩ - لولاهُ لَمْ نَدْرِ ما فَرْضُ الصَّلاةِ ولا ... فَرْضُ الزَّكاةِ ولا صَوْمٌ ولا نُسُكُ

٣٠ - هوَ البَشيرُ سِراجُ المُهْتَدينَ بِهِ ... وهْوَ الشَّفيعُ لِمَنْ فى الحَظِّ يَنْهَمِكُ

٣١ - وهْوَ الحَليمُ فَلا حَيْفٌ ولا حَرَجٌ ... وهْوَ الجَوَادُ فَلا مَيْنٌ ولا مَعَكُ

٣٢ - وهْوَ الشُّجاعُ إذَا كَفُّ الوَغَىٰ قَدَحَتْ ... نَارَ الظُّبَا والقَنَا العَسَّالُ مُشْتَبِكُ

٣٣ - وهْوَ المُخَصَّصُ فى الدُّنْيا بِرؤْيَتِهِ ... وكُلُّ مَنْ رَدَّ هٰذا فَهْوَ مُؤْتَفِكُ

٣٤ - وهْوَ المُفَضَّلُ فى الأُخْرَى بِمَقْعَدِهِ الـ ... ـعَزيزِ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلَكُ

٣٥ - سَفِينَةُ الرُّشْدِ والمَنْجاةِ سُنَّتُهُ ... والنَّاقِلونَ لَهَا فى الأُمَّةِ العَرَكُ

٣٦ - هِى المَحَجَّةُ للسُّلاَّكِ واضِحَةً ... ما فِى سِوَاها لأَهْلِ الحَقِّ مُنْسَلَكُ

٣٧ - لأَهْلِها دَرَجُ الجَنَّاتِ مَنْزِلَةٌ ... ومَنْزِلُ المُعْتَدِى عَنْ حُكْمِها الدَّرَكُ

٣٨ - يا رَبِّ قَدْ أَصْبَحَتْ سِنِّى تَزِيدُ علَى الـ ... ـستِّينَ وهْىَ لِجَيْشِ المَوْتِ مُعْتَرَكُ

٣٩ - ولَيْسَ لِى وِجْهَةٌ أَرْجُو الدُّخولَ بِها ... ولا سَبِيلُ نَجاةٍ فِيهِ أَنْسَلِكُ

٤٠ - إلاَّ دُخُولِىَ فى أَعْدادِ أُمَّتِهِ ... قَدْ فازَ مِنْها بِهِ طِفْلٌ ومُحْتَنِكُ ٥٣/ب

---

(٢٨) حبانا: أكرمنا. حبل الله: الوسيلة إليه.

(٢٩) نسك: عبادة.

(٣٠) المراد بالحظ: حظ النفس من الدنيا. ينهمك: ينشغل.

(٣١) حيف: ظلم، والكلمة غير واضحة فى الأصل. مين: كذب. مَعَك: مماطلة، يقال: معكه بدَيْنه، إذا ماطله.

(٣٢) قدحت: أشعلت. الظبا: السيوف. القنا: الرماح. العسال: المَرِن الذى يهتز اهتزازاً شديداً.

(٣٣) برؤيته: الضمير لله جلَّ وعلا. مؤتفك: آثم.

(٣٥) المنجاة: النجاة. العَرَك: جمع عَرَكِىّ مثل عرب وعربى، والعركى: صياد السمك. شبَّه سنة النبى ﷺ بالسفينة وشبه الناقلين لها بصيادى السمك.

(٣٦) المحجة: الطريق الواضحة. للسُّلاك: للسالكين. منسلك: طريق يسلكونه.

(٣٧) درج: درجات. الدَّرَك: الطبقات السفلى من النار.

(٣٨) معترك: موضع المعركة.

(٤٠) به: بواسطته، وكلمة (به) غير موجودة فى الأصل، وهى زيادة تقتضيها صحة الوزن. محتنك: الرضيع ساعة يولد ويحنَّك، أى يمضغ التمر ثم يوضع فى فمه ويدلك به.

٤١ - فَغِثْنِيَ اليَوْمَ يا مَوْلاىَ ثُمَّ غَداً بِجَاهَةٍ مِنْكَ سِتْرِى لَيْسَ يَنْهَتِكُ

٤٢ - ونَجِّنِى بِهُدَاهُ مِنْ أذَىٰ زَمَنٍ فِيهِ الصَّوَابُ عَلىٰ أهْلِيهِ مُرْتَبِكُ

*****

---

(٤١) بجاهة: اسم مرة من الجاه أى القدر والمنزلة، وهو تصرف من الشاعر، ولم أجد صيغة اسم المرة من هذه المادة فيما بين يدى من مصادر اللغة.

(٤٢) مرتبك: مختلط لا سبيل إلى تمييزه من الباطل.

قافية اللام

تضم هذه القافية أربع قصائد : اثنتان منها طويلتان، والأخريان متوسطتا الطول.

اللامية الأولى

(عدتها ٥٤ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة ببثٍّ لواعج الشوق والصبابة والحنين إلى الربوع المقدسة وأهلها، وعهود الشاعر وذكرياته فيها، معدداً مواطن ذكرياته، التى شرفت بممدوحه العظيم سيدنا محمد ﷺ، ومن ثم ينتقل إلى مدحه وتعداد بعض مآثره وحلو شمائله، وعراقة محامده، ويختم القصيدة بنداء حارّ واستغاثة بجاهه من فداحة الخطب، حيث جنود التتر تعيث فساداً فى أرض الإسلام، ويسأله أن يسأل ربه نصر أمته، وأن يشفع له فى إحسان خاتمته.

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- أشواق وحنين إلى الديار المباركة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- نداء واستغاثة بجاهه ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مـاذَا عَـرَا الرَّكْبَ حَـتَّىٰ حَنَّتِ الإبِلُ ... وهَزَّ مِنْ طَرَبٍ أعْطَافَـهـا المَـيَلُ

٢ - أهَبَّ مِنْ جانِبِ البَطْحاءِ نَشْرُ صَبَا ... أم طَارَحَتْنا بِأخْبارِ الحِمَىٰ شَمَلُ

٣ - وَاهًا لِذِى الوَجْدِ لا يَنْفَكُّ مُشْتَهَرًا ... حَتَّىٰ بِهِ فِى البَرَايَا يُضْرَبُ المَثَلُ

٤ - لَوَاعِجُ الشَّوْقِ تَثْنِيهِ وتَعْطِفُهُ ... كَأَنَّهُ مِنْ غَرَامٍ شَارِبٌ ثَمِلُ

٥ - لا يَسْتَفِيقُ ولا يَلْوِى شَكِيمَتُهُ ... عَنِ الحَنِينِ إلىٰ أحْبابِهِ العَذَلُ

٦ - يَرْعَىٰ العُهُودَ عَلىٰ بُعْدِ المَزارِ فَلا ... يُبْلِى هَواهُ وإنْ طَالَ المَدَىٰ مَلَلُ

٧ - أحْبَابَنا إنْ وَنَتْ عَنِّى رَسَائِلُكُمْ ... فَإنَّ أنْفَاسَ وَجْدِى نَحْوَكُمْ رُسُلُ

٨ - فَإنْ تَشاغَلَ غَيْرِى عَنْكُمُ بِهَوًى ... فَما لِقَلْبِى سِوَىٰ تَذْكارِكُمْ شُغُلُ

٩ - ولوْ أُخَيَّرُ أقْصَىٰ ما أُؤَمِّلُهُ ... ما كَانَ لِى غَيْرُ قُرْبِى مِنْكُمُ أمَلُ

١٠ - هَلْ عَائِدٌ لِىَ عَهْدٌ بِالعَقِيقِ خَلا ... مَعَ الشُّمُوسِ الَّتِى ضَنَّتْ بِها الكِلَلُ

١١ - وهَلْ لَنا بالقِبابِ البِيضِ - زِدنَ سَنًا ... وعِزَّةً وجَلالاً - وَقْفَةٌ قُبُلُ

١٢ - أمْ هَلْ لِذِى كَبِدٍ تُطْوَىٰ عَلىٰ ظَمَأٍ ... مِنْ ذَلِكَ المَوْرِدِ العَذْبِ الرَّوِىِّ عَلَلُ

١٣ - يا شِعْبَ طَيْبَةَ يا أزْكَىٰ الشِّعابِ ثَرًى ... لَمْ يَحْلُ بَعْدَكَ لِى رَبْعٌ ولا طَلَلُ

١٤ لَقَدْ سَمَوْتَ عَلىٰ كُلِّ البِلادِ فَلا ... يَنالُ ما نِلْتَهُ سَهْلٌ ولا جَبَلُ

١٥ - مَنْ لِى بِلَثْمِ تُرابٍ مِنْكَ قَلَّ لَهُ ... بالجَفْنِ لا بالفَمِ التَّرْشَافُ والقُبَلُ

---

(١) عرا: أصاب. المَيَل: الحركة والاهتزاز أثناء السير.

(٢) نشر: رائحة طيبة. الصبا: الريح الشرقية. طارحتنا: حدثتنا. شَمَل: ريح الشمال.

(٣) واها: كلمة تحسر وتفجع. الوجد: ألم الحب. البرايا: الخلق.

(٤) لواعج الشوق: حرارته وشدته. تثنيه وتعطفه: تقلبه كيف تشاء. ثمل: سكران.

(٥) شكيمته: قوة نفسه وكبرياءه. العَذَل: اللوم.

(٧) ونت: أبطأت.

(١٠) خلا: مضى. ضنَّت: بخلت. الكلل: جمع كِلَّة وهى الستر الرقيق. والمراد بالشموس: الصحبة، وصفهم بالحسن والفضل.

(١١) قُبُل: من الأمام.

(١٢) علل: الشرب بعد الشرب، فالشرب الأول نَهَل والثانى عَلَل.

(١٣) لم يَحْلُ: من الحلاوة، وحذفت الواو للجزم.

(١٥) لثم: تقبيل. الترشاف: الرشف، وهو المَص.

١٦ - لله ما حُزْتَ دُونَ الأَرْضِ مِنْ شَرَفٍ ... سَمَا لَدَيْكَ وإِنْ طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ

١٧ - أَصْبَحْتَ مَهْوَىٰ القُلوبِ الصَّادقاتِ فلا ... يُجِلُّ قَدْرَكَ إِلاَّ العَارِفُ البَدَلُ

١٨ - وكَيْفَ لا تُبْذَلُ الأَرْواحُ دُونَكَ يا ... شِفاءَ أَدْواءٍ مَنْ أَعْيَتْ بِهِ العِلَلُ ١/٥٤

١٩ - وفي جَنابِكَ مَنْ دانَتْ لِدَوْلَتِهِ ... وآذَنَتْ بِتَلاشِي عِزِّها الدُّوَلُ

٢٠ - ومَنْ بِمِلَّتِهِ الزَّهْراءِ حِينَ بَدَتْ ... أَنْوارُها نُسِخَتْ واسْتَخْفَتِ المِلَلُ

٢١ - ومَنْ أَتَىٰ بالسَّبِيلِ المُسْتَقِيمِ وقَدْ ... تَفَرَّقَتْ بالغُواةِ الضُّلَّلِ السُّبُلُ

٢٢ - مُحَمَّدٌ سَيِّدُ السَّاداتِ كُلِّهِمُ ... ما فِي مَقالِيَ لا رَيْبٌ ولا زَلَلُ

٢٣ - بِنَصْرِهِ أَخَذَ اللهُ العُهودَ عَلَىٰ ... ثِقاتِهِ فاسْتَبانَتْ فَضْلَهُ الرُّسُلُ

٢٤ - الفاتِحُ الخاتِمُ المَنْعُوتُ في الزُّبُرِ الـ ... أُولَى بِمَا أَثْبَتَتْ عِرْفانَهُ الأُوَلُ

٢٥ - وأَبْصَرَ الآخِرونَ الحَقَّ ثُمَّ عَمُوا ... لَكِنْ إِذَا بَدَتِ الشَّمْسُ اخْتَفَىٰ زُحَلُ

٢٦ - سُبْحانَ مَنْ زَانَ مَعناهُ وصُورَتَهُ ... بالحُسْنِ ما فِيهِمَا وَصْمٌ ولا خَلَلُ

٢٧ - طَلْقُ المُحَيَّا كأَنَّ الصُّبْحَ غُرَّتُهُ ... واللَّيْلَ مِنْ فَوْقِها فَرْعٌ لَهُ رَجِلُ

٢٨ - لَوْ قَابَلَ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ والقَمَرَ الـ ... سَيَّارَ طَلْعَتُهُ غَشَّاهُمَا الخَجَلُ

---

(١٦) الطِّيَل: الأزمنة الطويلة، أى وإن مرت بعدك أزمنة طوالاً.

(١٧) مهوى: اسم مكان من هَوَى يهوى، أى المكان الذى تهبط إليه. البدل: واحد الأبدال أو البدلاء، وهم أربعون من أولياء الله كلما مات منهم واحد أبدل مكانه واحد، لا يزيدون ولا ينقصون، وبهم يحفظ الله البلاد.

(١٨) أدواء: جمع داء، وهو المرض. أعيت: استعصت وصعب شفاؤها.

(١٩) دانت: خضعت. لدولته: سطوته وسلطانه. آذنت: أوشكت وعرف ذلك من حالها.

(٢٠) الزهراء: المشرقة. نسخت: تغيرت أحكامها وشرائعها، فالإسلام نسخ الشرائع التى قبله.

(٢١) الضُّلَّل: الضالين.

(٢٢) ريب: شك. زلل: خطأ.

(٢٣) ثقاته: أهل ثقته الموثوق بهم من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢٤) المنعوت: الموصوف. الزبر الأولى: الكتب السماوية السابقة على القرآن.

(٢٥) عَمُوا: أصابهم عَمَى البصيرة، كناية عن الضلال والجحود.

(٢٦) وصم: عيب.

(٢٧) طَلْق المُحَيَّا: مستبشر ضاحك الوجه.
غرته: جبهته. فرع: شعر. رَجِل: مُرَجَّل ممشط. شبه وجه النبى ﷺ بالصبح المُشرق، وشعره بالليل لشدة سواده.

(٢٨) الشمس والقمر: بدل من: النيرين. طلعته: وجهه. غَشَّاهما: سترهما وحجب ضياءهما.

٢٩ - أزَجُّ أبْلَجُ فى أهْدَابِهِ وَطَفٌ ... فِى عَيْنِهِ دَعَجٌ فى جَفْنِهِ كَحَلُ

٣٠ - يَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤِ الغَوَّاصِ مَبْسِمُهُ ... فى صَوْتِهِ الرَّائِقِ العَذْبِ الرِّضَا صَهَلُ

٣١ - حُلْوُ الكَلامِ يَفُوقُ الدُّرَّ مَنْطِقُهُ ... يُبْدِى فَصاحَتَهُ التَّفْصِيلُ والجُمَلُ

٣٢ - أقْنَىٰ قَسِيمٌ وَسِيمٌ مَا رَأَتْ أحَدًا ... كَمِثْلِهِ قَبْلَهُ أو بَعْدَهُ المُقَلُ

٣٣ - سَمْحُ اليَدَيْنِ إذَا ضَنَّ الحَيا وأتَىٰ ... أزْلُ الجُدُوبِ بِخَطْبٍ وَقْعُهُ جَلَلُ

٣٤ - يُقَدِّمُ البِشْرَ للعَافِى ويُتْبِعُهُ ... بالسَّتْرِ مَا شَانَهُ مَنٌّ ولا بَخَلُ

٣٥ - عَذْبُ المَوارِدِ مَحْمُودٌ مَصادِرُهُ ... يَسْقِى النَّمِيرَ إذَا مَا أعْوَزَ الوَشَلُ

٣٦ - يَحْمِى الحَقِيقَةَ والهَيْجاءُ بَاسِلَةٌ ... شَعْواءُ يَخْشَىٰ سَطاها الدَّارِعُ البَطَلُ

---

(٢٩) أزج: دقيق الحاجبين. أبلج: مشرق الوجه. وطف: طول. دعج: شدة سواد العين واتساعها. والكحل: سواد الأجفان خلقة لا تجمّلاً.

(٣٠) يفترّ: يبتسم. مبسمه: فمه. صهل: حدّة وقوة مع بَحَّة تشبه صهيل الخيل. وجاءت هذه الصفات لسيدنا رسول الله ﷺ فى حديث أم معبد، قالت تصف سيدنا رسول الله ﷺ لمَّا مَرَّ بها هو وأبو بكر ﷺ فى هجرتهما من مكة إلى المدينة (ومعهما مولى أبى بكر، ودليلهما): رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حَسَنَ الخَلْق. . . . وسيما قسيما، فى عينه دَعَجٌ، وفى أشفاره وَطَفٌ، وفى صوته صَهَلٌ، وفى عنقه سَطَعٌ، أزجُّ أقرن. إن صَمَتَ فعليه الوقار، وإن تكلّم سَمَا وعَلاهُ البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ، كأن منطقه خرزات نظمٍ ينحدرن. . . إلى آخر الحديث [رواه الحاكم فى المستدرك ٣ / ١٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ورواه البيهقى فى دلائل النبوة ١ / ٢٧٦].

(٣١) الدر: اللؤلؤ. منطقه: نطقه وكلامه. الجمل: الإجمال، ضد التفصيل.

(٣٢) أقنى: مرتفع ظاهر الأنف مع طول. قسيم: جميل القسمات، ومثله وسيم. المقل: العيون.

(٣٣) سمح: كريم. أزّل: شدة. الجدوب: جمع جدب، وهو القحط. خطب: مصيبة. جلل: عظيم الخطر.

(٣٤) البشر: استبشار الوجه للسائلين. العافى: طالب الرزق. بالسَّتْر: أى يخفى عطاءه فلا يمن على السائل، وفى النبهانية: ويتبعه بالبر. ما شانه: لم يعبه. بَخَل: بُخْل.

(٣٥) الموارد والمصادر: ضدان، وأصل المورد: ورود الإبل لتشرب من الماء، والمصدر: رجوعها بعد ما شربت وارتوت. والجمع بين النقيضين يفيد العموم، أى هو ﷺ محمود فى كل أحواله. النمير: الماء العذب الصافى. أعوز: صَعُبَ الحصول عليه. الوشَل: الماء القليل. يقول: إذا لم يستطع الناس الحصول على القليل من الماء، رواهم النبى ﷺ بالماء العذب الصافى الكثير.

(٣٦) الحقيقة: ما يحق عليك أن تحميه وتدافع عنه. الهيجاء: الحرب. باسلة: شديدة =

٣٧ - فَمَا يُزَايِلُهَا إِلاَّ وَقَدْ خَمَدَتْ ... نِيرَانُهَا فِى القِرَاعِ البِيضُ وَالأَسَلُ

٣٨ - مَا ضَاقَ بِالضَّنْكِ ذَرْعًا إِن أَلَمَّ بِهِ ... وَلا اسْتَفَزَّ لِيُسْرٍ عِطْفَهُ الجَذَلُ

٣٩ - يَعْفُو وَيَصْفَحُ لا يَجْزِى بِسَيِّئَةٍ ... وَلا يُزَلْزِلُ يَوْمًا حِلْمَهُ العَجَلُ

٤٠ - كُلُّ المَنَاقِبِ أَضْحَتْ فِيهِ قَدْ جُمِعَتْ ... فَمَا لَهَا عَنْهُ تَفْرِيقٌ وَلا حِوَلُ

٤١ - مِنْ مَعْشَرٍ نُجُبٍ زُهْرٍ أَكَارِمَةٍ ... هُمُ أُولُو الفَضْلِ إِن قَالُوا وَإِن فَعَلُوا ٥٤/ب

٤٢ - لَمْ يُدْرِكُ النَّاسُ فِى مَجْدٍ أَوَائِلَهُمْ ... وَفِى الأَوَاخِرِ مَجْدٌ لَيْسَ يَنْتَقِلُ

٤٣ - يَا سَيِّدَ البَشَرِ المُخْتَارَ مِنْ مُضَرٍ ... يَا جَارَ مُبْتَهِلٍ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ

٤٤ - يَا مَنْ بِحُجْرَتِهِ الأَمْلاكُ طَائِفَةٌ ... سَبْعُونَ أَلْفًا لَهَا مِنْ حَوْلِهَا زَجَلُ

٤٥ - يَا مَنْ لَهُ فِى جِنَانِ الخُلْدِ مَنْزِلَةٌ ... مَا فَوْقَهَا لِنَبِىٍّ مُرْسَلٍ نُزُلُ

٤٦ - عَلَيْكَ أَزْكَى صَلاةِ اللهِ مَا بَقِيَتْ ... دَارُ النَّعِيمِ وَمَا دَامَتْ بِهَا الظُّلَلُ

٤٧ - أَجِبْ نِدَاءَ شَجٍ مُسْتَصْرِخٍ قَلِقٍ ... مِنْ فِتْيَةٍ أَمْعَنَتْ أَنْيَابُهَا العُصُلُ

= عنيفة، والواو للحال. شعواء: متفرقة تدور هنا وهناك. سطاها: شدتها وقهرها، ولم أقف على (سَطَا) اسمًا بهذه الصيغة، وإنما هو السَطْو، فلعل الكلمة مما أغفلته المعاجم. الدارع: لابس الدرع.

(٣٧) يزايلها: يفارقها، والضمير للحرب. خمدت: انطفأت. القراع: المبارزة والطعن بالسيوف والرماح. البيض: السيوف، الأسل: الرماح.

(٣٨) الضنك: شدة الفقر وسوء الحال. وضاق به ذرعًا: لم يستطع تحمله. ألمَّ به: أصابه. استفز: أثار واستخف. ليسر: بسبب الغنى. عطفه: جانبه. الجذل: الفرح المصحوب بالكِبْر. يقول: إن النبى ﷺ تحمل الفقر وضيق الحال، ولم يتبطر على النعمة إذا أصابه من الله خير وسعة فى الرزق.

(٣٩) يعفو ويصفح: مترادفان.

(٤٠) المناقب: الفضائل. حوَل: تحوُّل وانصراف.

(٤١) معشر: قوم. نُجُب: كِرام. زهر: بيض، يصفهم بالسماحة وحسن الخلق. أولو: أهل.

(٤٢) يقول: إن قوم النبى ﷺ قوم كرام لم يلحق بهم فى مجدهم أحدٌ فى القديم، وكذا فى بقيتهم إلى يوم القيامة.

(٤٣) مضر: قبيلة عربية كبيرة تضم قريشًا وغيرها من القبائل. مبتهل: داعٍ.

(٤٤) حجرته: حجرة النبى ﷺ، وهى حجرة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، وقد توفى ودفن بها النبى ﷺ. زجل: صوت كالغناء.

(٤٥) نُزُل: منزل.

(٤٦) الظُّلل: جمع ظُلَّة، وهى الظِلّ، أى ظلال الجنة.

(٤٧) شجٍ: حزين. مستصرخ: مستغيث. أمعنت: اشتدت. العصل: جمع أعصل، وهو =

٤٨ - البَـرُّ مِنْ رُعْـبِـهـا والبَـحْـرُ مُنْزَعِجٌ ... والحَـزْنُ والسَّـهْلُ والأنْعَـامُ والخَـوَلُ

٤٩ - مِنْ عُـصْـبَـةٍ تَتَـرٍ لوْلا تَخَـالُفُنَا ... مـا صَـدَّنا عَنْهُمُ وَهْنٌ ولا فَـشَلُ

٥٠ - وكَـانَ كُلُّ فِـئَـامٍ مِنْ مَـقَـانِبِـهِمْ ... يَلقَـاهُ مِنَّا ولا يَخْـشَىٰ الرَّدىٰ رَجُلُ

٥١ - فَـاسْـأَلْ لَنا اللهَ نَصْـرًا قَـاهِرًا لَهُمُ ... مُـثَـبِّـتًـا لِقُلوبٍ شَـفَّـهـا الوَجَلُ

٥٢ - فَنَحْنُ مِنْ أُمَّـةٍ تُعْـزَىٰ إلَيْكَ عَلىٰ ... عِـلاَّتِهـا لَيْسَ يَعْـرُو حُـبَّـهـا دَخَلُ

٥٣ - واشْـفَعْ إلىٰ اللهِ لِي فِي حُـسْنِ خَـاتِمَةٍ ... يُمِـيـتُنِي وهْوَ رَاضٍ إنْ دَنَا الأَجَلُ

٥٤ - عَلَيْكَ أَزْكَىٰ سَـلامِ اللهِ مـا بَقِـيَتْ ... دَارُ النَّعِـيـمِ بَقَـاءً لَيْسَ يَنْتَـقِلُ

*****

= الأعوج، والأنياب العُصَل: كناية عن اشتداد الخطب وعظمه.

(٤٨) الحزن: ضد السهل، وهو الوعر. الأنعام: الإبل والبقر والغنم. الخول: الخدم والعبيد. يقول إن هذه الفتنة قد عمت كل شيء حتى البر والبحر والسهول والجبال... إلخ.

(٤٩) تخالفنا: تفرقنا واختلافنا. وفي (أ) تخلفنا، وما أثبته من النبهانية أقرب للمراد. وهن: ضعف. فشل: جبن.

(٥٠) فئام: جماعات. مقانبهم: جمع مقنب وهو جماعة الفرسان على خيلها نحو ثلاثين فارسا. الردى: الموت. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٥١) شفَّها: أرهقها. الوجل: الخوف.

(٥٢) تعزى: تنسب. على علاتها: مع عيوبها. يعرو: يصيب. دخل: فساد.

اللامية الثانية

(عدتها ٩٩ ـ البسيط الثانى)

أنشد الشاعر هذه القصيدة ـ كما ذكر الناسخ فى بدايتها ـ أمام الحجرة الشريفة للنبى ﷺ، سنة خمسين وستمائة (٦٥٠هـ).

إننا أمام مادح صادق لا يقف بين يدى أمير ويبذل ماء وجهه كى ينال عطاءه، بل يقف بين يدى سيد الخلق ﷺ، يمشده أشواقه إليه وإلى الربوع التى شرفت به، معدداً بعض هذه الربوع، ومادحًا تلك الركاب التى حملته فى هجير الصحراء إلى حمى رسول ﷺ، ثم ينتقل بنا إلى الثناء عليه وذكر بعض معجزاته وبشارات الأنبياء والكتب السماوية به قبل مبعثه ﷺ، وكيف عانقت أنواره كلمات آدم وهو يستغفر ربه، وأضاءت وجه حوّاء، وحلّ فى صلب نوح والخليل، وتحولت السكين عن رقبة الذبيح إسماعيل بنوره، ولم يزل يتنقل فى الأصلاب والأرحام الطاهرة حتى حلّ فى صلب عبد الله واستودع فى رحم آمنة بنت وهب، ثم أشرقت بمولده الدنيا.

ويعدد الشاعر كثيراً من معجزاته وخصائصه ﷺ طفلاً ويافعًا وشابًا ورجلاً، حتى أنزل عليه القرآن الكريم معجزته الكبرى الخالدة على الدهر، فاستنقذ الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان.

ثم يثنى على الصحابة الكرام ويخص منهم وزيريه أبا بكر وعمر، والشهيد عثمان ذا النورين، والهاشمى عليًّا رضى الله عنهم أجمعين، ويعم بثنائه كل صحابى رأى النبى ﷺ ولو بنظرة مؤمنًا به.

ثم يذكر الصرصرى أن قصيدته هذه محاكاة واتباع لبردة كعب بن زهير رضى الله عنه التى مطلعها:

بانت سعادُ فقلبى اليوم مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

معبراً ـ في تواضع يحمد له ـ أنه لم يقصد مضاهاة قصيدة كعب، بل التبرك باتباع نهجه، فبردة كعبٍ تفوق محاكاة الصرصرى لها في عدة أمور : أسبقية كعب في مدحه ﷺ، وإنشاده النبي ﷺ مشافهة، ونيله بردة النبي ﷺ إكراماً له.

ثم ينهي القصيدة ـ كعادته ـ بالتماس الشفاعة والتوسل بجاهه ﷺ.

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- أشواق وحنين إلى الديار المباركة.
- في مديح النبي ﷺ وذكر بعض معجزاته.
- في الثناء على الأربعة الراشدين وعموم الصحابة.
- في تقريظ كعب بن زهير إمام المادحين للنبي ﷺ.
- توسل واستغاثة بجاهه ﷺ.

وقالٍ يمدحه ﷺ وأنشدها تجاه الحجرة الشريفة ـ زادها الله عظمة وإجلالاً ـ فى سنة خمسين وستمائة (*):

١ ـ رَكْبَ الحِجازِ، ومِنْكَ الخَيْرُ مَأْمُولُ ... هَلْ عِنْدَكَ اليَوْمَ لِلْمُشْتاقِ تَنْويلُ؟

٢ ـ عَلِّلْ بِمَا طَابَ لِلبَطْحاءِ مِنْ خَبَرٍ ... ذا الوَجْدِ إنْ كَانَ يَشْفِى الصَّبَّ تَعْلِيلُ!

٣ ـ هَلْ رَبَّةُ السِّتْرِ بَعْدَ النَّأْىِ دَانِيَةٌ؟ ... أمْ حَبْلُها بَعْدَ طُولِ القَطْعِ مَوْصُولُ؟

٤ ـ أمْ هَلْ تَحُلُّ مَطَايانَا بِساحَتِها ... ورَبْعُها الرَّحْبُ بالأحْبابِ مَأهولُ؟

٥ ـ ونَقْتَضِى بالمُصَلَّى والصَّفا ومِنَى ... دَيْنًا تَصَرَّمَ حِينٌ وهْوَ مَمْطُولُ

٦ ـ وهَلْ تَجِدُّ بِنَعْمانِ الأرَاكِ لنا ... مِنَ المَواهِبِ أسْمَالٌ رَعَابِيلُ؟! ٥٥/أ

٧ ـ وهَلْ تَخُبُّ بِنَا بينَ العَقِيقِ إلىٰ ... سَلْعٍ رَواحِلُ يَحْدُوها الأرَاجِيلُ

٨ ـ مُضَبَّراتُ القَرَا كُومٌ كَرائِمُ لا ... يَسْأمْنَ مِنْ دَأَبٍ قُودٌ مَرَاقِيلُ

٩ ـ بِالنَّقْىِ أعْظُمُها والدَّرِّ حَالِيَةٌ ... ومِنْ كَلالٍ ومِنْ هُزْلٍ مَعَاطِيلُ

(*) فى (ب) أرخ الناسخ القصيدة بشهر شوال سنة إحدى وخمسين وستمائة، وزاد: على وزن «بانت سعاد»، يريد بردة كعب بن زهير بن أبي سلمى التي مدح بها النبى ﷺ، ومطلعها:

بانت سعادُ فقلبى اليوم مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

وقد أورد النبهانى بردة كعب وأتبعها بجملة وافرة من المعارضات التى وازنها بها أصحابها من الشعراء [انظر: المجموعة النبهانية جـ٣، ص٢ : ١٧٦].

(١) تنويل: مصدر نوّله، أى: أعطاه مراده.

(٢) علّل: اشغلنى ولهّنى بذلك. البطحاء: مكة المكرمة. ذا الوجد: صاحب الحزن والشوق، وهو مفعول (علّل). الصبّ: المحب المشتاق.

(٣) النأى: البعد. دانية: قريبة.

(٤) مطايانا: ركائبنا. مأهول: اجتمع فيه أهله.

(٥) نقتضى: نأخذ. تصرّم: مضى. ممطول: مسوّف مؤجل.

(٦) تجد: تصبح جديدة. نعمان الأراك: موضع قريب من المدينة. المواهب: العطايا الإلهية. أسمالٌ: ثياب ممزقة بالية، ومثلها رعابيل. وفى (أ)،(ب): أشجان رعابيل، وهو تحريف لا يلائم السياق، وصوابه ما أثبته من النبهانية.

(٧) تخبّ: تمشى مسرعة. رواحل: إبل، جمع راحلة. الأراجيل: الرجال الذين يسوقون الإبل.

(٨) مضبرات: قوية تامة الخَلْق. القَرَا: الظَّهْر. كُوم: جمع كوماء، وهى الناقة الضخمة. دأب: سير متواصل. قُود: منقادة مطيعة لراكبها. مراقيل: جمع مرقال، وهى الناقة المسرعة.

(٩) النقى: مخ العظام. أعظمها: عظامها. الدرّ: اللبن. حالية: مزينة. كلال: تعب. هُزْل: ضعف. معاطيل: خاليات. يقول إن هذه النوق قد تزينت وحسنت بما لها من قوة البنيان وغزارة اللبن، وقد خلت من الضعف والإعياء.

١٠ - خُوصٌ لَها أَرَبٌ تَحْتَ الدُّجَى وإذَا اشْـ ... ـتَدَّ الهَجِيرُ وضَمَّ القَسْوَرَ الغِيلُ

١١ - يَحْكِينَ نَفْثَ نَعامٍ راعَهُنَّ ضُحًى ... ذُعْرٌ وسُعْرٌ والصَوَّانُ مَنْثُولُ

١٢ - يَلْبِزْنَ صُمَّ الحَصَى لَبْزًا ومَدْرَجُها ... خَطٌّ عَلَيْهِ فَمَنْقُوطٌ ومَشْكُولُ

١٣ - إذَا الحُداةُ بِسَلْعٍ عَرَّضُوا فَلَها ... علىٰ الوَجَىٰ ودوامِ السَّيْرِ تَبْغِيلُ

١٤ - تَحِنُّ شَوْقًا، وأنَّىٰ لا تَحِنُّ إلىٰ ... حِمىٰ الرَّسُولِ النَّجِيباتُ المَراسِيلُ

١٥ - تِلْكَ الرُّبوعُ الَّتِي آنَسْتُ مُبْتَكِرًا ... رُشْدِي بِها وتَعَدَّتْنِي الأضَالِيلُ

١٦ - حَلَلْتُها فَحَلا عِنْدِي الغَرامُ بِها ... ثُمَّ انْصَرَفْتُ وفِي قَلْبِي عَقابِيلُ

١٧ - فَهَلْ أَقِيلُ بِسَلْعٍ فِي أَعَزِّ حِمًى ... إنْ قِيلَ يَوْمًا لِرَكْبٍ مُهْجِرٍ قِيلُوا

١٨ - فِي تُرْبَةٍ رَحْبَةِ الأكْنَافِ قَلَّ لَها ... مِنَ المُحِبِّ بِجَفْنِ العَيْنِ تَقْبِيلُ

---

(١٠) خوص: غائرة العيون من شدة الظمأ. أرب: نشاط فى السير. القسور: الأسد. الغيل: بيت الأسد. يقول إن هذه الإبل غائرات العيون من شدة الظمأ، لكنها نشيطة فى السير فى ظلام الليل أو فى حر الهجير عندما يلزم الأسد بيته ولا يفارقه من شدة الحر.

(١١) يحكين: يشبهن. نفث: نفخ ولهاث، وفى (أ): نعت، وما أثبته من (ب) والنبهانية. راعهن: أفزعهن. ذعر: خوف شديد. سُعْرٌ: أصابهن حر شديد كأنما ألقين فى السعير. الصوان: الحجارة الصلبة. منثول: مقطع يكاد يتفتت. يصف هذه الإبل فى سرعتها فيشبهها بنعام مذعورة فى الحر الشديد الذى يفتت الصخور.

(١٢) يلبزن: يضربن. مدرجها: طريقها. شبه آثار أخفاف الإبل فى الحجارة بالخط المستقيم الواضح كالكتابة ذات النقط والتشكيل. وهذا البيت زيادة من (ب) والنبهانية، وفى (ب): (كأن دمها) بدل (ومدرجها).

(١٣) الحداة: الذين يسرقون الإبل ويغنون لها. عرضوا: ذكروا - فى غنائهم - عرضًا لا صراحة. فلها: الضمير للإبل، وفى (أ): عرضوا سحرا. ولا معنى له، بل يؤدى إلى تفكك فى التركيب النحوى للبيت، وما أثبته من (ب) هو الصواب، ومثله فى النبهانية. الوجى: داء يصيب الإبل فيحفى أقدامها من كثرة السير. تبغيل: صبر على السير الطويل.

(١٤) النجيبات: الإبل الكريمة. المراسيل: السريعة.

(١٥) آنست: عرفت وأدركت. مبتكرا: فى عمر مبكر، أى فى سنوات الطفولة. الرشد: العقل، وهو مفعول (آنست). تعدتنى: تجاوزتنى. الأضاليل: ألوان الضلال والباطل.

(١٦) حلا: من الحلاوة. عقابيل: آثار الحب وبقاياه.

(١٧) أقيل: من القيلولة، وهى الراحة فى وقت الهجير. مهجر: سائر فى الهجير أى الحر الشديد. قيلوا: أمر من (قال يقيل)، وهو يجانس بين كلمة القافية وبين (قيل) فى أول الشطر الثانى.

(١٨) رحبة الأكناف: واسعة الجوانب.

١٩ - أرضٌ ثَوَىٰ مُجْمَلُ العِلْمِ الغَزيرِ بِها ... وانْبَثَّ مِنْها لِنَفْعِ النَّاسِ تَفْصيلُ

٢٠ - بالفَاتِحِ الخاتَمِ الهادِي الذي شَهِدَتْ ... بِفَضْلِهِ الجَمُّ تَوْراةٌ وإنْجيلُ

٢١ - وبَشَّرَ الناسَ موسَىٰ والمسيحُ بِهِ ... وبَثَّ أوْصافَهُ شَعْيَا وحِزْقيلُ

٢٢ - ولَمْ تزَلْ شِيَعُ الرُّهْبانِ تَنْعَتُهُ ... إنْ مَرَّ جيلٌ أتَىٰ مِنْ بَعْدِهِ جيلُ

٢٣ - حَتَّىٰ وعَىٰ نَعْتَهُ سَلْمانُ فاتَّبَعَ الْـ ... آثارَ لَمْ تُلْهِهِ عَنْها الأَشَاغِيلُ

٢٤ - فأبْصَرَ الحَقَّ لا غَيٌّ يُخالِطُهُ ... ولا عَداهُ عَنِ التَّحْقيقِ تَضْليلُ

٢٥ - وقَبْلُ كانَ اسْمُهُ سَطْراً تَضَمَّنُهُ ... عَرْشٌ عَظيمٌ علىٰ الأَمْلاكِ مَحْمولُ

٢٦ - ولاحَ فَوْقَ نُحُورِ الحُورِ أحْسَنَ مِنْ ... عِقْدٍ من الدُّرِّ زانَتْهُ التَّفاصيلُ

---

(١٩) ثوى: أقام. انبثّ: انتشر.

(٢٠) الجم: الكثير.

(٢١) شعيا وحزقيل: من أنبياء بنى إسرائيل. وقد أورد ابن ظفر الحموى فى « خير البشر » كثيراً من بشارات أنبياء بنى إسرائيل بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ومما أورده من بشارات شعيا: عبدى الذى سُرَّتْ به نفسى، أنزل عليه وحيى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم بالوصايا، لا يسمع صوته فى الأسواق، يفتح العيون العُور والآذان الصُّم، ويُحيى القلوب الغُلْف، وما أعطيه لا أعطى أحداً، مشقّح بحمد الله حمداً جديداً، يأتى من أقصى الأرض يفرح البَرِّيَّة وسكانَها، يهللون الله على كل شَرَف ويكبرونه على كل رابية... وهو نور الله الذى لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفيه. قال ابن ظفر بعد أن ساق النص المذكور: هذه ترجمة السريانيين، وعبَّر العبرانيون عنه بأن قالوا: على كتفيه علامة النبوة [انظر: خير البشر بخير البشر، ص ٣٩ : ٤٠] وقارن النص المذكور بالإصحاح الثانى والأربعين من سفر أشعياء فى العهد القديم]. ومن كلام حزقيل مشبهاً قوة بنى إسرائيل وازدهارهم بالكَرْمة (أى بستان العنب): لم تلبث تلك الكرمة أن قُلِعَتْ ورمى بها على الأرض، وأحرقت السمائم ثمرتها، فعند ذلك غُرِسَ غَرْسٌ فى البدو فى الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أعضائه الفاضلة نارٌ فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب. قال ابن ظفر الحموى معلقاً على هذا النص: فلا شك أن أرض البدو المهملة العطشى هى أرض العرب، وغَرْسُ الله الذى غرس فيها هو محمد ﷺ وقد أخزى الله به اليهود.
[المرجع السابق ، ص ٤٣].

(٢٢) شيع: جماعات. تنعته: تصفه.

(٢٣) سلمان: هو سيدنا سلمان الفارسى ﷺ ، وسبق ذكر قصة إيمانه مفصلة.

(٢٤) غىٌّ: ضلال وفساد.

(٢٥) يقول إن اسم النبى ﷺ مكتوب منذ الأزل على عرش الرحمن الذى تحمله الملائكة.

(٢٦) نحور: صدور. الحور: النساء الجميلات فى الجنة . التفاصيل: الخرزات التى تفصل بين أجزاء العقد.

٢٧ - لذاكَ آدَمُ لَمَّا قَامَ مُعْتَذِراً ... إذْ غَرَّهُ مِنْ عَدُوِّ اللهِ تَسْوِيلُ

٢٨ - دَعَا بِهِ فَأَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ ... وكَانَ مِنْهُ لَهُ قُرْبٌ وتَبْجِيلُ ٥٥/ب

٢٩ - وزَانَهُ نُورُهُ أيَّامَ مَهْبِطِهِ ... كَأَنَّهُ مِنْهُ فَوْقَ الوَجْهِ قِنْدِيلُ

٣٠ - وأودعَتْ نُورَهُ حَوَّاءُ فَابْتَهَجَتْ ... وكَانَ مِنْهُ لَهَا تَاجٌ وإكْلِيلُ

٣١ - وبالأُبُوَّةِ شِيثٌ نَالَ مُنْفَرِداً ... شَأْواً مِنَ الفَضْلِ لَمْ يُدْرِكْهُ هَابِيلُ

٣٢ - وحَلَّ فى صُلْبِ نُوحٍ فى السَّفِينِ وفِى ... صُلْبِ الخَلِيلِ ولِلنِّيرانِ تَشْعِيلُ

٣٣ - والمُدْيَةُ انْقَلَبَتْ عَنِ الذَّبِيحِ لِمَا ... مِنْ نُورِهِ فِيهِ مَكْنُونٌ ومَجْبُولُ

٣٤ - ولَمْ يَزَلْ بِصَحِيحِ العَقْدِ يُودِعُهُ الـ ... ـزُّهْرَ الطَّوَاهِرَ آبَاءٌ بَهَالِيلُ

٣٥ - حَتَّىٰ اسْتَقَرَّتْ لَهُ فى هَاشِمٍ قَدَمٌ ... لَهَا مِنَ المَجْدِ تَفْرِيعٌ وتَأْثِيلُ

٣٦ - وأَحْرَزَ النُّورَ عَبْدُ اللهِ فَهْوَ بِهِ ... نَاجٍ مِنَ النَّحْرِ تَفْدِيهِ الشَّمَالِيلُ

٣٧ - ثُمَّ اسْتَقَلَّتْ بِهِ الزَّهْرَاءُ آمِنَةُ الْـ ... ـحَصَانُ لَمْ يَلْقَهَا فى الحَمْلِ تَثْقِيلُ

٣٨ - حَتَّىٰ بَدَا عَامُ سَارَتْ نَحْوَ مَكَّةَ أَوْ ... بَاشُ الأَحَابِيشِ يَحْدُو جَيْشَهَا الفِيلُ

٣٩ - فكَانَ مِنْ سِرِّهِ المَكْنُونِ أنْ دَفَعَتْ ... عَنْهَا أعَادِيَهَا طَيْرٌ أبَابِيلُ

٤٠ - فَأَشْرَقَتْ جَنَبَاتُ الأَرْضِ حِينَ بَدَا ... نُورٌ لَهُ فى الطِّبَاقِ السَّبْعِ تَجْوِيلُ

---

(٢٧) تسويل: تزيين الشيطان وخداعه للإنسان.

(٢٨) تبجيل: تقدير واحترام.

(٣١) شيث: ابن آدم عليهما السلام. يقول: إن شيثا نال فضلاً وتميزاً بأن ولد فى بطن منفرداً دون سائر أبناء آدم عليه السلام، وذلك كرامة لشيث الذى سيكون النبى ﷺ من نسله.

(٣٣) المدية: السكين. الذبيح: إسماعيل عليه السلام. مكنون: مستور. مجبول: متأصل فى خلقته وطبيعته.

(٣٤) الزُّهْر: جمع زَهْراء، وهى المرأة البيضاء الحسناء. بهاليل: جمع بهلول وهو السيد.

(٣٥) لها من المجد تفريع: فروع، وتأثيل: أصل ثابت. والجمع بين الضدين يفيد العموم والشمول، يقول إن لبنى هاشم كل مجد وفضل بكون النبى ﷺ منهم.

(٣٦) النحر: الذبح. الشماليل: الإبل القوية، وقد نجا عبد الله والد نبينا ﷺ من الذبح بفدية من الإبل.

(٣٧) الحصان: العفيفة.

(٣٨) بدا: ظهر. الأوباش: السفلة ورعاع الناس. الأحابيش: أهل الحبشة. يحدو: يسوق. يشير إلى ولادة النبى ﷺ عام الفيل.

(٣٩) أبابيل: جماعات.

(٤٠) تجويل: تجول وحركة.

٤١ - وخَرَّ يَسْجُدُ للرَّحْمَنِ مُقْتَرِبًا ... سُجودَ عَبْدٍ لَهُ بالقُرْبِ تأهيلُ

٤٢ - وصَانَهُ سَاعَةَ الوَضْعِ المَلائِكُ مِنْ ... مُعاندٍ كَيْدُهُ مَسٌّ وتَخْبيلُ

٤٣ - وطَاحَ تَاجُ أنُوشُرْوَانَ وارْتجَسَ الْـ ... إيوانُ وانْصاعَ كِسْرَىٰ وهْوَ مَخْبُولُ

٤٤ - جَاءتْ به كَامِلاً لا عَيْبَ يَنْقُصُهُ ... كأنَّهُ وهْيَ لَمْ تَكْحَلْهُ مَكْحولُ

٤٥ - وكَانَ يُضْحِي دَهِينًا فى حَدَائِتِه ... وما لِفَوْدَيْه بالأدْهانِ تَرْجيلُ

٤٦ - وكَانَ وهْوَ ابْنُ خَمْسٍ بالغَمامِ لَهُ ... مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ حَتَّىٰ شَبَّ تَظْليلُ

٤٧ - وخُصَّ فى العُمُرِ النَّامِى الشَّرِيفِ لَهُ ... بالشَّرْحِ صَدْرٌ بماءِ القُدْسِ مَغْسولُ

٤٨ - فى أرْبَعٍ ثُمَّ فى عَشْرٍ ولَيْلَةِ مِعْـ ... ـراجٍ لَهُ منْهُ تَقْريبٌ وتَفْضيلُ

٤٩ - حَتَّىٰ إذَا بَلَغَ الإبَّانَ شَرَّفَهُ ... مِنَ المُهَيْمِنِ رَبُّ العَرْشِ تَنْزيلُ ٥٦/١

٥٠ - آياتُهُ مُحْكَماتُ النَّظْمِ لَيْسَ لِمَا ... فيها منَ الحُكْمِ والتِّبْيَانِ تَبْديلُ

٥١ - فيها مَواعِظُ يَشْفِينَ الصُّدورَ من الـ ... ـشَّكِّ المُريبِ وتَحْرِيمٌ وتَحْليلُ

٥٢ - فجاءَ بالحَقِّ والشَّيْطانُ قَدْ خَلَبَتْ ... منْهُ عُقولَ أُولى الشِّرْكِ الأبَاطِيلُ

٥٣ - فأوْضَحَ الخُطَّةَ المُثْلَىٰ وأنْقَذَ مِنْ ... تيهِ الهَوَىٰ مَنْ أضَلَّتْهُ التَّماثيلُ

٥٤ - فشَرْعُهُ واضِعُ الآصارِ أحْسَنُ مَا ... شَرْعٍ لَنا منهُ إيضَاحٌ وتَسْهيلُ

٥٥ - فى بَعْثِهِ حَرَسَ السَّقْفَ الثَّواقِبُ فَالْـ ... ـهَمَّازُ عَنْ خَطَفَاتِ السَّمْعِ مَعْزولُ

---

(٤٢) مس وتخبيل: اختلال العقل. والمعاند: الشيطان.

(٤٣) طاح: سقط وزال. أنوشروان: كسرى فارس الذى كان على العرش لمّا وُلِدَ النبى ﷺ فتصدع إيوانه وسقط ملكه. ارتجس: تحطّم بعنف. انصاع: رجع مسرعا.

(٤٥) دهينا: شعره مدهون. فوديه: جانبى رأسه. ترجيل: تسريح.

(٤٧) القدس: الطهارة.

(٤٨) يفصل فى هذا البيت شرح صدر النبى ﷺ ثلاث مرات: مرة فى عمر أربع، والثانية فى عمر عشر، والثالثة فى ليلة معراجه ﷺ.

(٤٩) الإبان: الوقت المقدر. التنزيل: القرآن الكريم.

(٥٢) خلبت عقولهم: سلبتها. الأباطيل: الغواية والتضليل.

(٥٣) الخطة: الطريقة. تيه الهوى: التكبر بالباطل. التماثيل: الأصنام.

(٥٤) الآصار: القيود والأثقال، واضعها: الذى يخففها. وكلمة ما فى (أحسن ما) زائدة للتوكيد.

(٥٥) السقف: السماء. الثواقب: الشهب. الهماز: الشيطان. عن خطفات السمع معزول: لا يستطيع أن يتسمع إلى الملأ الأعلى كما كان يفعل قبل بعث النبى ﷺ.

٥٦ - قَدْ جاءَ بالمُعْجزاتِ الظَّاهراتِ فَلَمْ ... يَرُدُّها فى البَرَايَا مَنْ لَهُ جُولُ

٥٧ - وكَانَ فى القَمَرِ المُنْشَقِّ مُعْجِزَةٌ ... ما فى حَقِيقَتِها للعَيْنِ تَخْيِيلُ

٥٨ - وسَبَّحَ الحَصَيَاتُ السَّبْعُ فى يَدِهِ ... لَهُنَّ بالذِّكْرِ تَكْبِيرٌ وتَهْلِيلُ

٥٩ - وحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ حِينَ فَارَقَهُ ... شَوْقًا كَما حَنَّتِ العُوذُ المَطافِيلُ

٦٠ - وخَدَّتِ الأَرْضَ يَوْمًا دَوْحَةٌ وأَتَتْ ... تَسْعَىٰ إِلَيْهِ وللأَفْنانِ تَهْدِيلُ

٦١ - وخَرَّ مِنْ نَخْلَةٍ عِذْقٌ بِدَعْوَتِهِ ... وارْتَدَّ لَمْ يَتَفَلَّلْ مِنْهُ عُثْكُولُ

٦٢ - وخَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ سَاجِدًا جَمَلٌ ... لَوْلاهُ أَضْحَى ومِنْهُ النِّيءُ مَحْمُولُ

٦٣ - وهَكَذا سَجَدَ السَّانِى العَصِىُّ لَهُ ... فانْصاعَ فِيهِ لِسَنْوِ الماءِ تَذْلِيلُ

٦٤ - وسَلَّمَتْ ظَبْيَةٌ يَوْمًا عَلَيْهِ وعَنْ ... رِضاعِ خِشْفَيْنِ عاقَتْهَا الأَحَابِيلُ

٦٥ - فَفَكَّها مِنْ وَثَاقِ الأَسْرِ فانْطَلَقَتْ ... لَها لِسانٌ بِشُكْرِ اللهِ مَعْسُولُ

٦٦ - وحَارِشُ الضَّبِّ لَمَّا أَنْ أَقَرَّ لَهُ ... بِدَعْوَةِ الحَقِّ أَضْحَىٰ وهْوَ مَدْلُولُ

٦٧ - وسَحَّ ماءٌ عَرِيضٌ مِنْ أَصابِعِهِ ... مِنْ دُونِ مَشْرَبِهِ المُسْتَعْذَبِ النِّيلُ

٦٨ - سَقَىٰ فَرَوَّىٰ مِئِينًا خَمْسَ عَشْرَةَ ما ... مِنْ ناهِلٍ مِنْهُ إِلاَّ وهْوَ مَعْلُولُ

---

(٥٦) جول: عقل.

(٥٩) العوذ: الإبل حديثة الولادة، ومثلها المطافيل؛ وذلك لأن الإبل فى هذه الحالة أشد حنينًا وعطفًا على أطفالها.

(٦٠) خدَّت: شقت. دوحة: شجرة كبيرة. الأفنان: الأغصان. تهديل: ارتخاء.

(٦١) لم يتفلَّل: لم ينقطع. عثكول: شمراخ الرطب.

(٦٢) النِّيء: اللحم. أى: لولا شكواه إلى النبى ﷺ لأكلوا لحمه. جاء فى الحديث أن بعيرًا أتى فقام بين يدى رسول الله ﷺ، فرأى عينيه تدمعان، فبعث إلى أصحابه فقال: ما لبعيركم هذا يشكوكم؟ فقالوا: كنا نعمل عليه فلمَّا كَبِرَ وذهب عملُه تواعدنا لنحره غدًا. فقال رسول الله ﷺ: لا تنحروه واجعلوه فى الإبل يكونُ فيها [دلائل البيهقى ٦ / ٢١].

(٦٣) السانى: الجمل الذى يدير الساقية. العَصِىّ: الممتنع من العمل. انصاع: ذل وانقاد مسرعًا. سنو: سقى. تذليل: سهولة ويسر.

(٦٤) خشفين: مثنى خِشْف، وهو ولد الظبية. الأحابيل: الشراك التى نصبها الصياد لها.

(٦٦) حارش الضب: صائدة، ولا تستعمل كلمة الحرش إلا فى صيد الضبِّ دون غيره من الحيوان. مدلول: مهتدٍ بما تبين له من دليل صادق.

(٦٧) سحَّ: نبع غزيرا.

(٦٨) مئينا: مئات، والمراد بالمئين الخمس عشرة: ألف وخمسمائة من المقاتلين سقاهم رسول الله من الماء الذى نبع من بين أصابعه. ناهل: الشارب أول مرة. معلول: شارب =

٦٩ - ومَدَّ فى الجَدْبِ كَفَّيْهِ فَلَمْ يَرِمِ الْـ ... ـمُثْعَنْجِرُ الجَوْدُ إلاَّ وهْوَ مَهْلولُ

٧٠ - ومَدَّ للصَّحْوِ كَفًّا فانْجَلَىٰ فِرَقًا ... كأَنَّهُ نَعَمٌ هِيمٌ مَجافِيلُ

٧١ - وحَذَّرَتْهُ ذِراعُ الشَّاةِ مَا وَضَعَتْ ... فِيها مِنَ السُّمِّ أُمُّ النَّيْرَبِ الغولُ ٥٦/ب

٧٢ - وَفَاءَ مِنْ عُقَدِ النَّفَّاثِ مُنْطَلِقًا ... كأَنَّهُ مُرْهَفُ الحَدَّيْنِ مَصْقُولُ

٧٣ - هذا وأَوْلاهُما صَفْحًا عَلَىٰ ظَفَرٍ ... ولَمْ يَشُنْ حِلْمَهُ المَحْمودَ تَعْجِيلُ

٧٤ - ومَنْ يُرِدْ جَاهِدًا حَصْرًا لِمُعْجِزِهِ ... يَحْصَرْ ولَمْ يَتَّسِعْ فى نَظْمِهِ قِيلُ

٧٥ - إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... نَقْصُ المِحاقِ ولا يُخْفِيهِ تَأْفِيلُ

٧٦ - أَمَدَّهُ اللهُ بالأَمْلاكِ مُرْدِفَةً ... لِنَصْرِهِ فَلَهُمْ فى الخَصْمِ تَنْكِيلُ

٧٧ - وبالمُهاجِرَةِ الأَعْيَانِ والغُرَرِ الْـ ... ـأَنْصارِ كُلٌّ لَهُ فى الفَضْلِ تَحْصِيلِ

٧٨ - بِهِمْ عُقودُ الهُدَىٰ شُدَّتْ كَما بِهِمُ ... عَقْدُ الضَّلالَةِ أَضْحَىٰ وهْوَ مَحْلُولُ

٧٩ - وخَصَّهُ بِأَبِى بَكْرٍ وبالعَلَمِ الْـ ... ـفَارُوقِ إِذْ لَهُما صِدْقٌ وتَعْدِيلُ

= مرة أخرى، فالنهل: أول الشرب، والعلل: الشرب مرة أخرى.

(٦٩) لم يرم: لم يلبث، كناية عن السرعة. المثعنجر: الغزير. الجَوْد: المطر. مهلول: سائل بشدة.

(٧٠) فرقًا: قطعًا متفرقة. نَعَمٌ: إبل. هيم: عطاش. مجافيل: منزعجة مسرعة إلى الماء لشدة عطشها.

(٧١) أم النيرب: أم الشرّ. الغول: بدل من أم النيرب، وأراد بها اليهودية التى دست السم للنبى ﷺ فى ذراع الشاة.

(٧٢) فاء: رجع. النفاث: الساحر، وهو لبيد بن الأعصم، وسبق ذكره. مرهف الحدين: سيف رقيق لامع.

(٧٣) أولاهما: تكرم عليهما، والضمير لليهودية التى أرادت أغتياله واليهودى الذى سحره. صفحا: عفوا. على ظفر: بعد أن قدر عليهما وكان بوسعه أن يقتص منهما. لم يشن: لم يعب.

(٧٤) يحصر: يعجز عن بلوغ هذه الغاية. قيل: كلام، يقول إن معجزات النبى ﷺ يصعب حصرها ولا يتسع الكلام لها.

(٧٥) المحاق: إظلام القمر. تأفيل: أفول وغياب.

(٧٦) مردفة: متتابعة.

(٧٧) المهاجرة: أصحاب النبى ﷺ من المهاجرين.

(٧٩) العلم: المشهور. الفاروق: لقب عمر بن الخطاب ﷺ. تعديل: نسبة إلى العدل، أى ينسب الناس العدل إليهم.

٨٠ - هُما وَزِيراهُ فى الأرضِ ارْتَضىٰ بِهِما ... وفى السَّمٰوات مِيكَالٌ وجِبْرِيلُ

٨١ - وبالشَّهِيدِ أَبِى عَمْرٍو مُرَتِّلِ آ ... يَاتِ الكِتابِ وثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ

٨٢ - عُثْمانَ مَنْ خُصَّ بالنُّورَيْنِ ثُمَّ لَهُ ... مِنْ أَنْفَسِ النَّفْعِ تَجْهِيزٌ وتَسْبِيلُ

٨٣ - والهَاشِمِىٌّ عَلِىٌّ وهْوَ نَاصِرُهُ ... وصارِمٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

٨٤ - أخِى الرَّسُولِ حَبَاهُ بالبَتُولِ فَمَنْ ... نَاواهُ فَهْوَ عَنِ الإيمانِ مَبْتُولُ

٨٥ - أَكْرِمْ بِهِمْ خَيرُ كُلُّ الصَّحْبِ أربَعَةً ... هُمُ لِمَنْ صَحَّحَ التَّقْوَى قَناديلُ

٨٦ - ومَنْ رآهُ بإيمانٍ فإنَّ لَهُ ... فَضلاً على غَيْرِهِ ما فِيهِ تَقْلِيلُ

٨٧ - أُجُورُهُمْ بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ وافِرَةٌ ... يَوْمَ المَعادِ إذَا تُحْصَىٰ المَثاقِيلُ

٨٨ - يا سَيِّدَ النَّاسِ فى الدُّنْيا وسَيِّدَهُم ... يَومَ القِيامَةِ، مِنْكَ الخَيْرُ مأمُولُ

٨٩ - حَبَّرْتُ فِيكَ مَدِيحًا حُسْنُ وَصْفِكَ فى ... رءوسِ أبْياتِهِ الحُسْنَىٰ أكَالِيلُ

٩٠ - نَظَمْتُها وزْنَ مَنْ قَدْ قَالَ مُبْتَدِئًا: ... بَانَتْ سُعادُ فَقَلْبِى اليَوْمَ مَتْبُولُ

٩١ - تَبَرُّكًا باتِّباعِى ما نَحاهُ ولَمْ ... أبْغِ المُضَاهاةَ، أيْنَ الطَّوْلُ والطُّولُ؟!

---

(٨١) أبو عمرو: عثمان بن عفان ﷺ. مسدول: مُرخَى. يصف عثمان بالتبتل وطول العبادة وقراءة القرآن فى جوف الليل.

(٨٢) عثمان: بدل من (الشهيد أبى عمرو...) فى البيت السابق. النورين: زوجتيه، وهما السيدتان رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ. تسبيل الشىء: جعله فى سبيل الله. يشير إلى تجهيز عثمان ﷺ جيش العسرة.

(٨٣) صارم: قاطع. مسلول: مخرج من غمده استعداداً للقتال فى سبيل الله.

(٨٤) حباه: أكرمه. البتول: السيدة فاطمة رضى الله عنها. ناواه: أصله ناوأه، أى عاداه وخاصمه. مبتول: مقطوع مطرود.

(٨٧) المثاقيل: الأوزان، ومراده بها: الأعمال.

(٨٩) حبرت: نظمت نظما حَسَنا. أكاليل: جمع إكليل وهو التاج.

(٩٠) القائل هو كعب بن زهير. والصرصرى يتبع خطاه فى قصيدته هذه. وقد عارض بردة كعب شعراء عديدون، وأورد النبهانى فى «المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية جـ ٣» ثلاثا وعشرين قصيدة فى معارضة بردة كعب لشعراء من عصور مختلفة تشغل مائة وستا وسبعين صفحة. ومعنى بانت: فارقت، متبول: متيَّم ملهوف.

(٩١) نحاه: قصده. المضاهاة: المماثلة. الطَّول بفتح الطاء: القُدرة والبلاغة، والطُّول بضم الطاء: التمام. وهذا تواضع من الصرصرى، إذ يجعل محاكاته لكعب بن زهير لغرض التبرك لا لقصد المماثلة.

٩٢ - لقَدْ عَلا كَعْبُ كَعْبٍ كُلَّ مُمْتَدِحٍ ... فَمَنْ يُفاضِلْهُ يَومًا فَهْوَ فَمَفْضُولُ ٥٧/أ

٩٣ - سَبْقًا وفَضْلاً وإنْشَادًا مُشافَهَةً ... وبُرْدَةً قَصَّرَتْ عَنْها السَّرابِيلُ

٩٤ - لَكِنَّنِي إنْ يَكُ التَّسْويفُ قَصَّرَ بِي ... وقِيلَ إنَّكَ مَبْعوثٌ ومَسْئولُ

٩٥ - أقولُ للواعِظِ المُهْدِي نَصِيحَتَهُ: ... أقْصِرْ؛ فَلِي شَافِعٌ فِي الحَشْرِ مَقْبُولُ

٩٦ - مُحَمَّدٌ خَيرُ مَبْعوثٍ بِمَرْحَمَةٍ ... وجَاهُهُ الغَمْرُ لِلرَّاجِينَ مَبْذُولُ

٩٧ - فاشْفَعْ لِيَ الآنَ فِي إطْلاقِ نَفْسِيَ مِنْ ... وَثَاقِها فَقَرِينُ النَّفْسِ مَكْبُولُ

٩٨ - وفِي المَعَادِ فَسَلْ حُسْنَ الخَلاصِ لَها ... إذْ كُلُّ عَبْدٍ بِمَا يَعْنِيهِ مَشْغُولُ

٩٩ - عَلَيْكَ أزْكَىٰ صَلاةِ اللهِ بَاقِيَةً ... بَقَاءَ دَارٍ إلَيْها أنتَ مَنْقُولُ

*****

---

(٩٢) علا كعبُ: تفوَّق على غيره وامتاز. وكعب الثانية: كعب بن زهير صاحب البردة. يفاضله: يحاول أن يحوز ما ناله من فضل.

(٩٣) البردة: ثوب أعطاه النبى ﷺ كعب بن زهير لما أنشده قصيدته فى مديحه. والسرابيل: القمصان. يقول إن فضل كعب على غيره من الشعراء: لأسبقيته عليهم، وفضله عليهم لكونه رأى النبى ﷺ، وأنه أنشده قصيدته مشافهة، وأنه نال بردته المباركة جائزة له.

(٩٤) التسويف: التأجيل، مأخوذ من قول المرء: سوف أفعل كذا.

(٩٥) أقْصِر: كُفَّ عن نصحك لى.

(٩٦) الغمر: الكثير. مبذول: مقدَّم.

(٩٧) الوثاق: القيد. قرين النفس: الشيطان. مكبول: مقيد. يقول مخاطبًا النبى ﷺ: اشفع لى عند الله أن يطلقنى من قيدى وأن يقيد الشيطان فلا يوسوس لى.

اللامية الثالثة

(عدتها ٩٩ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بوصف مشاعر ركب الحجيج المنطلق من العراق إلى الديار المباركة، فى حالة من الطرب واللهفة تشملهم وتشمل ركابهم، ويذكر تلك المواقع التى مروا بها من بدء رحلتهم إلى منتهاها، فيما يشبه رسمًا بالكلمات لخارطة تمتد من العراق إلى الحجاز، على نحو يذكّرنا بصنيع الشعراء الأقدمين فى وصف الديار وأطلالها، إلا أن هذه الديار التى يصفها الصرصرى رموز روحية ومنازل قدسية تقرب المُحبَّ من الحبيب النبى ﷺ.

وفى هذه القصيدة يذكر الشاعر المستعصم بالله ويمدحه بأنه قد جدد ما انمحى من معالم تلك الطرق المباركة، داعيًا له بالنصر والتأييد.

ثم تتواصل رحلة الركب حتى يبلغ ميقاته بذات عرق، فالمواقف المختلفة، حتى يحلَّ أرض طيبة (المدينة المنورة) حمى النبى ﷺ.

وينتقل من هنا إلى مدح النبى ﷺ، والثناء على صحابته الأكرمين، ويخص منهم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا والعباس وحمزة رضى الله عنهم، ويذكر زيارة الركب لقبر إبراهيم ابن النبى ﷺ، وحفيده الحسن بن علىّ رضى الله عنهم أجمعين.

وينهى القصيدة بمناجاة محبوبه ﷺ والاستجارة والتوسل به إلى الله عز وجلَّ لقضاء حاجاته فى الدنيا والآخرة، ولا ينسى أن يدعو بالسلامة والأمن لمن كان سببًا فى إيصاله إلى الربوع المقدسة.

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- رحلة الحج من العراق إلى الحجاز.
- فى مدح الخليفة المستعصم بالله.

- فى مدح النبى ﷺ .
- فى الثناء على الصحابة الكرام .
- توسل واستجارة بالنبى ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ وذكر فيها منازل طريق مكة حرسها اللهُ تعالى(*) :

١ - لأيٍّ مَكْنُونِ سِـــرٌّ حَنَّتِ الإبِلُ ؟ أفَارَقَتْ إلْفَهـا أمْ شَاقَهـا الطَّلَلُ؟

٢ - لا بَلْ حَمَلْن علىٰ الأكْوارِ كُلَّ فَتًى هَاجَتْ بأرْضِ الحِمىٰ أشْجانَهُ الكِلَلُ

٣ - سَـرَيْنَ مِنْ رَوْحَـةِ الزَّوْراءِ يُطْرِبُهـا حَـدْوُ الحُـداةِ ويُذْكِي وَجْـدَها الغَـزَلُ

٤ - طَوَيْنَ صَـرْصَـرَ طَيًّـا والفُـرَاتَ إلىٰ كُـوفانَ لَيْسَ لَهـا غَـيرُ السُّرَىٰ شُـغُلُ

٥ - زارَ الحَجِيجُ بِهـا صِهـرَ الرَّسولِ أبَا تُرابِ العَلَمَ المَنْشُـورَ وابْتَـهَلُوا

٦ - وشَـارَفَ النَّاجِيـاتُ القَـادسِيَّـةَ لَمْ يَعْـدِلْنَ عَنْهـا فَلمَّا أسْحَـرُوا رَحَلوا

٧ - وجَاوَزُوا بالسُّرَىٰ قَصْرَ العُذَيْبِ ومِنْ مـاءِ الزُّبَيْـدِيِّ عَـذْبًا سَـائِغًـا نَهَلوا

(*) في (ب) : وقال ـ رحمه الله ـ يذكر المنازل ويمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنشدها تجاه الحجرة النبوية في سنة خمسين وستمائة .

(١) مكنون : خفي مستور . شاقها : أثار شوقها . الطلل : ما تبقّى من الديار بعد رحيل أهلها .

(٢) الأكوار : جمع كُور وهو الرَّحل الذي يوضع فوق ظهر البعير . هاجت : أثارت ، وهو فعل متعدٍّ مفعوله (أشجانه) . الكلل : جمع كلة وهي الستر الرقيق للهودج . وهذه الستور تثير الأشجان لأنها تكون للنساء .

(٣) روحة الزوراء : موضع قريب من بغداد [معجم البلدان ٣ / ١٧٥] . وسيذكر الشاعر في هذه القصيدة المنازل التي يمر عليها الحجّاج في طريقهم من العراق إلى الديار المقدسة ، فيما يشبه خارطة دقيقة . والحَدْو : الغناء . يُذكي : يزيد .

(٤) طوين : قطعن . صرصر : بلد الشاعر ، وهناك بلدتان بالعراق كلتاهما تدعى صرصر ، وهما على ضفة نهر متفرع من الفرات يدعى نهر صرصر أو نهر عيسى ، وكلتاهما قريبة من بغداد [معجم البلدان ٤ / ٥٥٦] . كوفان : الكوفة .

(٥) أبا تراب : سيدنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والنبي ﷺ هو الذي دعاه بهذا اللقب . روى البخاري أن النبي ﷺ رأى عليًّا رضي الله عنه مضطجعا في المسجد وقد سقط رداؤه عن ظهره ونفذ التراب إلى ظهره ، فجعل النبي ﷺ يمسح عنه التراب ويقول : « اجلس يا أبا تراب » [فتح الباري ، كتاب فضائل الصحابة ٦ / ٨٨ ، حديث رقم ٣٧٠٣] . العلم : الراية . ابتهلوا : دعوا .

(٦) شارف : وصل . الناجيات : الإبل المسرعات . وذكر الفعل مع الفاعل المؤنث للضرورة . القادسية : بلد بالعراق على بعد خمسة عشر فرسخا من الكوفة [معجم البلدان ٤ / ٣٣١] . أسحروا : دخلوا في وقت السحر .

(٧) قصر العذيب : موضع قريب من القادسية بينه وبينها أربعة أميال [معجم البلدان ٤ / ١٠٣] . ماء الزبيدي : بركة بين المغيثة والعذيب تنسب إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد ، وهي الزبيدية [معجم البلدان ٣ / ١٤٨] . نهلوا : شربوا حتى ارتووا .

٨ - وبَعْدَمَا عَبَرُوا أمَّ القُرىٰ وسَرَوْا ... إلىٰ المغيثةِ والدَّيْجُورُ مُنْسَدِلُ

٩ - وغَادَرَ الرَّكْبُ حَمَّامَ الفَلا ورَمَىٰ ... بِمَسْجِدِ البِيدِ عَنْهُ السَّابِقُ العَجِلُ

١٠ - وعَرَّسَ الرَّكْبُ بالقَرْعاءِ وابْتَدَروا ... إنْ هَجَّروا وَخَدُوا أوْ أدْلَجوا ذَمَلوا

١١ - وفي أَلُورَةَ ذاتِ البِرْكَتَيْنِ إلَى ... شَرَافِ الماءُ لِلْوُرَّادِ مُتَّصِلُ ٥٧/ب

١٢ - وعَايَنوا الوِرْدَ مَحْمُوداً بواقِصَةٍ ... مِنْهُ لَهُمْ نَهَلٌ مِنْ بَعْدِهِ عَلَلُ

١٣ - وأوْعَرَ العَقَبَاتِ اسْتَقْبَلوا وطَوَوْا ... أخْطَارَها وتَجَلَّىٰ عَنْهُمُ الوَجَلُ

١٤ - واسْتَقْبَلَ الهَيْثَمَيْنِ الرَّكْبُ وانطَلَقوا ... إلىٰ زُبَالَةَ فاجْتَازُوا ومَا نَزَلوا

١٥ - وعَرَّسُوا بِخُلَيْصٍ بَعْضَ لَيْلَتِهِمْ ... ونَوَّروا واسْتَهَلَّ العَارِضُ الهَطِلُ

---

(٨) أم القرى: في (أ)،(ب): أم القرون، والصواب ما أثبته من (د).
المغيثة: منزل بعد العذيب في طريق مكة، بينها وبين القادسية أربعة وعشرون ميلاً [معجم البلدان ٥ / ١٩٠]. الديجور: الظلام. منسدل: شامل يغطى كل شيء.

(٩) بادر: أسرع. حمام الفلا: كذا في جميع النسخ، ولم أقف عليه.
مسجد البيد: كذا في جميع النسخ أيضا ولم أقف عليه.

(١٠) عَرَّس: استراح من السفر. القرعاء: منزل في الطريق بين مكة والكوفة [معجم البلدان ٤ / ٣٧٠]. ابتدروا: أسرعوا. أنجدوا: ساروا. هجَّروا: ساروا في وقت الهجير وهو الظهيرة. وخدوا: الوخد ضرب من السير السريع. أدلجوا: ساروا في الدلجة، أي في الليل. ذَمَلُوا: ساروا سيرا سريعا هادئا. وفي (أ): إن أنجدوا وخدوا أو أدلجوا رملوا. وما أثبته من (ب) أقرب إلى السياق.

(١١) ألورة: موضع على تسعة أميال من القرعاء، وضبطه ياقوت(اللَّوزة) وشك هل هي بالزاي أم بالراء، ولا يستقيم وزنا سوى ما أثبته هنا. وفي (د): ألوارة.
شراف: ماء بنجد بين واقصة والقرعاء [معجم اللدان ٣ / ٣٧٥]. الورَّاد: الذين يردون على الماء.

(١٢) عاينوا: رأوا. الورد: الماء. واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء [معجم البلدان ٥ / ٤٠٧]. النهل: الشرب الأول. العلل: الشرب مرة أخرى.

(١٣) أوعر العقبات: أشدها وعورة أي صعوبة، والعقبة: الجبل، وأراد بها: العقبة، اسم موضع بعد واقصة في الطريق إلى مكة [انظر معجم البلدان ٤ / ١٥١]. تجلّى عنهم: انكشف. الوجل: الخوف والقلق.

(١٤) الهيثمين: لعله (الهيثم) الذي ذكره ياقوت، وهو موضع بطريق مكة [انظر معجم البلدان ٥ / ٤٨٤]. زبالة: قرية بين واقصة والثعلبية في الطريق من الكوفة إلى مكة [معجم البلدان ٣ / ١٤٥].

(١٥) عرسوا: باتوا ليلهم. خليص: حصن بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٢ / ٤٤٢]
نوّروا: صلّوا صلاة الصبح. استهلّ: أمطر. العارض: السحاب. الهطل: الغزير الشديد المطر.

١٦ - فَظَلَّ يَهْمِي إلىٰ وَادِي الشُّقوقِ إلىٰ الـ ... ـسَّبِيخَتَيْنِ فَطابَ الوِرْدُ والنَّهَلُ

١٧ - فأدْلَجوا بِجِبَالِ الرَّمْلِ أيَّدها ... مُجَلْجِلٌ بِمَرِيعِ الوَدْقِ مُنْهَمِلُ

١٨ - وصَبَّحوا رَمْلَةَ المَرْحومِ وانْتَدبُوا ... للثَّعْلَبِيَّةِ إذْ حَفَّتْ بِها الذُّبَلُ

١٩ - ضَحَّوْا بِها وسَرَوْا واللهُ ناصِرُهُمْ ... وما استكانوا لِتَرْهِيبٍ ولا نَكَلوا

٢٠ - طَوَتْ زَرودًا وقَدْ رَوَّىٰ عَشَاعِشَها ... صَوْبُ الحَيَا فَعَدا أخْفافَها الزَّلَلُ

٢١ - وللغُوَيْرِ طَوَتْ طَيَّ البُرُودِ بَلىٰ ... بِأجْفُرِ البِيدِ ضَحَّىٰ الرَّكْبُ وارْتَحَلُوا

٢٢ - ضَحَّوْا بِفَيْدٍ بِأعْلامٍ إذا نُشِرَتْ ... لَها السَّنَاءُ وعِزُّ النَّصْرِ مُشْتَمِلُ

٢٣ - أعْلامِ مُسْتَعْصِمٍ بالله جَدَّدَ ما ... عَفَا مِنَ الحَجِّ وانْزاحَتْ بِها العِلَلُ

---

(١٦) يهمي: ينصب بشدة. وادى الشقوق: منزل بعد واقصة على طريق مكة المكرمة من الكوفة. [معجم البلدان ٣/٤٠٣].

(١٨) انتدبوا: دُعوا. الثعلبية: منزل بعد وادى الشقوق المذكور فى البيت السادس عشر، وعندما يبلغها الحاج السائر من الكوفة إلى البلد الحرام يكون قد قطع ثلثى الطريق [انظر معجم البلدان ٢/٩١].
حفَّت: أحاطت. الذُّبل: الرماح.

(١٩) ضحَّوْا: تناولوا الطعام فى وقت الضحى.
سروا: ساروا. استكانوا: خضعوا.
نكلوا: جبنوا وانصرفوا عن قصدهم.

(٢٠) زرود: موضع بعد الثعلبية على الطريق من الكوفة إلى مكة. [معجم البلدان ٣/١٥٦]. عشاعشها: كثبانها وتلالها.
صوب: سقوط. الحيا: المطر. عدا: جاوزها ولم يصبها. الزلل: الخطأ والتعثر فى السير.

(٢١) الغوير: منزل بين العقبة والقاع فى الطريق من الكوفة إلى مكة [معجم البلدان ٤/٢٤٩]. طوت: قطعت المسافة بسرعة.
طى البرود: كما تطوى الثياب.
أجفر البيد: ماء بالقرب من مكة المكرمة.

(٢٢) فيد: منزل فى نصف الطريق بين مكة والكوفة [معجم البلدان ٤/٣٢٠]. أعلام: رايات. السناء: الرفعة.

(٢٣) مستعصم: المستعصم بالله، وهو الخليفة السابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستنصر بالله سنة ستمائة وأربعين، وقتل المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ عندما استولى هولاكو على بغداد.
[نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ٢٣/٣٢٢].
عفا: زال.

٢٤ - لا زالَ بالنَّصْرِ والتَّأييدِ مُلْتَحِفًا ... ونَالَ أعْدَاءَهُ الخِذْلانُ والخَبَلُ

٢٥ - بَاتُوا بِهَا واسْتَقَلَّتْ عِيسُهُمْ بِهِمُ ... يَهونُ فِيمَا تَرومُ السَّهلُ والجَبَلُ

٢٦ - مَرُّوا بِمَحْروقِ نُورٍ فِى الدُّجَىٰ وسَرَوْا ... إلىٰ سَمِيرَاءَ لا يَنْتَابُهُمْ فَشَلُ

٢٧ - ويَمَّمُوا حَاجِرًا والنَّقْرَةَ ابْتَدَرُوا ... وعَرَّسُوا بالفَلا لَمَّا دَنَا الطَّفَلُ

٢٨ - وبالعُسَيْلَةِ ضَحَّىٰ الرَّكْبُ ثُمَّ سَرَوْا ... والمَوْرِدُ المُرُّ فِيمَا حَاوَلُوا عَسَلُ

٢٩ - وآنَسُوا نَسَمَاتِ القُرْبِ تَنْفَحُ مِنْ ... أكْنافِ طَيْبَةَ فِيهَا الرَّوْحُ والجَذَلُ

٣٠ - فاسْتَبْشَرَ الرَّكْبُ فِى وَادِى العَرُوسِ بِما ... إلىٰ قُلوبِهُمُ مِنْ رَوْحِهَا يَصِلُ

٣١ - وَدُّوا مِنَ الشَّوْقِ لو طارَتْ بِهِمْ مَرَحًا ... إلىٰ مَرَابِعِهَا الوَخَّادَةُ البُزُلُ

٣٢ - لَوْلا مَآرِبُ فِى نَعْمَانَ والحَرَمِ الـ ... أعْلَىٰ لَمَا صَدَفُوا عَنْهَا ولا عَدَلُوا ٥٨ /أ

٣٣ - بَاتُوا بأرْغَدِ عَيْشٍ طُولَ لَيْلِهِمُ ... مُسْتَأْنِسِينَ فَلَمَّا أصْبَحُوا احْتَمَلُوا

٣٤ - وحَثْحَثُوا الرَّكْبَ فِى قَاعِ الغَزالَةِ لا ... يَحُلُّ عَقْدَ نَشَاطٍ مِنْهُمُ كَسَلُ

٣٥ - وجَاوَزُوا هَضْبَةَ التُّرْكِىِّ بَعْدُ إلىٰ ... وَادِى الشَّظَا مَا لَهُمْ مُكْثٌ ولا مَهَلُ

---

(٢٤) ملتحفًا: أى محفوظًا بنصر الله وتأييده، كأن النصر يغطيه. الخذلان: الهزيمة. الخَبَل: الفساد.

(٢٥) استقلَّت: رحلت. عيسهم: إبلهم. تروم: تطلب.

(٢٦) سميراء: منزل فى الطريق إلى مكة [معجم البلدان ٣ / ٩٠]. لا ينتابهم: لا يصيبهم.

(٢٧) يمَّموا: قصدوا. حاجر: موضع قبل معدن النقرة [معجم البلدان ٢ / ٢٣٦]. والنقرة: من منازل حجاج الكوفة فى الطريق إلى مكة [السابق ٥ / ٣٤٥]. عرَّسوا: نزلوا للراحة. الطفل: غروب الشمس.

(٢٨) العسيلة: ماء بجبل القنان شرقى سميراء [معجم البلدان ٤ / ١٤١].

(٢٩) آنسوا: أحسوا. تنفح: تهبّ. أكناف: جوانب. طيبة: المدينة المنورة. الروح: الراحة. الجذل: الفرح.

(٣١) مرحا: نشاطا. الوخّادة: الإبل المسرعة. البُزُل: جمع بازل، وهو البعير المُسنّ.

(٣٢) مآرب: حاجات. نعمان: وادٍ بينه وبين مكة نصف ليلة [معجم البلدان ٥ / ٣٣٩]. صدفوا: تحولوا. عدلوا: مالوا وابتعدوا عنها.

(٣٣) احتملوا: رحلوا.

(٣٤) حثحثوا: أسرعوا. قاع الغزالة: منزل فى طريق مكة بعد العقبة [معجم البلدان ٤ / ٣٣٨].

(٣٥) وادى الشظا: جبل قرب مكة المكرمة [معجم البلدان ٣ / ٣٩١]. مكث: انتظار. وجاء عجز البيت فى (أ) هكذا: وادى العقيق لهم مكث ولا مهل. وهذا الكلام فيه تناقض =

٣٦ - حَتَّىٰ إذا بَلَغ الوَفْدُ الكِرامُ إلىٰ الـ ... ـسَّوارِقِيَّةِ طَابَ الوِرْدُ فَانْتَهَلُوا

٣٧ - طَوَوْا صُفَيْنَةَ والطَّسُّوجَ وابْتَدَرُوا ... بِغَمْرَةَ المَاءَ لا مُرٌّ ولا وَشِلُ

٣٨ - حَتَّىٰ إذا بَلَغوا مِيقاتَهُمْ نَزَلوا ... بِذاتِ عِرْقٍ بِحَمْدِ اللهِ فاغْتَسَلُوا

٣٩ - وأحْرَمُوا ثُمَّ لَبَّوْا خَاشِعِينَ لِذِي الْـ ... ـجَلالِ كُلٌّ إلىٰ مَوْلاهُ مُبْتَهِلُ

٤٠ - وسَاوَتِ السُّوقَةُ الأمْلاكُ تَحْسِبُهُمْ ... إلىٰ الحِسابِ مِنَ الأجْداثِ قَدْ نَسَلوا

٤١ - وبِالمَعالِفِ مَرُّوا وانْجَلَىٰ لَهُمُ ... بِبَطْنِ نَخْلَةَ وَادٍ نَبْتُهُ خَضِلُ

٤٢ - وشَارَفُوا عَرَفاتٍ فاسْتَبانَ لَهُمْ ... أنَّ الحَجِيجَ إلىٰ ما حاوَلوا وَصَلُوا

٤٣ - فِيَا لَهُ مَوْقِفًا فِيهِ لوافِدِهِ ... جَوائِزُ الفَضْلِ والرِّضْوانِ تُبْتَذَلُ

٤٤ - وفَاضَ بالمَشْعَرِ الإحْسانُ فَوْقَهُمُ ... وبالمُنَىٰ فِي مِنَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ حَصَلُوا

٤٥ - ثُمَّ اسْتَقَلُّوا إلىٰ البَطْحاءِ حِينَ قَضَوْا ... رَمْيَ الجِمارِ وقَدْ نَالُوا الذِي أمَلُوا

= إذ كيف يكون لهم مكث ولا مهل؟! وما أثبته من (ب).

(٣٦) السوارقية: قرية بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٣ / ٣١٣]. الوِرْد: الماء. انتهلوا: شربوا.

(٣٧) طووا: قطعوا مسرعين. صفينة: قرية بالحجاز يسلكها حجاج العراق [معجم البلدان ٣ / ٤٧١]. ابتدروا: أسرعوا. غمرة: منزل من منازل مكة المكرمة [معجم البلدان ٤ / ٢٤٠]. وشل: قليل. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٣٨) ميقاتهم: موضع الإحرام بالحج. ذات عرق: ميقات أهل العراق، وتقع تحت جبل بالقرب من مكة المكرمة [معجم البلدان ٤ / ١٢١].

(٤٠) السوقة: العامة. الأملاك: الملوك. الأجداث: القبور.
نسلوا: خرجوا مسرعين. يشبه حال ركب الحجيج بحال الناس يوم القيامة، فهم متساوون لا فرق بين سوقة وملوك.

(٤١) المعالف: كذا فى (ز)،(ب)،(د). وفى (جـ): وبالمعاكف، ولم أقف عليهما. انجلى: ظهر. بطن نخلة: موضع قريب من مكة المكرمة، بينها وبين المدينة خمسون ميلاً [معجم البلدان ٥ / ٣٢٠]
خَضِل: نَدِىٌّ رطب ناعم. وقد ذكر السمهودى [فى وفاء الوفا: الموضع السابق] أن فى هذا الوادى نحو ثلاثمائة بئر كلها طيبة [وفاء الوفا ٤ / ١١٤٩].

(٤٢) شارفوا: وصلوا.

(٤٣) تبتذل: تُقَدَّم.

(٤٤) المشعر: المزدلفة. ومعنى المشعر فى اللغة: المكان الذى يتعبد فيه لله عز وجل، وهو من مناسك الحج.

(٤٥) استقلوا: ذهبوا. البطحاء: مكة المكرمة.

٤٦ - طَافُوا بِذاتِ السُّتُورِ ازْدادَ مَعْلَمُها ... جَلالَةً وبَهاءً لَيْسَ يَنْفَصِلُ

٤٧ - طَوافَ مُسْتَهْتَرٍ جادَ الحَبِيبُ لَهُ ... بِوَصْلِهِ فَهْوَ مَشْغُوفٌ بِهِ جَذِلُ

٤٨ - وأحْسَنُوا السَّعْيَ بَيْنَ المَرْوَتَيْنِ وفي الـ ... ـمَقامِ بَعْدَ الطَّوافِ الكامِلِ ائْتَفَلُوا

٤٩ - شَفَوْا بِزَمْزَمَ داءَ الصَّدْرِ واعْتَمَرُوا ... وما بَدا لَهُمُ مِنْ صَالِحٍ عَمِلُوا

٥٠ - وودَّعُوا البَيْتَ والأحْشاءُ واجِفَةٌ ... وفي القُلوبِ لآلامِ النَّوَى شَعَلُ

٥١ - واسْتَقْبَلُوا البِيدَ يَطْوونَ الفَلاةَ إلىٰ ... رَبْعٍ كَرِيمٍ إلَيْهِ تُسْرِعُ الرِّحَلُ

٥٢ - وغادَرُوا العُمْرَةَ العَلْيَاءَ خَلْفَهُمُ ... وبَطْنَ مَرٍّ وعَنْ عُسْفانَ قَدْ فَصَلوا

٥٣ - ومِنْ خُلَيْصٍ إلىٰ ذاتِ السُّوَيْقِ إلىٰ ... ذِي الخَيْمَتَيْنِ مَدِيدٌ سَيْرُهُمْ عَجِلُ

٥٤ - وجَحْفَةٍ ومَجارِي رابِغٍ وذُرَا ... صُبْحٍ وبَدْرٍ لَهُمْ حِلٌّ ومُرْتَحَلُ ٥٨/ب

٥٥ - واسْتَقْبَلَتْ وادِيَ الصَّفْراءِ عِيسُهُمُ ... ومِنْ دَوامِ السُّرَىٰ أعْناقُها ذُلُلُ

٥٦ - وبَعْدَ بِئْرٍ عَلِيٍّ بادَرَتْ وهَفَتْ ... إلىٰ العَقِيقِ قُلوبُ الرَّكْبِ والمُقَلُ

---

(٤٧) مستهتر: مولَع شديد التعلق والحب، وهو مبنى على صيغة اسم المفعول. وقد تغيرت دلالة هذه الكلمة فى عربيتنا المعاصرة إلى معنى عدم المبالاة بالأمر، وأما معناها القديم فهو شدة الولع بالشيء وملازمته. جاد: عطف. مشغوف: شديد الحب. جذل: فرح.

(٤٨) المقصود بالمروتين: الصفا والمروة.

(٤٩) اعتمروا: أدوا العمرة.

(٥٠) واجفة: خفاقة من شدة العاطفة. النوى: الفراق.

(٥١) البيد: الصحارى. ربع كريم: أراد به مدينة الرسول ﷺ. الرِّحَلُ: جمع رحالة، وهى ما يوضع على ظهر البعير كالسرج للفرس.

(٥٢) العمرة: كذا فى جميع النسخ، ولم أقف عليه. بطن مر: موضع على بعد خمسة أميال من مكة المكرمة [معجم البلدان ٥ / ١٢٣] عسفان: منزل بين الجحفة ومكة [السابق ٤ / ٣٧]. فصلوا: ساروا.

(٥٣) خليص: حصن بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٢ / ٤٤٢] ذات السويق: موضع قرب المدينة [معجم البلدان ٣ / ٣٢٥]. ذى الخيمتين: لعله يريد به الموضع المسمى خيمة أم معبد، وهو بين مكة والمدينة [انظر: معجم البلدان ٢ / ٤٧٣].

(٥٤) جحفة: قرية على الطريق بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٢ / ١٢٩]. رابغ: وادٍ بعد الجحفة [السابق ٣ / ١٢] ومجاريها: مسايل الماء فيها.

(٥٥) وادى الصفراء: وادٍ كثير النخل والزرع والعيون، وهو على الطريق بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٣ / ٤٦٨]. ذلل: سهلة مطيعة لراكبها.

(٥٦) بئر على: كذا فى جميع النسخ، ولم أقف عليه.=

٥٧ - وآنَسَ الرَّكْبُ فى وادى العَقيقِ سَنًا ... يَهْدى إلىٰ مَوْرِدٍ تُشْفَىٰ بِهِ العِلَلُ

٥٨ - وصَبَّحوا سَفْحَ سَلْعٍ واشْتِياقُهُمُ ... لَمْ يَثْنِهِ مِنْ أهاويلِ السُّرَىٰ مَلَلُ

٥٩ - واسْتَقْبَلوا طَيْبَةَ الفَيْحاءِ فابْتَهَجُوا ... كأنَّ كُلَّ مَشوقٍ شارِبٌ ثَمِلُ

٦٠ - وخَيَّمُوا فى حِمًى قَلَّتْ لتُرْبَتِهِ ... بجَفْنِ عَيْنِ المُحِبِّ الصَّادِقِ القُبَلُ

٦١ - كَرامَةٌ لِنَبِيٍّ نُورُ مِلَّتِهِ ... لَمَّا بَدا نُسِخَتْ واسْتَخْفَتِ المِلَلُ

٦٢ - وجَاءَ بالسُّنَّةِ البَيْضاءِ فاتَّضَحَتْ ... بِنُورِ حِكْمَتِها للسَّالِكِ السُّبُلُ

٦٣ - مُحَمَّدٌ أَحْمَدَ المُخْتارِ مِنْ مُضَرٍ ... أزْكَىٰ القَبائِلِ إنْ قالوا وإن فَعَلوا

٦٤ - أجارَ أُمَّتَهُ مِنْ كُلِّ مُعْضِلَةٍ ... وباسْمِهِ قَدْ تَجَلَّىٰ عَنْهُمُ الخَطَلُ

٦٥ - فأصْبَحوا بِسَنَا أنْوارِ طَلْعَتِهِ الـ ... ـزَّهْراءِ للأُمَمِ الخَالِينَ قَدْ فَضَلُوا

٦٦ - فى كُلِّ عَصْرٍ لأسْبَابِ الهُدَىٰ عَلَمٌ ... مُسْتَنْبِطٌ مِنْهُمُ أوْ عَارِفٌ بَدَلُ

٦٧ - وجاهُهُ - دَامَ - مَبْسُوطٌ لأُمَّتِهِ ... عَلَيْهِ كُلَّ خَمِيسٍ يُعْرَضُ العَمَلُ

٦٨ - يَسْتَغْفِرُ اللهَ للجَانِى ويَحْمَدُهُ ... لِمُحْسِنٍ قَوْلُهُ والفِعْلُ مُقْتَبَلُ

٦٩ - وبالشَّفاعَةِ يُنْجِى مِنْهُمُ عُصَبًا ... بِفاحِشِ الفِعْلِ مِنْهُمْ للجَحِيمِ صَلُوا

٧٠ - ويُنْقِذُ النَّاسَ مِنْ كَرْبِ القِيامِ إذا اشْـ ... ـتَدَّ الحَرُورُ وهَابَتْ رَبَّها الرُّسُلُ

٧١ - فَكُلُّهُمْ قالَ: نَفْسِى، وهْوَ قَالَ: أنا ... لَها، فنَفَّسَ كَرْبَ القَوْمِ فانْفَصَلوا

= بادرت: أسرعت ومثله (هفت). العقيق: وادٍ قريب من المدينة وينتهى إلى البقيع [معجم البلدان ٤ / ١٥٦]. المقل: العيون.

(٥٧) آنس: أحس.

(٥٨) سلع: جبل بالمدينة المنورة. أهاويل السرى: عناء السفر وأخطاره.

(٥٩) الفيحاء: الواسعة. ثمل: سكران.

(٦٠) خيموا: أقاموا خيامهم.

(٦١) نسخت: تغيرت.

(٦٤) أجار: أنقذ. معضلة: مشكلة لا حل لها. الخطل: سوء الرأى والتقدير.

(٦٥) طلعته: وجهه. الزهراء: المشرقة. الخالين: الماضين. فضلوا: زادوا عليهم فى الفضل.

(٦٦) مستنبط: فقيه يستخرج الحلول للمشكلات من نصوص القرآن والسنة. والعارف البدل: سبق تفسيره.

(٦٩) عصبا: جماعات. صَلُوا: أحرقوا بنارها.

(٧٠) الحرور: الحر الدائم.

(٧١) نَفَّس الكرب: خففه عنهم. يشير إلى ما ورد فى حديث الشفاعة، ذلك أن جميع الرسل يقولون: نفسى نفسى، إلا سيدنا محمد ﷺ فيأتيه الناس فيقولون: اشفع لنا. فيقول ﷺ: «أنا لها» =

٧٢ - وكُلُّهُمْ راجِلٌ فى الحَشْرِ وهْوَ عَلَىٰ ... ظَهْرِ البُراقِ عَظِيمُ الشَّأنِ مُكْتَمِلُ

٧٣ - يَؤُمُّهُمْ ولواءُ الحَمْدِ فى يَدِهِ ... وحَوْلَهُ زُمَرُ الأمْلاكِ تَحْتَفِلُ

٧٤ - سَبْعونَ ألفًا كَما حَفَّتْ بتُرْبَتِهِ ... وللنَّبِيِّينَ مِنْ أطْرافِهِ ظُلَلُ

٧٥ - وهْوَ المُجِيزُ عَلَىٰ مَتْنِ الصِّراطِ فَلا ... يَنالُ تابِعَ ما وافَى بِهِ زَلَلُ ١/٥٩

٧٦ - وحَوْضُهُ سَيْرُ شَهْرٍ عَرْضُهُ وبِهِ ... ماءٌ حَلاوَتُهُ مِنْ دُونِها العَسَلُ

٧٧ - أكْوابُهُ كالنُّجومِ الزُّهْرِ فى عَدَدٍ ... مِيزابُهُ مِنْ ذُرا الفِرْدَوْسِ مُنْتَزَلُ

٧٨ - لا يَفْتَحُ الجَنَّةَ الفَيْحاءَ خازِنُها ... إلاَّ لَهُ فَإذَا ما حَلَّها دَخَلُوا

٧٩ - يُحِلُّهُ اللهُ فِيها خَيْرَ مَنْزِلَةٍ ... وسِيلةً ما لِعَبْدٍ فَوْقَها نُزُلُ

٨٠ - عَلَيْهِ مِنْ صلواتِ اللهِ أطْيَبُها ... تَبْقَىٰ بَقاءَ نَعِيمٍ لَيْسَ يَنْتَقِلُ

٨١ - حَلُّوا بأرْضٍ بِها الأمْلاكُ مُحْدِقَةٌ ... سَبْعونَ ألْفًا لَها مِنْ حَوْلِها زَجَلُ

٨٢ - مَدِينَةٌ فَضَلَتْ كُلَّ البِلادِ بِهِ ... تُحَثُّ شُرْعًا إلَىٰ أقْطارِها الإبِلُ

٨٣ - غُبارُ تُرْبَتِها يُشْفَىٰ الجُذامُ بِهِ ... وَجارُها مِنْ أذَىٰ الدَّجَّالِ مُعْتَزِلُ

٨٤ - صَلاةُ جُمْعَتِها وصَوْمُ مُفْتَرَضٍ ... فِيها بألْفٍ فَلا نَقْصٌ ولا خَلَلُ

= [انظر الحديث بتمامه فى فتح البارى، حديث رقم ٦٥٦٥، مسند أحمد ١/٢٨٢، حديث رقم ٢٥٤٦].

(٧٢) راجل: سائر على رجليه.

(٧٣) زمر: جماعات. الأملاك: الملائكة.

(٧٤) سبعون ألفا: أراد بهم عدد الملائكة الذين يحيطون بالنبى ﷺ يوم القيامة. حفت: أحاطت. تربته: قبره ﷺ. ظلل: جمع ظلة، وهى كل ما يُظل الإنسان.

(٧٥) المجيز: الذى يسبق الناس إلى اجتياز الصراط، أى عبوره. ينال هنا بمعنى: يصيب. وافى: جاء. زلل: سقوط.

(٧٧) ميزابه: منبعه. منتزل: منزَّل.

(٧٨) الفيحاء: الواسعة.

(٧٩) هذا البيت زيادة من (ب).

(٨١) محدقة: محيطة. زجل: صوت طرب كالغناء.

(٨٢) فضلت: تفوق فضلُها على غيرها. شُرْعًا: منطلقة إلى الماء. أقطارها: جنباتها.

(٨٣) جاء فى الحديث الشريف أن المدينة لا يدخلها الدجّال [البخارى: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجّال المدينة، فتح ٤/١١٣، حديث رقم ١٨٧٩ : ١٨٨٢].

(٨٤) قال ﷺ: «صلاة فى مسجدى هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام». [رواه الشيخان، انظر: فتح البارى، كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ٣/٧٦، حديث رقم ١١٩٠].

٨٥ - زارُوهُ وانْصَرَفُوا مِنْ حَوْلِهِ وعلىٰ ... أعْطَافِهِمْ مِنْ جَلابِيبِ الرِّضَا حُلَلُ

٨٦ - واسْتَقْبَلوا صَاحِبَيهِ الصَّادِقَيْنِ أَبا ... بَكْرٍ ومَنْ لَمْ يَكُنْ فى قَوْلِهِ دَخَلُ

٨٧ - زارُوهُما ثُمَّ زارُوا بالبَقِيعِ أَبَا ... عَمْرٍو أَخَا الصِّدْقِ إِذْ حَفَّتْ بِهِ الأَسَلُ

٨٨ - فاسْتَقْبَلوا قَبْرَ إِبْراهيمَ أَكْرَمِ مَوْ ... لُودٍ وأَزْواجَهُ الخَيْراتِ ثُمَّ وَلَوا

٨٩ - زِيارَةَ السَّيِّدِ العَبَّاسِ والحَسَنِ الـ ... ـزَّكِيِّ عَلَّهُمُ يُعْطَوْنَ ما سَأَلُوا

٩٠ - وسَيِّدَ الشُّهَداءِ العَمَّ حَمْزَةَ قَدْ ... زاروا فَفَازُوا وتَمَّ القَصْدُ والأَمَلُ

٩١ - وأَيْقَنوا أَنَّهُمْ قَدْ أَرْبَحُوا، فَرَضُوا ... وهانَ عِنْدَهُمُ فى اللهِ ما بَذَلوا

٩٢ - يا سَيِّدِى يا رَسُولَ اللهِ يا سَنَدِى ... يا جارَ مُكْتَئِبٍ ضاقَتْ بِهِ الحِيَلُ

٩٣ - مِسْكِينُكَ اليَوْمَ رَاجِى البِرِّ مِنْكَ غَداً ... يَحيَىٰ بْنُ يُوسُفَ قَدْ طَالَتْ بِهِ الطِّيَلُ

٩٤ - وقَدْ أَتاكَ عَلىٰ عِلْمٍ بِأَنَّكَ لا ... يَخِيبُ آمِلُكَ المُسْتَأْمِنُ الوَجِلُ

٩٥ - فاسْأَلْ لَهُ رَبَّكَ الرَّحْمٰنَ خالِقَنا ... صِيانَةً عَنْ لَئِيمٍ شَأْنُهُ البَخَلُ

٩٦ - وصِحَّةً ومُعَافَاةً وخاتِمَةً ... مَقْرُونَةً بِرِضاهُ إِذْ دَنا الأَجَلُ

٩٧ - واسْأَلْ لِمَنْ كانَ فى إِيصَالِهِ سَبَبًا ... إِلَيْكَ نَصْرًا بِهِ تُسْتَأْبَدُ الدُّوَلُ ٥٩/ب

٩٨ - واسْأَلْ لِوَفْدٍ إِلَيْكَ الشَّوْقُ قَادَهُمُ ... فَما ثَنَىٰ عَزْمَهُمْ عَنْ قَصْدِكَ العَذَلُ

٩٩ - سَلامَةً مِنْ أَذَىٰ عَادٍ يَكِيدُهُمُ ... وحِفْظَ ظَهْرٍ عَلَيْهِ الرَّكْبُ مُحْتَمَلُ

*****

(٨٥) حلل: جمع حلة، وهى الثوب.

(٨٦) دخل: فساد أو غش.

(٨٧) البقيع: مقابر المسلمين بالمدينة المنورة. الأسل: الرماح.

(٨٨) إبراهيم: ابن سيدنا النبى ﷺ. الخَيْرات: الخيرات، خفف الياء لضرورة النظم. ولوا: قصدوا.

(٨٩) زيارة: مفعول ولّوا فى قافية البيت السابق.

(٩١) أربحوا: حققوا ربحا كبيرا.

(٩٣) طالت به الطيل: كناية عن ضيق الحال.

(٩٤) المستأمن: طالب الأمن. الوجل: الخائف.

(٩٧) تستأبد: تبقى إلى الأبد، والمراد بالدّول هنا: الانتصارات.

(٩٨) العذل: اللوم.

(٩٩) عاد: معتد. محتمل: محمول.

اللامية الرابعة

(عدتها ٤٣ ـ الخفيف الأول)

تصف هذه القصيدة عاطفة الشاعر نحو معاهد ذكرياته وحنينه إلى تلك الربوع الطيبة، وعشقه للكعبة المشرفة الرمز الأكبر لوحدة المسلمين وعزتهم، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض مآثره ومعجزاته وما فضّل به على غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وتختم بالدعاء والتوسل به إلى الله عز وجلّ.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين إلى الربوع الطاهرة.
- فى مدح النبى ﷺ.
- توسل واستغاثة به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ

١ - يا حُدَاةَ الرَّكْبِ الحِجازِىِّ مِيلُوا ... فَبِنَعْمانَ لِلرِّكَابِ مَقِيلُ

٢ - فَأَرِيحُوا بِهَا المَطِىَّ قَلِيلاً ... مِنْ وَجَاها فَقَدْ بَرَاها النُّحُولُ

٣ - وانْزِلوا الخَيْفَ مِنْ مِنَىٰ فَبِهِ ظِلٌّ ... الأَمَانِى لِلنَّازِلِينَ ظَلِيلُ

٤ - واسْتَقِلُّوا نَحْوَ الأَبَاطِحِ إِنْ كَا ... نَ إِلَىٰ رَبَّةِ السُّتُورِ سَبِيلُ

٥ - بِأَبِى ذَلِكَ الجَنابَ، فَوَجْدِى ... وغَرامِى فِيهِ عَرِيضٌ طَوِيلُ

٦ - دَارَةٌ طَالَمَا تَبَلَّجَ فِيها ... لِلْمُحِبِّينَ وَجْهُ عَطْفٍ جَمِيلُ

٧ - عِشْتُ فِيها مَعَ الأَحِبَّةِ حِينًا ... لَمْ يَرُعْ مِسْمَعِى لَدَيْها عَذُولُ

٨ - ثُمَّ غَارَتْ يَدُ الجَلالِ فَصَانَتْ ... عِزَّةً رَبْعَها فَعَزَّ الوُصُولُ

٩ - غَيْرَ أَنِّى عَلَىٰ المَوَدَّةِ لا الطَّرْ ... فُ نَسِىٌّ ولا الفُؤادُ مَلُولُ

١٠ - أَتَمَنَّىٰ الدُّنُوَّ مِنْها وقَدْ حَا ... لَ عَنِ القُرْبِ وعْرُها والسُّهُولُ

١١ - أَيْنَ مِنِّى سَمْراءُ دُونَ حِماها ... ذُبَّلُ السُّمْرِ شُرَّعًا والنُّصُولُ

١٢ - ذاتُ خِدْرٍ لَها البَهَاءُ وِشَاحٌ ... ولَها العِزُّ والسَّنا إِكْلِيلُ

١٣ - لَمْ يَزُرْ رَبْعَها الرَّحِيبَ مِنَ النَّا ... سِ جَبَانٌ ولا اجْتَلاهَا بخِيلُ

---

(١) الحداة: جمع حادٍ وهو الذى يسوق الإبل ويغنى لها. نعمان: وادٍ قريب من عرفات. مقيل: راحة الظهيرة.

(٢) المطىّ: الإبل. وجاها: الوجى: داء يصيب الإبل فى أخفافها من طول السير والأسفار. براها: أهزلها وأتعبها. النحول: الضعف.

(٣) الخيف: موضع قرب منى. ظل ظليل: مبالغة فى شموله ورقته.

(٤) استقلوا: ارحلوا. الأباطح: أراضى مكة المكرمة التى تجرى فيها السيول.

(٥) بأبى: أفدى بأبى.

(٦) دارة: دار، أوحى. تبلّج: أشرق.

(٧) لم يَرُعْ: لم يُفزع.

(٨) غارت: من الغيرة. عزّ: صَعُبَ.

(٩) الطرف: العين. نَسِىٌّ: صيغة مبالغة من النسيان، وملول: صيغة مبالغة من الملل.

(١٠) حال: منع. الوعر: ضد السهل.

(١١) سمراء: أراد بها الكعبة المشرفة. ذُبَّل السمر: الرماح. شُرَّعًا: مرفوعة مستعدة للطعن. النصول: السيوف.

(١٢) خدر: ستر. إكليل: تاج.

(١٣) اجتلاها: نظر إليها. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

١٤ - لَيْسَ فى تُرْبِهـا لِذِى العِـزِّ والسُّـ ـطَانِ إلا الخُـضـوعُ والتَّـقْـبِـيلُ

١٥ - هَلْ لِظَمْـآنَ دُونَ مَنْهَلِهَـا العَـذْ ـبِ وُرُودٌ بِـهِ يُـبَـلُّ الـغَـلِـيـلُ

١٦ - يَوْمَ يُضْـحِى وللنِّيـاقِ حَنِينٌ فى رُبَاها وللْجِيَـادِ صَـهِـيلُ

١٧ - وإذا مـا سَـرَتْ لَهـا نَحْـوَ سَلْعٍ خَـبَـبٌ تارَةً وطَوْرًا ذَمِـيلُ

١٨ - تَرْتَمِى فى الفَـلا لَهـا الشَّـوْقُ هَادٍ ولَهـا نَشْـرُ مَنْ تُحِبُّ دَلِيلُ

١٩ - فَلَهـا اليُـمْنُ والسَّـعـادَةُ والنُّصْـ ـرَةُ والبِـشْـرُ والرِّضَـا والقَـبُـولُ ٦٠/أ

٢٠ - بِجَنابٍ رَحْبٍ حَـوَى كُلَّ فَـضْلٍ وفَـخـارٍ مُـذْ حَلَّ فِـيـهِ الرَّسُـولُ

٢١ - أحْـمَـدُ الهـاشِـمِىُّ أكْـرَمُ خَلْقِ الـ ـلّـهِ أصْـلاً إذَا تُعَـدُّ الأصُـولُ

٢٢ - شَـيْـبَـةُ الحَـمْـدِ جَـدُّهُ هَطَلَ الغَـيْـ ـثُ بِـهِ والـرَّبِـيـعُ وَانٍ كَـلِـيـلُ

٢٣ - سُلَّ مِنْ هاشِمِ بْنِ عَـبْـدِ مَنافٍ كَـاسِـرِ الجُـوعِ والجُـدُوبُ تَصُـولُ

٢٤ - نَـسَـبٌ حَـلَّ فى قُـرَيْـشٍ ذُراها دُونَ مَـرْسَـاهُ شَـامَـةٌ وطَفِـيلُ

٢٥ - حـازَ فِـيـهِ بَنُو كِنانَةَ مِنْ عَـدْ نَانَ مَـجْـداً بَنَاهُ إسْـمَـاعِـيلُ

٢٦ - ولَقَـدْ طَابَ - والمُـهَـيْـمِنِ رَبِّى - مَـنْبِـتٌ أصْلُـهُ الخَـلِـيلُ الجَـلِـيلُ

٢٧ - ولَعَـمْـرِى بِهِ قُـرَيْشُ اسْـتَـفَـادَتْ شَـرَفًـا لَمْ يَنَلْهُ قَـبْلُ قَـبِـيلُ

---

(١٥) الغليل: شدة العطش.

(١٧) الخبب والذميل: نوعان من سير الإبل السريع. وفى (أ): (حنة) بدل (خبب)، وما أثبته من النبهانية أقرب للسياق.

(١٨) ترتمى: تسير مسرعة كأنها ترمى بنفسها. النشر: الرائحة الطيبة.

(١٩) اليمن: البركة والخير. البشر: الفرح.

(٢٢) شيبة الحمد: لقب عبد المطلب جد النبى ﷺ. هطل: سال. الغيث: المطر. وان: ضعيف. كليل: عاجز. يمدح عبد المطلب بن هاشم فيذكر استسقاءه وسقوط المطر بدعائه حين عم القحط والجدب.

(٢٣) سُلَّ: أخرج، والمراد: ولد. كاسر الجوع: يريد به هاشم بن عبد مناف، وقد سُمِّى هاشمًا لأنه هشم (أى كسر) الثريد والخبز لقومه فى عام جوع. الجُدُوب: جمع جدب. تصول: تشتد وتقهر الناس.

(٢٤) مرساه: موضع ثبوته ورسوخه، يعنى أصله. شامة وطفيل: جبلان قريبان من مكة. يقول إن نسب النبى ﷺ ثابت فى ذروة قريش وأشد رسوخا من هذين الجبلين.

(٢٦) والمهيمن ربى: قسم. الخليل: سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(٢٧) قبيل: قبيلة.

٢٨ - وَصْفُهُ المُرْتَضَىٰ لِموسَىٰ وعِيسَىٰ ... بَيَّنَتْهُ التَّوْراةُ والإنْجِيلُ

٢٩ - وبِهِ أحْسَنَ البِشارَةَ شَعْيَا ... وعُزَيْرٌ وبَعْدَهُ حِزْقِيلُ

٣٠ - فاهْتَدَىٰ تُبَّعٌ بِما بَيَّنَ الأحْـ ... ـبارُ مِنْ نَعْتِهِ الذي لا يَحُولُ

٣١ - وتَصَدَّىٰ كَعْبٌ لآلِ لُؤَيٍّ ... ولَدَيْهِ شُبَّانُها والكُهُولُ

٣٢ - قَبْلَ خَلْقِ النَّبِيِّ بالحُقُبِ الخَمْـ ... ـسِ خَطِيباً وهْوَ اللَّبِيبُ النَّبِيلُ

٣٣ - ذاكِراً مَبْعَثَ النَّبِيِّ ووَدَّ الـ ... ـنَّصْرَ لَوْ كانَتِ الحَياةُ تَطُولُ

٣٤ - وجَلاهُ لِشَيْبَةِ الحَمْدِ سَيْفٌ ... بِجُلاهُ ومَا إلَيْهِ يَؤُولُ

٣٥ - ولَقَدْ قامَ في المَواسِمِ قُسٌّ ... شاهِداً أنَّهُ نَبِيٌّ رَسُولُ

٣٦ - ورَأَىٰ الرَّاهِبُ النُّبُوَّةَ قَدْ لا ... حَتْ عَلَيْهِ كأنَّها قِنْدِيلُ

٣٧ - إذْ رَأَىٰ فَوْقَهُ الغَمامَةَ ظِلاًّ ... وتَمِيلُ الظِّلالُ حَيْثُ يَمِيلُ

---

(٢٩) تقدم ذكر بشارات شعيا وحزقيل. وقد أورد النبهانى أربعًا وأربعين بشارة من البشارات الواردة فى الكتب السماوية، نقلها عن مصادر متعددة [انظر: حجة الله على العالمين ص ٦٦ : ٨٣].

(٣٠) تبع: من ملوك اليمن القدماء، وتقدم ذكر إيمان تبع بنبوة محمد ﷺ . الأحبار: علماء اليهود. نعته: وصفه. لا يحول: لا يتغير.

(٣١) سبق ذكر خطبة كعب بن لؤى وبشارته بمبعث النبى ﷺ .

(٣٢) أى قبل خلق النبى ﷺ بخمسمائة عام.

(٣٤) جلاه: بينه وأوضح أمره. سيف: هو سيف بن ذى يزن. جُلاه: أوصافه. يؤول: يصير. ذكر فى هذا البيت بشارة سيف بن ذى يزن ملك اليمن الذى استطاع أن يملك اليمن بعد مولد النبى ﷺ بعامين، وقد جاءت وفود العرب إلى سيف لتهنئته، وكان عبد المطلب بن هاشم على رأس وفد قريش، وقد رحب به الملك وأكرم وفادته وأسر إليه أنه يجد فى الكتب السماوية أن أوان ميلاد محمد ﷺ قد حان، وأنه من أبنائه، وسماه باسمه وذكر خاتم النبوة على كتفه، وأوصاه بأن يحذر عليه من اليهود وأن يكتم خبره [انظر: حجة الله على العالمين ص ١٠٧ : ١٠٩].

(٣٥) قس: هو قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى المشهور، وتقدم ذكر بشارته بالنبى ﷺ .

(٣٦) الراهب: بحيرى الذى لقى النبى ﷺ فى رحلته إلى الشام بصحبة عمه أبى طالب، ورأى فيه علامات النبوة.

٣٨ - ولِنَعْتِ الرُّهْبَانِ أَفْضَلَ هَادٍ ... كَانَ سَلْمَانُ فى البِلادِ يَجُولُ

٣٩ - فرأىٰ عِنْدَهُ العَلامَاتِ حَقًّا ... فاغْتَدَىٰ وهْوَ قَابِلٌ مَقْبُولُ

٤٠ - وكَفَاهُ مِنَ الفَخَارِ مَقَامٌ ... كَانَ فى القُرْبِ دُونَهُ جِبْرِيلُ ٦٠/ب

٤١ - وهُوَ الخَاتَمُ المُخَصَّصُ بالتَّكْـ ... ـلِيمِ والرُّؤْيَةِ الحَبِيبُ الخَلِيلُ

٤٢ - يَا حَبِيبَ الرَّحْمٰنِ أَنْتَ المُرَجَّىٰ ... والوَجِيهُ المُشَفَّعُ المَأْمُولُ

٤٣ - قَدْ قَصَدْنَاكَ فى حَوَائِجَ فاسْأَلْ ... رَبَّكَ اليُسْرَ فَهْوَ نِعْمَ الوَكِيلُ

*****

قافية الميم

تضم هذه القافية خمس قصائد.

الميمية الأولى

(عدتها ٦٠ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بذكر الديار المقدسة ومعالمها الطاهرة، والدعاء لها بالخصب والخير والبركات، تلك الربوع التى شرفت بسيد الخلق محمد ﷺ، ومن ثم ينتقل إلى مدحه ومدح آبائه، وسرد بعض خصائصه وطيب شمائله، ويعم بالثناء أمة محمد ﷺ، ذاكرًا ما شاع فى طائفة الصوفية أن من أمة محمد أربعين لا يزالون قائمين بالحق فى كل عصر، وهم حماة بقاع الأرض بما آتاهم الله من همم عالية.

ثم يناجى الشاعرُ الرسولَ ﷺ أن يغيثه من نزغات الشياطين واتِّباع الهوى، وأن يسأل الله عز وجلَّ لأمته النصر على أعدائها من التتر الذين داهموا أرض الخلافة وعاثوا فيها فساداً.

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- فى ذكر الربوع الطاهرة والدعاء لها بالخير.
- فى مدح سيد الخلق ﷺ.
- فى مدح أمته وأقطابها.
- مناجاة واستغاثة بالنبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ ، وكان متوجهًا إلى زيارة الشيخ بقاء فعرض بذكره، وأنشدها، وعرض فيها بالدعاء على التتر، نصر الله الإسلام وخذلهم (*):

١ - هَذِى تِهامَةُ فَاحْبِسْ غَيْرَ مُتَّهَمِ ... واعْلَمْ بِأَنَّ الهَوَىٰ عَنْ يَمْنَةِ العَلَمِ

٢ - كَمْ ذا أُعَبِّرُ عَنْ سَلْعٍ بِكاظِمَةٍ ... صَوْنًا وعَنْ عَذَباتِ البَانِ بالسَّلَمِ

٣ - لا عَارَ فى حُبِّ مَنْ أَهْوَىٰ فأَكْتُمَهُ ... ما نَكْتُمُ الحُبَّ إلاَّ خَشْيَةَ التُّهَمِ

٤ - دَعْنِى أَبُوحُ بِمَنْ فِى حُبِّهِمْ شَرَفِى ... وذِكْرُهُمْ طَيِّبٌ فى مِسْمَعِى وفَمِى

٥ - لِيَشْهَدِ النَّاسُ أَنِّى بالحِمىٰ كَلِفٌ ... قَلْبِى مَشُوقٌ إِلىٰ دِيباجَةِ الحَرَمِ

٦ - لَقَدْ نَهَتْنِى العَوادِى عَنْ زِيارَتِها ... ولَمْ أَخِمْ عَنْ هَوَىٰ مَنْ حَلَّ فى الخِيَمِ

٧ - دَارٌ نَعِمْتُ بِها حِينًا وقَدْ غَفَلَ الـ ... ـواشِى بِنُعْمٍ وشَمْلِى غَيْرُ مُنْصَرِمِ

(*) جاء فى هامش المخطوط (أ):
للناظم - رحمه الله - قصيدة فريدة لامية طويلة نحو ثلاثمائة بيت فى مدح النبى ﷺ وآله وأصحابه وأكابر التابعين والأئمة الأربعة وأولها:

ألذ وأحلى من شمول وشمأل ... وأليق من ذكرى حبيب ومنزلِ
وأبهج من روض تفتق نَوْرُهُ ... على حافتى ماء الغدير المسلسلِ
سناءٌ على الرحمن فى لفظ ناظمٍ ... مُجيدٍ على عقد الإمام ابن حنبل

فكان من اللزوم إثباتها.

والشيخ بقاء المذكور هو بقاء بن حيوة، أحد الأولياء كما أفاد الشيخ النبهانى [المجموعة النبهانية ٤ / ٣٩ - حاشية سفلية].

(١) تهامة تعنى فى اللغة: الأرض المنخفضة، وجغرافيًّا هى الأرض المحاذية لساحل البحر الأحمر وتمتد ما بين مكة وجدة فى الشمال وصنعاء فى الجنوب. ويحدها من الشرق جبال متصلة وهى جبال الحجاز التى تفصل بين تهامة ونجد [انظر معجم البلدان ٢ / ٧٤].
احبس: توقف وأقم بأرضها. يمنة: يمين. العلم: الجبل.

(٢) سلع: جبل بالمدينة [معجم البلدان ٣ / ٢٦٨]. كاظمة: موضع فى الطريق من البصرة إلى مكة المكرمة، وهى أقرب إلى البصرة [انظر معجم البلدان ٤ / ٤٨٨] عذبات البان: أغصانه. السَّلَم: شجر له شوك، وهو ما يعرف فى مصر بشجر السنط الذى يؤخذ منه القرظ. يقول إنه يعرض بذكر الأحباب فلا يذكرهم صراحة.

(٥) كلف: شديد الحب. وفى (أ): ليشهد الناسُ أنى فى محبتهم. وهو مضطرب تركيبًا، وما أثبته من النبهانية. ديباجة الحرم: الكعبة المشرفة.

(٦) العوادى: المصائب والشدائد. لم أخم: لم أكُفّ. الخيم: جمع خيمة.

(٧) نُعم: اسم امرأة. منصرم: ممزّق غير ملتئم.

٨ - نَهِلْتُ كَأْسَ المُنَىٰ فيها ومَا نَهِكَتْ ... بُرودُ عَيْشِي ونُورُ الشَّيْبِ فى اللِّمَمِ

٩ - هَلْ للرِّكَابِ عَلَيْهَا وَقْفَةٌ قَبَلٌ ... وهَلْ لِمُغْرًى بِهَا مِنْ نَظْرَةٍ أَمَمِ ؟

١٠ - وهَلْ لِذِى كَبِدٍ يَشْكُو الضَّنَىٰ نَهَلٌ ... مِنْ وِرْدِهَا الرَّائِقِ المُسْتَعْذَبِ الشَّبِمِ؟

١١ - وَدِدْتُ لو أَنَّنِى أَقْضِى بِهَا أَرَبًا ... لَوْثَ الإِزارِ وتَقْضِى أَنْ يُبَاحَ دَمِى!

١٢ - سَقَىٰ المُصَلَّىٰ وأَعْلامَ الصَّفَا ومِنَى ... وسَفْحَ نَعْمانَ صَوْبُ الفَضْلِ والنِّعَمِ ١/٦١

١٣ - وسَحَّ فَوْقَ ثَنِيَّاتِ الوَداعِ ومَا ... بأَرْضِ طَيْبَةَ مِنْ وَهْدٍ ومِنْ أَكَمِ

١٤ - غَمَامُ رَوْحٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُنْبَجِسٌ ... بالنُّورِ يُرْبِى عَلَىٰ مُثْعَنْجِرِ الدِّيَمِ

١٥ - فَأَصْبَحَتْ بِرِيَاضِ الأُنْسِ نَاضِرَةً ... تَشْفِى بِنَفْحَةِ رَيَّاها جَوَىٰ السَّقَمِ

١٦ - فَثَمَّ مِفْتَاحُ أَقْفَالِى ومَهْبِطُ أَثْـ ... ـقَالِى وغَايَةُ آمَالِى مِنَ القِسَمِ

١٧ - تِلْكَ الرُّبُوعُ المُنِيرَاتُ التى شَرُفَتْ ... بِسَيِّدِ العَرَبِ الغَرَّاءِ والعَجَمِ

١٨ - مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... أَزْكَىٰ القَبَائِلِ فى الأَنْسَابِ والشِّيَمِ

١٩ - زُهْرٍ كِرَامٍ بِهِمْ صَوْبُ الغَمَامِ سَخَا ... بِكُلِّ مُغْدَوْدِقٍ فى الجَدْبِ مُنْسَجِمِ

---

(٨) نهلت : شربت . نهكت : تمزقت . اللمم : جمع لمة وهى الشعر الذى يصل إلى شحمة الأذن . يقول : لقد طابت لى أيام الشباب بهذه الأرض، وكنت آنئذٍ فى أيام شبابى ولم يظهر الشيب فى رأسى .

(٩) قَبَل : مواجهة . أمم : من قريب .

(١٠) الشبم : البارد الصافى .

(١١) أربا : حاجة . لوث الإزار : لبسه، وهو بدل من (أربًا) .

(١٢) صوب : المطر المنصب بشدة، وأراد به : الكثير الوافر من الفضل والنعم .

(١٣) سح : سقط غزيرا . ثنيات الوداع : طرق فى الجبال القريبة من المدينة المنورة، وسميت بهذا الاسم لأن الناس كانوا يودعون المسافرين عندها [انظر معجم البلدان ٢ / ١٠٠] وهى التى استقبل أهل المدينة عندها النبى ﷺ . وهد : منخفض . أكم : مرتفعات .

(١٤) غمام : فاعل (سحَّ) فى البيت السابق . روح : راحة وطمأنينة . منبجس : منفجر . يربى : يزيد . مثعنجر : متدفق بالمطر . الديم : السحاب .

(١٥) ريَّاها : نضارتها وطيبها . جوى : ألم . السقم : المرض .

(١٦) ثَمَّ : اسم إشارة للمكان بمعنى هناك . القِسَم : جمع قسمة، وهى الحظ .

(١٨) الشيم : الطبائع، جمع شيمة .

(١٩) زهر : جمع أزهر وهو المشرق الأبيض، كناية عن الكرم وطيب المنبت . صوب الغمام : أمطاره المتدفقة . سخا : من السخاء، وهو الكثرة . مغدودق : كثير غزير، ومثله المنسجم .

٢٠ - تَدَرَّعُوا الحِلْمَ شُبَّانًا فَتَمَّ لَهُمْ ... وما أَلَمَّ وَقَارُ الشَّيْبِ باللِّمَمِ

٢١ - وأَحْرَزُوا المَجْدَ إِرثًا عنْ أَبٍ فأَبٍ ... حَتَّىٰ استقرَّ بدارِ الفَضْلِ والكَرَمِ

٢٢ - هُوَ المُسَمَّىٰ بأَسْمَاءٍ نَظَمْنَ لَهُ ... عِقْدَ الفَضائِلِ نَظْمًا غَيْرَ مُنْفَصِمِ

٢٣ - هُوَ السِّراجُ المُنِيرُ الشَّاهِدُ المُتَوَ ... كِّلُ الأَمِينُ هُوَ المَدْعُوُّ بالقُثَمِ

٢٤ - هُوَ البَشِيرُ النَّذِيرُ المُصْطَفَىٰ العَلَمُ الْـ ... ـهَادِي إِلَىٰ دِينِ حَقٍّ وَاضِحِ اللِّقَمِ

٢٥ - هُوَ الضَّحُوكُ المُقَفَّى خَاتَمُ الرُّسُلِ الْـ ... ـكِرامِ والأَوَّلُ السَّبَّاقُ فى القِدَمِ

٢٦ - وفَاتِحٌ فَتَحَ اللهُ القُلوبَ بِهِ ... والأَعْيُنَ العُمْىَ والآذانَ مِنْ صَمَمِ

٢٧ - والحَاشِرُ العَاقِبُ المَحْبُوبُ والرَّؤُفُ الـ ... ـرَّحِيمُ ذُو الحِلْمِ مَاحِي الظُّلْمِ والظُّلَمِ

٢٨ - والظَّاهِرُ الظَّافِرُ المَنْصُورُ عَسْكَرُهُ ... والحَاكِمُ العادِلُ المَبْعوثُ بالحِكَمِ

٢٩ - وهْوَ الشَّفِيعُ الذى تُنْجِى شَفَاعَتُهُ ... عُصَاةَ أُمَّتِهِ مِنْ جَاحِمٍ ضَرِمِ

٣٠ - وهْوَ المُخَصَّصُ فى القُرآنِ بالخُلُقِ الْـ ... ـعَظِيمِ أَقْسَمَ فِيهِ اللهُ بالقَلَمِ

٣١ - وهْوَ الذى أَقْسَمَ اللهُ العَظِيمُ بِهِ ... فى الحِجْرِ أَعْظِمْ بِهِ فِى الفَخْرِ مِنْ قَسَمِ

---

(٢٠) تدرعوا الحلم: اتخذوه درعًا، كأنهم لبسوه، كناية عن ملازمة الحلم لهم.
ألَمَّ: نزل. اللمم: الشعر.

(٢١) إرثًا: ميراثًا.

(٢٢) منفصم: منفصل. وجاء هذا البيت فى (أ) على النحو التالى:
هو المسمَّى بأسماء يَطِبْنَ لَهُ ... عقدُ الفضائلِ منها أىُّ مُنتظِمِ
ولا يتبين معناه. وما أثبته من النبهانية.

(٢٣) القثم: الجامع لمعانى الخير.

(٢٤) اللقم: وسط الطريق وأراد أن الإسلام دين واضح وضوح وسط الطريق للسائرين.

(٢٥) جمع فى هذا البيت بين وصف النبى ﷺ بالمقفى، أى المتبع لسنن الأنبياء من قبله، ووصفه بالأول السباق فى القدم إشارة إلى قوله ﷺ: « كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد » [كنز العمال، حديث رقم ٣١٩١٧].

(٢٦) جاء عجز هذا البيت فى (أ) هكذا:
والأعينُ العمىُ والآذانُ فى صممِ
وما أثبته من النبهانية أقرب لأداء المعنى المقصود.

(٢٨) الظاهر: الغالب، ومثله الظافر.

(٢٩) جاحم: مشتعل. ضرم: متقد.

(٣٠) قال عز وجل فى سورة القلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم / ٤ .

(٣١) وفى الحجر: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الحجر / ٧٢ . وكلمة (لعَمْرك) قسم بحياة النبى ﷺ.

٣٢ - وهْوَ الفَصِيحُ وأنَّىٰ لا يَكونُ وقَدْ ... آتاهُ مُرْسِلُهُ جَوامِعَ الكَلِمِ؟

٣٣ - وهْوَ الكَرِيمُ الذي جادَتْ أنامِلُهُ ... بأنْفَسِ المَالِ مِنْ عَيْنٍ ومِنْ نَعَمِ ٦١/ب

٣٤ - إذَا العَبوسُ بَدَا في وَجْهِ مَاحِلَةٍ ... يَلْقَىٰ العُفَاةَ بِوَجْهٍ مِنْهُ مُبْتَسِمِ

٣٥ - كَمْ فَضَّ في مَجْلِسٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَخَلٍ ... مِنَ الأُلُوفِ بِلا مَنٍّ ولا سَأَمِ

٣٦ - وهْوَ الشُّجاعُ الذي ما سَلَّ صَارِمَهُ ... إلا وأغْمَدَهُ في شَامِخِ القِمَمِ

٣٧ - وإنَّهُ خَيْرُ مَبْعُوثٍ وأُمَّتُهُ ... أضْحَتْ بِهِ في البَرَايَا أفْضَلَ الأُمَمِ

٣٨ - أتَاهُمُ وهْمُ بُورٌ فأخْرَجَهُمْ ... إلىٰ وُجودِ الهُدَىٰ مِنْ حُفْرَةِ العَدَمِ

٣٩ - فأصْبَحُوا بِسَنَا أنْوارِ مِلَّتِهِ ... في الحَادِثاتِ نُجُومًا يُهْتَدَىٰ بِهِمِ

٤٠ - ومِنْهُمُ كُلَّ عَصْرٍ أرْبَعُونَ بِهِمْ ... يَهْمِي الغَمامُ ويُنْفَىٰ نَازِلُ النِّقَمِ

٤١ - هُمُ حُمَاةُ بِقَاعِ الأرْضِ لا بِظُبًا ... ولا ذَوَابِلَ بَلْ يَحْمُونَ بالهِمَمِ

٤٢ - وإنَّهُمْ لِمُحِبِّيهِمْ وآمِلِيهِمْ ... ذُخْرٌ وإنْ أصْبَحُوا بالمَوْتِ في رُجَمِ

٤٣ - قُبُورُهُمْ مَلْجَأٌ واقٍ لِزائِرِهِمْ ... بِهِمْ يُعَاذُ ويُسْتَشْفَىٰ بِتُرْبِهِمِ

٤٤ - يا سَيِّدِي يا رَسُولَ اللهِ يا أمَلِي ... يا مُنْقِذِي بالهُدَىٰ مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ

---

(٣٢) أنى : كيف .

(٣٣) الأنامل : أطراف الأصابع . أنفس المال : أغلاه . عين : ذهب . نعم : إبل وبقر وغنم .

(٣٤) العبوس : تقطيب الوجه وظهور ملامح الضيق عليه .
ماحلة : سنة مجدبة . العفاة : طلاب الرزق .

(٣٥) فضَّ : فرَّق .

(٣٦) سل السيف : أخرجه من غمده . صارمه : سيفه .
أغمده : وضعه . شامخ : مرتفع . أراد أن النبي ﷺ كان شجاعًا فإذا أخرج سيفه طعن به الفرسان الكبار .

(٣٨) بور : هالكون . وفي (أ) :
أتاهم وهو ذو نور فأخرجهم ... إلىٰ وجود الهدىٰ من حيرة العدم
وما أثبته من النبهانية أصوب وأليق بالمعنى .

(٤٠) يهمي : يسيل . النقم : جمع نقمة، ضد النعم .
والمراد بالأربعين : الأبدال، وسبق التعريف بهم .

(٤١) ظبا : سيوف . ذوابل : رماح .

(٤٢) رجم : حجارة، أي في القبور .

(٤٣) بهم يعاذ : يُلجأ إليهم ويستغاث بهم . يستشفى : يطلب الشفاء .

٤٥ - يا مَنْ عِنايَتُهُ العُظْمَى لآمِلِهِ ... قَادَتْ جميعَ مَطَايَا الجُودِ بالخُطُمِ

٤٦ - هَذا رَبِيعٌ بِكَ احْتَازَ الفَخارَ وقَدْ ... كِدْنا لَنُلْحِقُهُ بالأشْهُرِ الحُرُمِ!

٤٧ - فِيهِ وُلِدْتَ فألْبَسْتَ البِقاعَ سَنًا ... حَتَّىٰ قُبِرْتَ بِهِ يا طَيِّبَ النَّسَمِ

٤٨ - فازْدَدْتَ نُورًا وقُرْبًا والنُّبوَّةُ لَمْ ... تَحُلَّ عَنْكَ نِطاقَ العَهْدِ والذِّمَمِ

٤٩ - ونَفْعُكَ الآنَ مَوْصُولٌ لأُمَّتِكَ الْـ ... ـغُرِّ الأكارِمِ وَصْلاً غَيْرَ مُنْحَسِمِ

٥٠ - فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ مَعْ يَوْمِ الخَمِيسِ إذَا ... جَبَرْتَ نَقْصَهُمُ فِي عَرْضِ كَسْبِهِمِ

٥١ - وقَدْ كَسَوْتَ بَقاءً خُلْعَةً جَمَعَتْ ... لَهُ بِذَا الشَّهْرِ فَضْلاً غَيْرَ مُنْخَرِمِ

٥٢ - تَؤُمُّهُ زُمَرُ الزُّوَّارِ طَالِبَةً ... لِمَا رَفَعْتَ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ عَلَمِ

٥٣ - وقَدْ حَلَلْتُ بِمَغْناهُ عَلَىٰ ثِقَةٍ ... مِنْ صِدْقِ وَعْدِكَ فِي الأنْباءِ والحِكَمِ

٥٤ - فاخْلَعْ عَلَىٰ قَلْبِيَ الرَّثِّ المَلابِسِ ما ... يَحْمِي جَوانِبَهُ مِنْ سَوْرَةِ اللَّمَمِ ٢/٦٢أ

٥٥ - إنْ لَمْ تُغِثْنِي بِنَصْرٍ مِنْكَ يُنْعِشُنِي ... أوْ لا فَهَأنَذَا أبْدًا لَحْمًا عَلَىٰ وضَمِ

٥٦ - واسْأَلْ لأُمَّتِكَ النَّصْرَ المُبِينَ عَلَىٰ ... عِصابَةٍ عَنْ طِلابِ الشَّرِّ لَمْ تَخِمِ

---

(٤٥) المطايا: الإبل وغيرها مما يركب. الجود: الكرم. الخطم: الحبال التى تقاد بها المطايا نسج هذه الصورة البدوية لمعنى الكرم فجعله على هيئة مطايا تقاد بأزمتها إلى كل من يرجو كرم رسول الله ﷺ.

(٤٧) النسم: النسيم، والنسم النفس والروح. وقد ولد النبى ﷺ ومات فى ربيع الأول.

(٤٨) يقول: إنك لما رحلت عن الدنيا ظلت نبوتك باقية، واستمرت عهودك فحافظت عليها أمتك.

(٤٩) منحسم: منقطع.

(٥٠) جبرت نقصهم: عوضته. وذلك لأن أعمال أمة محمد ﷺ تعرض عليه يوم الإثنين ويوم الخميس.

(٥١) بقاء: هو الشيخ الذى ذكر الناسخ فى هامش المخطوط، وأفاد النبهانى أنه: بقاء بن حيوة أحد الأولياء. والخلعة: المنحة العظيمة. منخرم: ناقص.

(٥٢) تؤمه: تقصده. زمر: جماعات. ورفع العلم كناية عن الإشادة والتنويه وإعلاء الشأن.

(٥٤) الرث: الممزق، وهو كناية عن الضعف والعجز. سورة: شدة. اللمم: ما يلم بالإنسان، ولعله أراد به الجنون.

(٥٥) الوضم: خشبة الجزار، وهو كناية عن التعرض للفساد، يقول: إن لم تغثنى يا سيدى فأنا بمثابة لحم يستعد الجزار لتقطيعه.

(٥٦) عصابة: جماعة. طلاب: طلب. لم تخم: لم تتأخر، وأراد بهذه العصابة جيوش التتر المهاجمة للعالم الإسلامى.

٥٧ - لَعلَّهُمْ إن أتَوْا أن يُصْبِحُوا وهُمُ ... مِنْ بَيْنِ عَانٍ ومَقْتُولٍ ومُنْهَزِمِ

٥٨ - واسْألْ إلهَكَ أنْ يَجْتَاحَ أصْلَهُمُ ... وأن يُذيقَهُمُ تَنْكِيلَ مُنْتَقِمِ

٥٩ - فقَدْ دَهَا كَرْبَهُمْ أهْلَ القُرَىٰ فَغَدَوْا ... مُشَتَّتِينَ بِشَمْلٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ

٦٠ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ صلاةً لا انْتِهاءَ لَها ... مَوْلاكَ ثُمَّ عَلَىٰ صَحْبٍ وذِي رَحِمِ

*****

---

(٥٧) أتوا: فى (أ) أبوا، والتصحيح من النبهانية. عان: أسير.

(٥٨) يجتاح: يستأصل ويهلك. تنكيل: عقاب أليم.

(٥٩) دها: أصاب مصيبة فادحة.

الميمية الثانية

(عدتها ٢٦ ـ الخفيف الأول)

تبدأ هذه القصيدة بمناجاة النبى ﷺ والشكوى إليه والاستجارة به ـ بما له من قدر عند الله رفيع ـ أن يجير الأمة من الخطوب، وأن يسأل الله لها النصر على أعدائها.

وفى ثنايا القصيدة يعرض لمدح ابن أحمد (لعله الخليفة المستعصم بالله) بوصفه إمام المسلمين وحفيد العباس ـ رضى الله عنه ـ ابن عم النبى ﷺ والدعاء له بالنصر.

ثم تختم القصيدة بالدعاء والتوسل إلى الله عز وجل بالنبى ﷺ.

تتضمن القصيدة ثلاثة عناصر :

- فى مناجاة النبى ﷺ والثناء عليه.
- فى مدح خليفة المسلمين.
- دعاء واستغاثة به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ ، وأنشدها تجاه الحجرة الشريفة :

١ - يا نَبِيَّ الهُدَىٰ عَلَيْكَ السَّلامُ ... كُلَّما عَاقَبَ الضِّيَاءَ ظَلامُ

٢ - زادَكَ اللهُ رِفْعَةً وَجَلالاً ... وبَهَاءً وعِزَّةً لا تُرامُ

٣ - قَدْ قَطَعْنا إليْكَ فَجًّا عَمِيقًا ... بِقُلوبٍ بِها إلَيْكَ أُوامُ

٤ - نَطْلُبُ الفَضْلَ مِنكَ يا خَيْرَ هَادٍ ... فَلَدَيْكَ الإحْسانُ والإنْعامُ

٥ - مِنْكَ بَذْلُ النَّدَىٰ وحُسْنُ قِرىٰ الضَّيْـ ... ـفِ ومِنْ جُودِكَ اسْتَفادَ الكِرامُ

٦ - أنْتَ بالبِشْرِ والسَّماحِ مَلِيءٌ ... ولَنا بالسُّرَىٰ إلَيْكَ ذِمَامُ

٧ - أنتَ نِعْمَ الشَّفِيعُ فى المَوْقِفِ الأكْـ ... ـبَرِ إن طالَ بالأنَامِ القِيَامُ

٨ - فَجَدِيرٌ أنْ لا يَخِيبَ لَدَيْكَ الـ ... ـيَوْمَ راجٍ شِعارُهُ الإسْلامُ

٩ - إنْ يَكُنْ عاقَنا القَضاءُ وطالَتْ ... بالمَطَايَا عَنْ قَصْدِكَ الأيَّامُ

١٠ - فَلَنا حَنَّةٌ إلَيْكَ ومِنَّا ... كُلَّ وَقْتٍ يُهْدَىٰ إلَيْكَ سَلامُ

١١ - وإلىٰ صَاحِبَيْكَ حَيًّا ومَيْتًا ... وإذَا قَامَ لِلْحِسابِ الأنَامُ

١٢ - فأجِرْنَا من الخُطُوبِ فَمَنْ أصْـ ... ـبَحْتَ فى الخَطْبِ جَارَهُ لا يُضامُ ٦٢/ب

١٣ - واسْأَلِ اللهَ لابنِ أحْمَدَ نَصْرًا ... وكَمالاً تَسْمُو بِهِ الأعْلامُ

---

(١) عاقب : جاء عقبه أى بعده ، وهى كناية عن الدوام .

(٢) لا ترام : لا يمكن بلوغها .

(٣) فجًا : طريقا . أوام : عطش وشوق .

(٦) البشر : الطلاقة والحسن ، وفى (أ) : بالفضل ، وما أثبته من (ب) والنبهانية . السُّرَى : السير . ذمام : عهود .

(٧) الأنام : الناس . القيام : الوقوف بين يدى الله جل جلاله يوم العرض ، وفى (أ) القتام ، والتصحيح من (ب) .

(٨) يخيب : فى (أ) : يزال ، وما أثبته من (ب) والنبهانية .
راج : اسم فاعل من (رجا يرجو) .

(٩) المطايا : الركاب .

(١٠) حنَّة : شوق ، اسم مرة من الحنين .

(١١) حيًا وميتا : حال من ضمير المخاطب فى (صاحبيك) ، وهما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما .

(١٢) أجرنا : أنقذنا . الخطوب : المحن والشدائد ، جمع خَطب . جاره : شفيعه وحاميه . لا يضام : لا يُظلَم .

١٤ - وسَـدَاداً فى الحُكْمِ مِنْهُ وعَـدلاً ... فى البَـرَايَا بِهِ يَتِمُّ النِّظامُ

١٥ - وسُـمُـوًّا ورِفْـعَـةً لَبَنِيـهِ ... فَلَهُمْ بالوَلاءِ مِنْكَ اعْـتِـصـامُ

١٦ - فَلَقَـدْ نَفَّسَ الكُروبَ وأحْـيَـا ... مـا أمَـاتَتْ مِنْ حَـجِّنا الأعْـوامُ

١٧ - فَـجَـزَاهُ الإلـهُ خَـيْـرَ جَـزَاءٍ ... فـهْـوَ لِلمُـؤْمِنينَ نِعْمَ الإمـامُ

١٨ - لَيْسَ لِلنَّاسِ فى البِـلادِ إمـامٌ ... غَـيْـرُهُ تِلْكَ خُطَّةٌ لا تُسـامُ

١٩ - وهُوَ ابْنُ العَبَّاسِ عَـمُّكَ حَـقًّا ... خَـيْـرِ عَمٍّ إنْ عُـدَّتِ الأعْـمـامُ

٢٠ - أسْـعَـدَ اللهُ جَـدَّهُ وكَـفَـاهُ ... مـا نَوَاهُ لَهُ الطُّغـاةُ اللِّئَـامُ

٢١ - فَـبِـآرائِـهِ بِـإذْنِ إلَـهِ الْـ ... ـعَـرْشِ حُجَّ البَيْتُ العَتِيقُ الحَرامُ

٢٢ - وأتَـيْـنـاكَ بَـعْـدَ نـأيٍ طـويـلٍ ... فـتَـجَـلَّتْ عَـنَّـا بِـكَ الآثـامُ

٢٣ - واسْـأل اللهَ ذا الجَـلالِ لِوَفْـدٍ ... مَـا ثَـنَاهُـمْ عَنْ قَـصْـدِكَ اللُّوَّامُ

٢٤ - مَنْعَـةً تُسْلِمُ الحَـبِـيبَ وأنْ يُـمْـ ... ـنَعَ عَنَّـا العُـدَاةُ والأوْهـامُ

٢٥ - مَنْعَـةً تَدْفَعُ العَـدُوَّ وأنْ تَسْـ ... ـلَمَ مِـمَّـا يَنُوبُهـا الأنْعَـامُ

---

(١٤) سداداً: توفيقاً.

(١٥) الرفعة والسمو مترادفان. اعتصام: قوة.

(١٦) نفَّس: فرَّج وأزال. الكروب: جمع كُرْبَة، وهى الشدة والضيق. وأراد أنه هو الذى مهد طريق الحجاج وجعله آمنا.

(١٧) الإمام هنا معنى: الخليفة والحاكم.

(١٨) خطة: أمر مهم.
لا تسام: لا يبلغها أحد.

(٢٠) الجَدّ: الحظ. الطغاة اللئام: أراد بهم التتر.

(٢١) يبدو أن طريق الحج من العراق إلى الأراضى المقدسة كان غير آمن فى تلك الحقبة، وذلك بسبب تهديدات التتر وهجماتهم على العالم الإسلامى، ولعل الممدوح فى هذه القصيدة أمَّن طريق الحجاج.

(٢٢) نأى: بُعد وفراق. تجلَّت: انكشفت وزالت. الآثام: الذنوب.

(٢٣) الوفد هنا: وفد الحجيج. ثناهم: أضعف عزمهم.

(٢٥) منعة: عزة وقوة على العدو.
ينوبها: يصيبها. الأنعام: الإبل والبقر والغنم. ومن المعروف أن التتر كانوا يهاجمون البلاد فينهبون كل شىء فى طريقهم، يحرقون الأرض وزرعها ويأخذون الأنعام طعاماً لجنودهم وجيوشهم الجرارة.
وهذا البيت زيلدة أثبته من النبهانية.

٢٦ - فـــتَـــمَـــامُ النَّدَىٰ عَلىٰ مُكْرِمِ الوَا فِـــــدِ ظَـهْـــرٌ يُـقِـلُّـهُ وَسَـــــلامُ

*****

---

(٢٦) الندى: الكرم. ظهر: فرس أو بعير أو غيرهما مما يركب. يقله: يحمله .

الميمية الثالثة

(عدتها ٦٢ ـ البسيط الأول)

نظمت هذه القصيدة فى مناسبة شهر ربيع الأول الذى شهد مولد خير العرب والعجم ﷺ، ثناءً على النبى ﷺ وتعداداً لمآثره وفضائله ومحاسنه الخُلُقية والخِلْقيَّة.

وفى نهاية القصيدة يتمنى الشاعر أن يمنَّ عليه النبى ﷺ برؤيا تشفى قلبه وروحه، ويثنى على الصحابة الكرام والتابعين بإحسان، ويذكر شيخه أبا الوفاء عبد القادر (لعله : عبد القادر الجيلانى)، والعارف الهيتى، وابن إدريس، مثنياً عليهم ومعلناً حبه وولاءه لهم.

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- فى ذكرى المولد النبوى الشريف والثناء على سيد الخلق ﷺ.
- أمنية الشاعر فى رؤيا النبى ﷺ.
- فى الثناء على الصحابة الكرام وتابعيهم.
- ذكر بعض أعلام الصوفية فى عصره والثناء عليهم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - يا شَهْرَ مَوْلِدِ خَيْرِ العُرْبِ والعَجَمِ ... لأنْتَ حَقًّا رَبِيعُ الفَضْلِ والنِّعَمِ

٢ - بَشَّرْتَنا بِنَبِيٍّ نُورُ طَلْعَتِهِ ... عَنِ البَسِيطَةِ جَلَّىٰ حِنْدِسَ الظُّلَمِ

٣ - مُحَمَّدٍ صَفْوَةِ الرَّحْمٰنِ مِنْ غُرَرِ الـ ... أعْيانِ عِنْدَ عَظِيمِ الشَّأنِ فى القِدَمِ

٤ - خَطَّ اسْمَهُ فَوْقَ ساقِ العَرْشِ مَنْقَبَةً ... لَمْ تَجْرِ فى فَهْمِ أهْلِ العَزْمِ والهِمَمِ

٥ - ولاحَ فَوْقَ نُحُورِ الحُورِ أحْسَنَ مِنْ ... عِقْدٍ مِنَ الدُّرِّ والياقُوتِ مُنْتَظِمِ

٦ - وَزَانَ أيضًا مَصارِيعَ القُصورِ وأشْـ ... ـجَارَ الجِنانِ كَثَوْبٍ زِينَ بالعَلَمِ

٧ - لَوْلاهُ لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمٰنُ آدَمَ لا ... ولا الجِنانَ ولا النِّيرانَ لِلنِّقَمِ

٨ - وكانَ قَبْلُ نَبِيًّا حَيْثُ آدَمُ فِى ... تَصْوِيرِهِ وهْوَ فى الوُجْدانِ كالعَدَمِ ١/٦٣

٩ - حَتَّىٰ إذَا هُوَ سَوَّاهُ وقَدَّمَهُ ... عَلَىٰ المَلائِكَةِ الأشْرافِ كُلِّهِمِ

١٠ - وكانَ ما كانَ مِنْهُ ثُمَّ تَابَ، دعا ... بِاسْمٍ عَلَىٰ العَرْشِ سامِى القَدْرِ مُحْتَرَمِ

---

(٢) طلعته : وجهه . البسيطة : الأرض . جلّى : كشف . الحندس : الليل الشديد الظُّلمة . الظُّلَم : جمع ظُلمة .

(٤) منقبة : فضيلة ومكرمة .

(٥) لاح : ظهر . نحور : صدور . الحور : نساء الجنة .

(٦) زان : زيّن . مصاريع : جمع مصراع وهو الباب . الجنان : جمع جنّة . زين : زُيّن . العلم : النقش .

(٧) النِّقَم : جمع نقمة ، وهى الغضب والعقاب . وهذا البيت زيادة من (ب) .

(٨) يشير إلى قوله ﷺ : « إنى عبد الله ونبيّه وآدم منجدل فى طينته » [المستدرك للحاكم ، تفسير سورة الأحزاب ، رقم ٣٣] أى لم تنفخ فيه الروح بعد ، فهو موجود ولكنه وجود كالعدم . وفى (ب) :

وكانَ قَبْلُ نَبِيًّا وهو منجدلٌ ... فى طِينةٍ هى فى الوجدانِ كالعَدَمِ

وهذه الصياغة أقرب لنص الحديث .

(١٠) ذكر الصرصرى هذا المعنى كثيرًا ، وهو أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة وأراد أن يتوب إلى ربّه - رأى اسم محمد ﷺ على العرش فدعا الله به فتاب عليه ، وقد أورد النبهانى عدة أخبار فى هذا ، منها ما رواه البيهقى والحاكم والطبرانى عن عمر الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لمّا اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى . فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه ؟ قال : لأنك - يارب - لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فعلمت أنك لم تُضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحبّ الخلق إلىّ ، وإذْ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، =

١١ - سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَوْلانَا وسَيِّدَنا ... مُحَمَّداً بِنَفِيسِ الحَظِّ والقِسَمِ

١٢ - سَوَّاهُ مِنْ قَبْضَةٍ بَيْضاءَ أخْرَجَها ... مِنْ قَبْرِهِ العَطِرِ المَحْشودِ بالحَشَمِ

١٣ - قُدْسِيَّةُ الأصل بالتَّسْنِيمِ قَدْ عُجِنَتْ ... عَجْناً يَزِيدُ بِهِ فَضْلاً عَلَىٰ النَّسَمِ

١٤ - وبَعْدَهُ غُمِسَتْ فى ماءِ أنْهُرِ جَنَّـ ... ـاتِ النَّعِيمِ الطَّهورِ السَّائِغِ الشَّبِمِ

١٥ - وطِيفَ فى المَلأ الأعْلَىٰ بِها فَسَمَتْ ... وحازها آدَمُ الأعْلَىٰ أبو الأُمَمِ

١٦ - فَلَمْ يَزَلْ نُورُهُ حِيناً بِجَبْهَتِهِ ... حَتَّىٰ عَلا وَجْهَ ذاتِ الحَمْلِ والوَحَمِ

١٧ - وحَلَّ جَبْهَةَ شِيثٍ ثُمَّ لاحَ عَلَىٰ ... جَبِينِ أخْنُوخِ الدَّرَّاسِ للحِكَمِ

١٨ - وحَلَّ فى صُلْبِ نُوحٍ فى السَّفِينِ وفى ... صُلْبِ الخَلِيلِ الرِّضَا فى الجاحِمِ الضَّرِمِ

١٩ - وكانَ فى صُلْبِ إسْمَاعِيلَ فانْقَلَبَتْ ... عَنْهُ المُدَىٰ فتَوَلَّىٰ غَيْرَ مُنْكَلِمِ

٢٠ - ولَمْ يَزَلْ بِصَحِيحِ العَقْدِ مُنْتَقِلاً ... مِنْ خَيْرِ صُلْبٍ إلَىٰ مَا طَابَ مِنْ رَحِمِ

٢١ - حَتَّىٰ عَلا وَجْهَ عَبْدِ اللهِ مِنْه سَنًا ... لأجْلِهِ لَمْ يُضِرْهُ نَحْرُ مُسْتَهِمِ

٢٢ - وأحْرَزَتْ مِنْهُ ذاكَ النُّورَ آمِنَةُ الـ ... ـمَحْرُوسَةُ الحَمْلِ مِنْ ثِقْلٍ ومِنْ أَلَمِ

٢٣ - حَتَّىٰ إذَا بَلَغَ الحَمْلُ التَّمامَ بَدا ... مُطَهَّراً مِنْ نِفَاسٍ مُؤْذِنٍ بِدَمِ

= لولا محمدٌ ما خلقتك [انظر: حجة الله على العالمين ، ص ١٥٧].

(١١) نفيس: رفيع القيمة. القسم: جمع قسمة وهى النصيب.

(١٣) التسنيم: ماء الجنة. النَّسَم: البشر، وكل ذى روح.

(١٤) السائغ: العذب. الشبم: البارد الصافى.

(١٥) طيف: فعل مبنى للمجهول من طَافَ.
الأمم: كذا فى (ب)، وفى (أ) الأنم، وهو مقصور من (الأنام) ولكنها ضرورة قبيحة، وما فى (ب) أصح.

(١٦) المراد بذات الحمل والوحم: حواء.

(١٧) أخنوج: سيدنا إدريس عليه السلام. الدرَّاس: صيغة مبالغة من دَرَس يَدْرُس.

(١٨) الجاحم الضرم: النار التى أوقدها نمروذ لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

(١٩) المدى: السكين. منكلم: جريح.

(٢٠) أى بزواج صحيح فى جميع آبائه، قال ﷺ : «ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح، كلها نكاح» السيرة الحلبية ١ / ٦٥].

(٢١) لم يضره: لم يصبه. نحر: ذبح.
مستهم من الاستهام وهو إجراء القُرعة.

٢٤ - وجَلَّ عَنْ صُنْعِ خَتَّانٍ وقَابِلَةٍ ... وَصِينَ فى وضْعِهِ مِنْ سَوْرَةِ اللَّمَمِ

٢٥ - ومُذْ عَلا الأرضَ أهْوَىٰ ساجِداً وكَسَتْ ... أنْوارُهُ عَرَصَاتِ البَيْتِ والحَرَمِ

٢٦ - واسْتَبْشَرَ المَلأُ الأعْلَىٰ بِهِ وحَمَوْا ... مَهْداً تَكَنَّفَهُ مِنْ شَرِّ مُقْتَحِمِ

٢٧ - وانْشَقَّ إيوانُ كِسْرَىٰ والمَجُوسُ خَبَا ... مِنْ نَارِها كُلُّ وَارِى الوَقْدِ مضْطَرِمِ

٢٨ - جَاءَتْ بِهِ أدْعَجَ العَيْنَيْنِ حَاجِبُهُ ... كَالنُّونِ عَرَّقَهَا الحَذَّاقُ بالقَلَمِ

٢٩ - أزَجُّ أبْلَجُ أقْنَىٰ الأنْفِ يُحْسَبُ مِنْ ... بُعْدٍ أشَمَّ ومَا بالأنْفِ مِنْ شَمَمِ ٦٣/ب

٣٠ - مُدَوَّرُ الوَجْهِ سَهْلُ الخَدِّ أنْوَرُهُ ... قَدْ خَيَّمَ الحُسْنُ فى عَيْنٍ لَهُ وفَمِ

٣١ - حُلْوُ الشَّمائِلِ رَحْبُ الصَّدْرِ قَدْ جُمِعَتْ ... فِيهِ المَحَاسِنُ مِنْ قَرْنٍ إلىٰ قَدَمِ

٣٢ - يُضْحِى كَحِيلاً دَهِيناً طَيِّباً عَطِراً ... مِنْ غَيْرِ صُنْعِ رَبِيبَاتٍ ولا خَدَمِ

٣٣ - وعَمَّتِ ابنَةَ سَعْدٍ فى رِضَاعَتِهِ ... سَعَادَةٌ عَنْ حِمَاها الدَّهْرَ لَمْ تَرِمِ

٣٤ - وخُصَّ فى أرْبَعٍ مِنْ عُمْرِهِ سَلَفَتْ ... بِشَرْحِ صَدْرٍ عَلَىٰ الخَيْرَاتِ مُلْتَئِمِ

---

(٢٤) جلَّ: عظُم وتنزَّه، أى لم يختن لأنه ولد مختونًا، وقد تواترت الأحاديث أنه ﷺ ولد مختونا كما قال الحاكم فى المستدرك.
كما أنه لم يولد بواسطة قابلة كغيره من الناس. صين: حفظ. سورة: شدة.
اللمم: أن يلمّ به طائف من الجن أو الشياطين.
نقل فى حجة الله على العالمين عن «محاضرة الأبرار» أن الملائكة أخفت النبى ﷺ عن أعين الناس عند ولادته [حجة الله على العالمين ص ١٦٧ ، ١٦٨].

(٢٥) أهوى: سقط مسرعًا. عرصات: جنبات.

(٢٦) تكنفه: أحاط به. والمراد بالمقتحم: الشيطان.

(٢٧) خبا: انطفأ. وارى الوقد: النار المشتعلة، ومثله مضطرم.

(٢٨) أدعج العينين: بياضهما شديد وسوادهما شديد.

(٢٩) أزجّ: دقيق الحاجبين مع طول وتقوس فيهما. أبلج: مشرق. أقنى الأنف: طويل مع ارتفاع فى وسطه. أشمّ: متكبر، أى يظن الناظر إليه من بعيد أنه متكبر لارتفاع أنفه وطوله، ولكن ليس به من كبر.

(٣٠) أنور: مضىء. خيّم: ثبت.

(٣١) الشمائل: الأخلاق. قرن: شعر، وفى (أ) فرق، وهو تصحيف والتصويب من (ب).

(٣٢) ربيبات: جمع ربيبة، وهى الأمَة.

(٣٣) ابنة سعد: السيدة حليمة السعدية، وهى من بنى سعد. الدهرَ: منصوب على الظرفية أى: مدى الدهر. لم ترم: لم تفارقها.

(٣٤) سلفت: مضت، أى بعد مضى أربع سنوات من عمره الشريف. ملتئم: مشتمل.

٣٥ - وكانَ وهْوَ ابْنُ خَمْسٍ فى الهَجيرِ لَهُ ... مِنَ الغَمَائِمِ ظِلٌّ غَيرُ مُنْخَرِمِ

٣٦ - وزُلْزِلَ الدَّيْرُ تَعْظِيمًا لحُرْمَتِهِ ... وهْوَ ابنُ سَبْعٍ لِمَنْعِ الرَّاهِبِ الخَصِمِ

٣٧ - ولَمْ يَزَلْ فى ثَمَانٍ عَمُّهُ يَجِدُ الْـ ... ـخِصْبَ الغَزِيرَ بِهِ فى المَاحِلِ العَمِمِ

٣٨ - وزادَ وهْوَ ابْنُ عَشْرٍ صَدْرُهُ شَرَفًا ... بالشَّرْحِ يُمْلأُ مِنْ نُورٍ ومِنْ حِكَمِ

٣٩ - وكانَ فى الخَمْسِ والعِشْرِينَ فى سَفَرٍ ... تَحْتَ الغَمَامَةِ مَحْرُوسًا مِنَ السُّهُمِ

٤٠ - وأشْرَقَتْ حِينَ تَمَّ الأرْبَعُونَ لَهُ ... شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْ ذِى العِزَّةِ الحَكَمِ

٤١ - حَيَّاهُ فى بَعْثِهِ شُمُّ الجِبالِ وكُثْـ ... ـبَانُ الرِّمالِ وفَرْعُ الضَّالِ والسَّلَمِ

٤٢ - وَأَتْبَعَ الثَّاقِبُ الشَّيْطانَ مُذْ بُعِثَ الْـ ... ـهَادِى ونُكِّسَ ما فى الأرْضِ مِنْ صَنَمِ

٤٣ - وأظْهَرَ المُعْجِزاتِ البَاهِراتِ فَلَمْ ... يَرُدَّها غَيرُ مَسْلُوبِ الفُؤادِ عَمِ

٤٤ - وأخْرَجَ النَّاسَ مِنْ لَيلِ الضَّلالِ إلىٰ ... صَباحِ حَقٍّ مُبِينٍ غَيْرِ مُتَّهَمِ

٤٥ - إذَا رأىٰ الحَاذِقُ المُرْتادُ بَهْجَتَهُ ... يَشِيمُ بَرْقَ الهُدَى فى أَحْسَنِ الشِّيَمِ

٤٦ - وإنَّهُ الآنَ مَقْبُورًا لأمَّتِهِ ... ذُخْرٌ لَهُمْ نَافِعٌ فى عَرْضِ كَسْبِهِمِ

٤٧ - حَتَّىٰ إذَا حَانَ بَعْثُ النَّاسِ فَهْوَ إذًا ... نِعْمَ الشَّفِيعُ لَهُمْ فى يَوْمِ حَشْرِهِمِ

٤٨ - يا أحْسَنَ النَّاسِ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ... وأغْزَرَ النَّاسِ فى عِلْمٍ وفى كَرَمِ

٤٩ - وأشْرَفَ النَّاسِ فى قَدْرٍ وفى نَسَبٍ ... وأعْظَمَ النَّاسِ فى بَدْءٍ ومُخْتَتَمِ

٥٠ - قَلْبِى إلَيْكَ وطَرْفِى ظَامِئَانِ ولا ... يَرْوِيهِمَا مِنْكَ إلا أصْدَقُ الحُلُمِ

---

(٣٥) الهجير: حر الظهيرة. منخرم: ناقص.

(٣٦) الخصم: شديد الخصومة، وسبق ذكر قصة زلزلة الدير.

(٣٧) الماحل: الجدب. العمم: العامّ الشامل.

(٣٩) السُّهم: وهج الصيف وحرّه اللافح.

(٤١) شم الجبال: الجبال العالية. الكثبان: التلال. الضال: شجر السدر. السلم: شجر طويل ذو شوك.

(٤٢) أَتْبَعَ هنا فعل متعد بمعنى (تَبِعَ). الثاقب: الشهاب. وقد سبق ذكر هذه الآيات التى صاحبت بعثة النبى ﷺ. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٤٥) الحاذق: الماهر. المرتاد: المستطلع. يشيم: يرى ضوء البرق. الشيم: الطبائع.

(٤٧) بعث: فى (أ) بعد، وهو سهو من الناسخ، والتصحيح من (ب).

(٥٠) طرفى: بصرى. الحُلُم: الحلْم، وأراد به الرؤيا الصادقة.

٥١ - فـامْنُنْ عَلَىَّ بِرؤْيا تَسْـتَلِذُّ بِهـا رُوحِي وتَشْفِي فؤادِي مِنْ جَوَى السُّقَمِ ١/٦٤

٥٢ - لا زِلْتَ مِنْ نَفَحاتِ القُدْسِ فِي مَدَدٍ ومِنْ مَـزِيدِ الرِّضـا والقُـرْبِ فِي نِعَمِ

٥٣ - ونالَ مِنْ فَـضْلِ مـا أُعْطِيتَ آلُكَ والْـ أبْرارُ أصْـحـابُكَ المُـوفُـونَ بالذِّمَمِ

٥٤ - والتَّـابِعـونَ بِإحْـسـانٍ ومَـشْـيَـخَـةٌ إلىٰ الطَّرِيقَـةِ دَلُّونَا بِهَـدْيِهِمِ

٥٥ - كالعارِفِ العَدْلِ تاجِ العَارِفِينَ أبِي الْـ ـوَفَـاءِ والقُطْبِ عَـبْـدِ القَـادِرِ العَلَمْ

٥٦ - والعَـارِفِ العَلَمِ الهِـيـتِيِّ ذِي النَّظَرِ الـ ـصَّحِيحِ كَمْ قَـالَ مِنْ قَـوْلٍ فَلَمْ يَهِمِ

٥٧ - وكابْنِ إدْرِيسَ ذِي الحَالِ الشَّهِيرِ أتَىٰ فَكانَ بَعْـدَهُـمُ عُنْوانَ سِـرِّهِمِ

٥٨ - مـا زَالَ مُـتَّـبِـعًـا آثارَ شَـرْعَـتِكَ الْـ ـبَيْضاءِ عَنْ حُكْمِكَ المَحْمودِ لَمْ يَخِمِ

٥٩ - فَـهُـمْ وأمْـثـالُهُمْ أعْـيـانُ أمَّـتِكَ الْـ أمْـجـادُ مِنْ عَـرَبٍ عَـرْبَاءَ أو عَـجَمِ

٦٠ - فِي كُلِّ عَصْرٍ لَنا مِنْهُمْ شُمُوسُ هُدًى إذَا عَرَا الجَدْبُ يُسْتَسْقَىٰ الحَيَا بِهِمِ

٦١ - وإنْ طَغَىٰ حَـادِثٌ عُـذْنَا بِهِمْ وإذَا حَلُّوا قُـبُـورَهُمُ لُذْنا بِتُـرْبِهِمِ

٦٢ - نُصَفِّيهِمُ مـا حَـيِـينَا وُدَّنا فـإذَا مِـتْنا نَمـوتُ عَلَىٰ إخْـلاصِ حُـبِّـهِمِ

*****

---

(٥١) جوى : ألم . السقم : المرض .

(٥٢) مدد : عطاء إلهىّ لا ينفد .

(٥٣) الذمم : العهود .

(٥٤) الطريقة : طريقة الصوفية ، وهى طريق السالكين إلى الله من قطع المنازل والترقّى فى المقامات [انظر : اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٦٥] .

(٥٨) شرعتك : شريعتك . لم يخم : لم يتحوّل عنها .

(٦٠) عرا الجدب : نزل وأصاب الأرض . الحيا : المطر .

(٦١) عذنا بهم : استغثنا ولجأنا إليهم ، ومثله لُذْنا .

(٦٢) نصفيهم ودّنا : نحبهم حبًا صافيًا خالصًا .

الميمية الرابعة

(عدتها ٧٣ ـ الطويل الثانى)

وهذه القصيدة ـ أيضًا ـ نظمت فى ذكرى مولد النبى ﷺ، وما أفاضته هذه الذكرى العطرة من بشائر الخير والبركة على المحبين، ومن ثم ينتقل الشاعر إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض خصائصه ومعجزاته، ثم يثنى على أصحابه من أبطال بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، ويخص منهم بالثناء العشرة المبشرين بالجنة، ذاكرًا بعض مآثرهم وفضائلهم، ويعم بالثناء كل أصحاب النبى ﷺ، كما يثنى على الرجال الأربعين المقيمين على الحق فى كل عصر، كلما مات أحدهم قام مكانه غيره من أمة محمد ﷺ، إلى قيام الساعة، مسلمًا عليهم، ومصليًا على النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- فى مدح النبى ﷺ.
- فى الثناء على صحابته الكرام من أهل بدر وأصحاب بيعة الرضوان.
- فى الثناء على العشرة المبشرين وذكر بعض مآثرهم.
- ثناء على الرجال الأربعين القائمين بالحق.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أَجَدَّ المَشُوقُ الوَجْدَ حينَ تَوَهَّمَا ... رَبِيعًا أَتَانَا زائِرًا ومُسَلِّمَا

٢ - فأدَّىٰ إلَيْنا للحَبِيبِ رِسالَةً ... فَهِمْنَا بِها لِلْفَضْلِ مَعنًى مُتَرْجَمَا

٣ - كَسَا جَنَباتِ الأَرْضِ بُرْدًا مُفَوَّفًا ... وقَلَّدَها مِنْهُ وِشَاحًا مُنَظَّمَا

٤ - أزاهِيرَ تَحْكِي الأَنْجُمَ الزُّهْرَ بَهْجَةً ... وأَنْهَارُها الأَفْلاكُ والخُضْرَةُ السَّمَا

٥ - يُضاهِي ثُغورًا أَسْفَرَتْ أُقْحُوانُها ... ونَرْجِسُها الأَجْفانُ مِنْ أَعْيُنِ الدُّمَىٰ

٦ - إذَا مَا بَكَتْ عَيْنُ السَّحابِ رِياضَها ... تَرَىٰ النَّوْرَ فِي أَرْجائِها مُتَبَسِّمَا

٧ - ويَسْحَرُ أَلْبابَ الرِّجالِ أَرِيجُها ... إذَا نَفَسُ الأَسْحارِ مَرَّ مُهَيْنِمَا

٨ - تَرَىٰ زَهَرًا سَبْطًا وماءً مُجَعَّدًا ... يُظَنُّ عَلَىٰ الأَمْواجِ خَطًّا مُنَمْنَمَا

٩ - إذَا مَاسَ عِطْفُ الرَّنْدِ يَشْدُو حَمامُها ... كَأَنَّ لَهُ بالرَّنْدِ قَلْبًا مُتَيَّمَا ٦٤/ب

١٠ - يَنُوحُ فَلا أَدْرِي أَخَوْفَ تَفَرُّقٍ ... أَمِ ارْتاحَ إذْ نالَ المُنَىٰ فَتَرَنَّمَا

١١ - فَيَا حُسْنَ أَوْقاتِ الرَّبِيعِ أَبِنْ لَنا ... بِماذَا عَلَىٰ الأَيَّامِ صِرْتَ مُقَدَّمَا

١٢ - أَجُزْتَ عَلَىٰ أَعْلامِ طَيْبَةَ غُدْوَةً ... فأَحْرَزْتَ هذَا الطِّيبَ مِنْ ذَلِكَ الحِمَىٰ

١٣ - حِمًى فِيهِ رَوْضُ الفَضْلِ غَضٌّ عَلَىٰ المَدَىٰ ... إذَا وَقْتُكَ النَّزْرُ اليَسِيرُ تَصَرَّمَا

---

(١) أجدَّ: جدّد.

(٢) مترجمًا: مشروحًا مفسَّرًا.

(٣) بردًا: ثوبًا. مفوفًا: منقوشًا مزخرفًا.

(٤) تحكي: تشبه. الزهر: اللامعة.

(٥) يضاهي: يماثل. ثغورًا: جمع ثغر، وهو الفم. أسفرت: ضحكت. الأقحوان: نبت طيب الرائحة له زهر أبيض. الدمى: جمع دمية، وكانوا يشبهون النساء الجميلات بالدمى.

(٦) النَّور: الزهر.

(٧) ألباب: عقول. أريجها: عطرها. الأسحار: جمع سحر. مهينمًا: محدثًا صوتًا خفيضًا كدندنة الغناء.

(٨) سبطًا: طويلاً ناعمًا.

(٩) ماس: تمايل. الرند: زهر الآس.

(١٠) ترنَّم: غنَّى.

(١٢) أجزت: هل مررت؟ فالهمزة استفهامية. غدوة: في أول النهار.

(١٣) غض: ناعم مزدهر. النزر: القليل. تصرَّم: مضى.

١٤ - حَوَىٰ كُلَّ مَعْنًى لَيْسَ لِلنَّقْصِ مَدْخَلٌ ... عَلَيْهِ ولا فِيهِ مَقَالٌ فَيُوصَمَا

١٥ - مَعانِيَ أَحْلَىٰ مِنْ وِصالٍ عَلَىٰ مُنًى ... وأَعْذَبُ مِنْ ماءٍ نَمِيرٍ عَلَىٰ ظَمَا

١٦ - حِمًى نُورُهُ عَنَّا مَحَا كُلَّ ظُلْمَةٍ ... وسُلْطَانُهُ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَنا حَمَىٰ

١٧ - حِمًى أَشْرَقَتْ شَمْسُ الهُدَىٰ بِسَمائِهِ ... فَجَلَّتْ مِنَ البُطْلانِ مَا كانَ مُظْلِمَا

١٨ - حِمًى حَلَّهُ الهَادِي البَشِيرُ مُحَمَّدٌ ... فأَضْحَىٰ لِشَرْقِ الأَرْضِ والغَرْبِ قَد حَمَىٰ

١٩ - بِهِ شَرُفَتْ فِي الأَرْضِ يَثْرِبُ مِثْلَمَا ... بِهِ شَرَّفَ اللهُ الحَطِيمَ وزَمْزَمَا

٢٠ - وأَخْبَرَ فِي مَاضِي الزَّمانِ بِوَصْفِهِ ... ومَبْعَثِهِ مُوسَىٰ وعِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَا

٢١ - كَذَلِكَ لَمَّا عَايَنَ ابنُ سَلامٍ الـ ... ـصِّفاتِ التِي فِيهِ وسَلْمانُ أَسْلَمَا

٢٢ - لَهُ جَمَعَ اللهُ المَناقِبَ كُلَّها ... فأَصْبَحَ بَيْنَ الأَنْبِياءِ مُعَظَّمَا

٢٣ - بَشِيرًا نَذِيرًا شَاهِدًا مُتَوَكِّلاً ... حَبِيبًا خَلِيلاً ناظِرًا ومُكَلِّمَا

٢٤ - سِراجًا مُنِيرًا فاتِحَ الخَيْرِ خاتِمًا ... رَءُوفًا رَحِيمًا شافِعًا ومُحَكَّمَا

٢٥ - وأُعْطِيَ خَمْسًا لَمْ يَنَلْهُنَّ قَبْلَهُ ... نَبِيٌّ، عَطاءً مِنَّةً وتَكَرُّمَا

٢٦ - لَهُ الأَرْضُ صَارَتْ مَسْجِدًا وتُرابُها ... طَهُورًا لِمَنْ أَضْحَىٰ بِها مُتَيَمِّمَا

٢٧ - وعَمَّ جَمِيعَ الإِنْسِ والجِنِّ بَعْثُهُ ... وكُلُّ نَبِيٍّ فِي أُناسٍ تَقَدَّمَا

٢٨ - وخُصَّ بِتَحْلِيلِ الغَنائِمْ لَمْ يَكُنْ ... نَبِيٌّ رَسُولٌ قَبْلُ يَقْسِمُ مَغْنَمَا

٢٩ - وكَانَ عَلَىٰ شَهْرٍ لَهُ الرُّعْبُ نَاصِرًا ... كَما بالصَّبا شَمْلُ العَدُوِّ تَقَسَّمَا

٣٠ - وأُعْطِيَ مَا لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ وذِكْرُهُ ... مُقارِنُ ذِكْرِ اللهِ أَمْرًا مُحَتَّمَا ٢/٦٥

---

(١٤) يوصم: يعاب.

(١٥) نمير: عذب. ظما: سهل الهمزة لضرورة القافية.

(١٧) جلّت: كشفت. البطلان: الباطل.

(١٩) الحطيم: ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام [معجم البلدان ٢/٣١٥].

(٢٢) المناقب: المكارم والفضائل.

(٢٥) أشار في هذا البيت والأبيات التالية حتى البيت رقم (٢٩) إلى قوله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبعَث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» [متفق عليه، انظر: الصلاة ١/٦٣٥، حديث رقم ٤٣٨].

(٣٠) وذلك في شهادة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٣١ - أَلَمْ تَرَ أَنَّا لا يَصِحُّ أَذَانُنَا ... ولا فَرْضُنا إِنْ لَمْ نُكَرِّرْهُ فِيهِمَا

٣٢ - وآتاهُ قُرْآنًا مَجِيدًا مُصَدِّقًا ... لِمَا قَبْلَهُ يَهْدِى إِلىٰ الحَقِّ مُحْكَمَا

٣٣ - مَحَجَّتُهُ البَيْضَاءُ أَهْدَىٰ مَحَجَّةٍ ... بِهَا دِينُهُ أَضْحَىٰ عَلَىٰ الدِّينِ قَيِّمَا

٣٤ - وأُمَّتُه خَيْرُ القُرونِ وصَحْبُهُ ... خِيَارُهُمُ كَانُوا شُمُوسًا وأَنْجُمَا

٣٥ - وأَفْضَلُهُمْ أَبْطالُ بَدرٍ ومَنْ ثَنَىٰ ... عَلَىٰ بَيْعَةِ الرِّضْوانِ عَقْدًا وأَبْرَمَا

٣٦ - وأَوْلاهُمُ بِالفَضْلِ صِدِّيقُهُ الذى ... لِذِرْوَةِ عَلْيَاءِ السِّبَاقِ تَسَنَّمَا

٣٧ - أَبُو بَكْرٍ السَّبَّاقُ فِى الفَضْلِ مُنْفِقًا ... كَمَا كَانَ سَبَّاقًا إِلىٰ الخَيْرِ مُسْلِمَا

٣٨ - أَمَا كَانَ يَوْمَ الغارِ يَبْذُلُ نَفْسَهُ ... حِذَارًا عَلَيْهِ مِنْ عَدُوٍّ وأَرْقَمَا

٣٩ - وقَدَّمَهُ الهَادِى وصَلَّىٰ وراءَهُ ... فَنِعْمَ إِمَامٌ لِلخِلافَةِ قُدِّمَا

٤٠ - لَقَدْ رَدَّ يَوْمَ الرِّدَّةِ الدِينَ أَخْضَرَ الْـ ... ـخَمَائِلِ لَمَّا كَادَ أَنْ يَتَهَدَّمَا

٤١ - ومِنْ بَعْدِهِ الفَارُوقُ مُظْهِرُ دِينِنَا ... بِإِسْلامِهِ جَهْرًا وكَانَ مُكَتَّمَا

٤٢ - فَضَائِلُهُ مَشْهُورَةٌ لا يَرُدُّهَا ... سِوَىٰ مُبْطِلٍ غَطَّىٰ بَصِيرَتَهُ العَمَىٰ

٤٣ - أَمَا وَافَقَتْ آىُ الكِتَابِ مُرَادَهُ ... وكَانَ الفَقِيهَ العَبْقَرِىَّ المُفَهَّمَا

٤٤ - أَمَا عَمَّ أَقْطَارَ البِلادِ بِعَدْلِهِ ... وثَقَّفَ مُعْوَجَّ العِبَادِ وقَوَّمَا

---

(٣٣) المحجة : الطريق، واستعيرت للأمر الواضح الذى لا زيغ فيه، وتوصف بالبيضاء لأن البياض رمز للخير عند العرب . قيما : حاكما ومهيمنا . وهذا ما فهمه الصرصرى من قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ التوبة / ٣٦ ، يوسف / ٤٠ ، الروم / ٣٠ . ومعظم المفسرين على أن المراد الدين القيم : المعتدل المستقيم .

(٣٥) ثنى العقد : أحكمه وأكده، ومثله أبرم .

(٣٦) المراد بالسباق : التسابق إلى الخير والإيمان . تسنم : ارتقى .

(٣٧) كذا فى (جـ)، وفى (أ) عجز البيت غير مقروء . (٣٨) حذارًا : خوفًا . أرقم : ثعبان .

(٤٠) الخمائل : الأشجار، استعار خضرة الخمائل للتعبير عن التجدد والحيوية .

(٤٣) روى الشيخان عن أنس ﷺ قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ : « وافقت ربى ثلاث، فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلًّى، فنزلت : وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة / ١٢٥ . وآية الحجاب، قلت : يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن؛ فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ التحريم/ ٥ . فنزلن هذه الآية [صحيح البخارى ك الصلاة، رقم ٣٨٧ ، صحيح مسلم والثالثة عنده : فى أسارى بدر، ك فضائل الصحابة رقم ٤٤١٢].

(٤٤) ثقف : عدل وأصلح المعوج، ومثله قوَّم .

٤٥ - هُما - وإلٰهي - خَيْرُ صَحْبِ مُحَمَّدٍ ... وصَحْبُ جَميعِ الأنْبِيَاءِ هُما هُما

٤٦ - تَرَىٰ أَهْلَ عِلِّيينَ مِنْ دُونِهِمْ كَمَا ... يُرَىٰ الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فى أُفُقِ السَّمَا

٤٧ - وإنَّ أبا بَكْرٍ عَتِيقًا أَخَا التُّقَىٰ ... وصَاحِبَهُ الفَارُوقَ مِنْهُمْ وأَنْعِمَا

٤٨ - لَقَدْ بَرِأَ اللهُ العَظِيمُ وعَبْدُهُ ... نَبِيُّ الهُدَىٰ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْهُما

٤٩ - وعُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ نُورَيْ مُحَمَّدٍ ... وذَلِكَ فَضْلٌ يَكْبِتُ المُتَأَثِّما

٥٠ - وبَايَعَ عَنْهُ باليَمِينِ وخَصَّهُ ... بأَجْرِ كَمِيٍّ يَومَ بَدْرٍ وأَسْهَما

٥١ - وقَالَ لَهُ: مَا ضَرَّ عُثْمانَ بَعْدَها ... لِتَجْهِيزِهِ جَيْشًا لُهَامًا عَرَمْرَمَا ٦٥/ب

٥٢ - وقَالَ: أخِي عُثْمانُ وهْوَ فَضِيلَةٌ ... وأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بالحَيَاءِ مُعَظِّمَا

٥٣ - وبَابُ الهُدَىٰ والعِلْمِ والنُّورِ والتُّقَىٰ ... وذُو النَّسَبِ السَّامِي الشَّرِيفِ إذا انْتَمَىٰ

٥٤ - أَبُو الحَسَنِ الخَوَّاضُ كُلَّ عَجاجَةٍ ... يُنَكِّلُ فِيهَا الشَّرَّ بالسَّيْفِ مُعْلَمَا

٥٥ - وكَمْ لِلَبِيبٍ بَاحِثٍ حَلَّ مُشْكِلاً ... وكَمْ لِذَوِي الأحْكَامِ وَضَّحَ مُبْهَمَا

---

(٤٥) كرر الضمير (هما) تنويهًا بالصديق والفاروق رضى الله عنهما.

(٤٦) عليين: منزلة عالية فى الجنة للمقربين.

(٤٧) عتيق: اسم سيدنا أبى بكر.

(٤٩) شرح الصرصرى فى هذا البيت معنى لقب سيدنا عثمان ذى النورين، بقوله: نورى محمد ﷺ، لأنه تزوج السيدتين رقية وأم كلثوم عليهما السلام.

(٥٠) أشار فى هذا البيت إلى ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمر أن سائلاً سأله عن عثمان بن عفان رضى الله عنهم: هل تغيَّب عن بدر؟ وهل تخلَّف عن بيعة الرضوان؟ فأجاب ابن عمر أن تَغَيُّب عثمان عن شهود بدر كان لمرض زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ، وقال له النبى ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه. وأما غيابه عن بيعة الرضوان فلأن النبى ﷺ أرسله يومئذ إلى مكة وبايعه ويد عثمان فى يد النبى ﷺ [انظر الحديث بتمامه فى: الفتح، كتاب فضائل الصحابة، ٧/٦٦، رقم ٣٦٩٨].

(٥١) الجيش اللهام: الضخم الذى يلتهم كل شىء، والعرمرم: الكثير. وكان عثمان ﷺ قد جهز جيش العسرة، وهى غزوة تبوك. قال ﷺ: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان [رواه البخارى تعليقا - فتح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان ٧/٦٥].

(٥٢) جاء فى هامش (أ): قال ﷺ: «ألا أستحيى ممن تستحيى منه ملائكة الرحمن؟!» وهذا تعليق من الناسخ على البيت لتوضيح ثناء النبى ﷺ على عثمان ﷺ بالحياء. والحديث رواه مسلم [انظر: صحيح مسلم بشرح النووى ٩/٣٥٢].

(٥٣) هو سيدنا على بن أبى طالب ﷺ.

(٥٤) العجاجة: غبار الحرب.

(٥٥) لبيب: ذو عقل راجح.

٥٦ - ويَكْفيه مِنْ زَهْرائه وإخائه ... وسِبْطَيْه فَضْلٌ بَحْرُهُ ذاخِرٌ طَمَىٰ

٥٧ - وطَلْحَةُ فاذْكُرْ طَلْحَةَ الجُودِ مَنْ وَقَىٰ ... بِساعِدِه المُخْتارَ حَتَّىٰ تَهَشَّمَا

٥٨ - وكانَ بِه بِضْعٌ وسِتُّونَ ضَرْبَةً ... ولَمْ يَكُ فَرَّارًا، بَلَىٰ كانَ مُقْدِمَا

٥٩ - لِهذا بِلا شَكٍّ قَضَىٰ نَحْبَهُ ولَمْ ... يُبَدِّلْ ولَمْ يَغْدُرْ ولَمْ يَغْشَ مَأْثَمَا

٦٠ - وذو النَّجْدَةِ النَّدْبُ الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّةِ الـ ... ـرَّسُولِ الحَوارِيُّ الكَمِيُّ المُسَوَّمَا

٦١ - وفارِسُ بَدْرٍ وهْوَ أوَّلُ عَبْدٍ انْـ ... ـتَضَىٰ فِي سَبِيلِ اللهِ أبْيَضَ مِخْذَمَا

٦٢ - حَوَىٰ أَلْفَ مَمْلوكٍ لَهُ يَسْتَغِلُّهُمْ ... ولا يَقْتَنِي مِمَّا اسْتَغَلُّوهُ دِرْهَمَا

---

(٥٦) زهرائه : السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام . وسبطيه : الحسن والحسين عليهما السلام . وأراد بإخائه قول النبى ﷺ لعلى كرم الله وجهه : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » [رواه البخارى - الفتح ، ك فضائل الصحابة ٧ / ٨٨ ، رقم ٣٧٠٦] . طمى البحر : فاض وارتفعت أمواجه .

(٥٧) طلحة الجود : طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين ، وهو الذى وقى رسول الله ﷺ يوم أحد بيده حتى شلت يده من السهام . وقد وصفه رجل صحبه فقال : « صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل ما له عن غير مسألة منه » [انظر : فتح البارى ، كتاب فضائل الصحابة ٧ / ١٠٣ : ١٠٤ ، الحديث رقم ٣٧٢٤ وتعليق ابن حجر عليه] .

(٥٨) روى البخارى أنه لمَّا فرَّ المسلمون يوم أحد لم يبق مع النبى ﷺ غير طلحة وسعد بن أبى وقاص [انظر : الموضع السابق ، حديث رقم ٣٧٢٢ ، ٣٧٢٣] وفى مسند الطيالسى عن أبى بكر الصديق قال : أتينا طلحة - يعنى يوم أحد - فوجدنا به بضعا وسبعين جراحة (أى جرحا) [نقله ابن حجر فى تعليقه على الحديث المذكور] ولعل الناسخ كتب (بضع وستون) سهواً ، والصواب أنها (وسبعون) ، أو أن الناظم نقل عن مصدر آخر .

(٥٩) قضى نحبه : مات .

(٦٠) الندب : البطل الذى يُنْدَب - أى يلجأ إليه - فى الشدائد . الحوارى : لقب الزبير بن العوام رضي الله عنه روى البخارى عن جابر رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « إن لكل نبى حواريًا ، وإن حوارىَّ الزبير بن العوام » [الفتح كتاب فضائل الصحابة ٧ / ٩٩ ، رقم ٣٧١٩] قال البخارى : وسمى الحواريون بذلك لبياض ثيابهم . وأورد ان حجر العسقلانى فى شرحه لأحاديث الباب عدة معان لكلمة حوارى منها : الخليل ، الصفى الخالص ، الوزير ، الخليفة ، الناصر . واختار ابن منظور أن الحوارى هو الخالص النقى من العيوب ، لأن معنى الحوارى فى اللغة راجع إلى البياض والنقاء ، وقد سمى أتباع سيدنا عيسى عليه السلام بالحواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب فيحورونها أى يبيضونها .

(٦١) فارس بدر : هو الزبير بن العوام أيضاً ، جاء فى السيرة أن جيش المسلمين فى غزوة بدر لم يكن فيه إلا فارسان : الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود . وكان الزبير صاحب الراية يوم بدر وليس على ميمنة الجيش فارس غيره والباقون بغير جياد [انظر السيرة الحلبية ٢ / ٢٠٥] انتضى السيف : أخرجه من غمده استعداداً للقتال . الأبيض المخذم : السيف .

٦٣ - وسَعْدٌ أميرُ الحَرْبِ مَنْ كَانَ جامعًا ... له أَبَوَيْهِ الطُّهْرُ أحْمَدُ إذْ رَمَىٰ

٦٤ - وباهَى بِهِ الأخْوالَ إذْ كَانَ خَالَهُ ... وثَالِثَ مَنْ وَافَىٰ إليْهِ فأسْلَمَا

٦٥ - وكَانَ مُجَابًا لا يُرَدُّ دُعاؤُهُ ... ويُبْدِى رِضًا مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ أعْظَمَا

٦٦ - وسَلْ عَنْ سَعِيدٍ وابْنِ عَوْفٍ وعَامِرٍ ... حِراءً، تَجِدْ سِرًّا عَظِيمًا مُكَرَّمَا

٦٧ - لَهُمْ شَهِدَ الهَادِى وللسَّبْعَةِ الأُلَىٰ ... مَضَىٰ ذِكْرُهُمْ بالجَنَّةِ اشْهَدْ لِتَسْلَمَا

٦٨ - وفِى كُلِّ أصْحَابِ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ... فَضَائِلُ لا تُحْصَىٰ بِذِكْرٍ فَتُنْظَمَا

٦٩ - فَوَيْلٌ لِمَنْ فِى قَلْبِهِ بُغْضُ بَعْضِهِمْ ... سَيُصْلَىٰ بِهِ يَوْمَ المَعَادِ جَهَنَّمَا

٧٠ - وأمَّا الرِّجَالُ الأرْبَعُونَ فَإِنَّهُمْ ... لأُمَّتِهِ ظِلٌّ أقَامَ مُخَيَّمَا

٧١ - إذَا مَاتَ مِنْهُمْ واحِدٌ قَامَ واحِدٌ ... إلَىٰ أنْ تُهَالَ الرَّاسِيَاتُ وتُرْكَمَا

٧٢ - عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ أزْكَىٰ تَحِيَّةٍ ... وصَلَّىٰ عَلَيْهِ ذو الجَلالِ وسَلَّمَا ٦٦/أ

٧٣ - وصَلَّى عَلَىٰ آلِ النَّبِىِّ وصَحْبِهِ ... ومَنْ بِهِمُ يَأْتَمُّ مَا عَارِضٌ هَمَىٰ

*****

---

(٦٣) سعد : هو ابن أبى وقاص . ألوة : قسم . وجاء فى هامش المخطوط (أ) : قال ﷺ : « سعد خالى ، فَلْيُرِنى أحدٌ خالَه ! » وقال له : « ارْمِ ، فداكَ أبى وأمى ! » . والحديث الثانى رواه البخارى فى عدة مواضع [انظر الفتح : كتاب المغازى ٧ / ٤١٥ ، الأحاديث رقم ٤٠٥٥ : ٤٠٥٩] .

(٦٤) باهَى : فاخر . وافى : أتى . روى البخارى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال : « ما أسلم أحدٌ إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام » . [الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ٧ / ١٠٤ ، رقم ٣٧٢٧] .

(٦٦) سعيد بن زيد بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وعامر بن الجراح ، وثلاثتهم من العشرة المبشرين . و (حراء) مفعول (سل) .

(٦٧) الألى : الذين .

(٧١) كذا جاء عجز البيت فى (جـ) ، وفى (أ) :

فَأَوْجَدَ مِنْ عَلْيَاهُ مَا كَانَ أعْدَمَا

والأنسب للسياق ما أثبته من (جـ) .

(٧٣) يأتمّ به : يتخذه إماما . عارض : سحاب . همى : نزل . وضمير الفاعل المستتر فى (يأتم) يعود على (واحد) فى البيت رقم (٧١) .

الميمية الخامسة

(عدتها ٧٠ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بوصف مشاعر ركب الحجيج وقد انتهى بهم السُّرَى إلى أرض الحمى، ثم تنتقل إلى مدح الحبيب النبى ﷺ وذكر شيء من صفاته وخصائصه وفضائله التى تعجز عنها العبارة، ولا يستطيع مادحه إلا أن يشير إليها مجرد إشارة؛ ولعل هذا سرّ تكرار الشاعر للفظ الإشارة (هذا) تسعًا وخمسين مرة، مشيراً إلى النبى ﷺ بالتعظيم والإجلال وشريف الخصائص والأوصاف.

وبعد استغراقه فى مدح النبى ﷺ المبدوء بلفظ (هذا) فى كل بيت، يثنى على وزيريه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، بإضمارهما فى الإشارة إلى الرسول ﷺ :

هذا الذى صحبُهُ مثل النجوم فمنْ يبغى النجاةَ غداً يأخذْ بهَدْيِهِم

ثم ينهى القصيدة بمناجاة سيدنا رسول الله ﷺ والاستجارة به من الخطوب الموجعة ومن شدائد الدنيا والآخرة، والتوسل به إلى الله عز وجل.

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- فى حمى الأرض المباركة.
- فى مدح سيد الخلق ﷺ وتعظيمه.
- ثناء على وزيريه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.
- مناجاة للنبى ﷺ وتوسل به إلى الله عز وجلّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أمطْ رِحَالَ السُّرَىٰ يا حَادِيَ النَّعَمِ ... عَنْهَا فَهٰذا مَقِيلُ الرَّوْحِ والنِّعَمِ

٢ - هَذا الحِمَىٰ العَطِرُ الأوْصافِ بالسِّيَرِ الـ ... ـجَمِيلَةِ الخُضُرِ الأكْنافِ بالكَرَمِ

٣ - هَذا حِمَىٰ طَيْبَةَ الرَّحْبُ الذِى عَكَفَتْ ... بِجَوِّهِ غُرَرُ العَلْيَاءِ والحِكَمِ

٤ - هَذا الجَنَابُ العَزِيزُ الجامِعُ الشَّرَفَ الـ ... ـسَّامِى بِتُرْبَةِ خَيْرِ العُرْبِ والعَجَمِ

٥ - قِفْ بِى هُدِيتَ عَلَىٰ أكْنافِ حُجْرَتِه ... حَتَّىٰ أقُولَ مَقالاً فِيهِ لَمْ أهِمِ

٦ - هَذا الحَبِيبُ الذِى فِى مَدْحِهِ شَرَفِى ... وذِكْرُهُ طَيِّبٌ فِى مِسْمَعِى وفَمِى

٧ - هَذا أبو القَاسِمِ المُخْتارُ مِنْ مُضَرٍ ... هَذا أجَلُّ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمِ

٨ - هَذا هُوَ الخَاتَمُ المَبْعوثُ أحْمَدُ ذو الـ ... ـصِّدْقِ المُبَرَّأُ مِنْ بُهْتانِ مُتَّهِمِ

٩ - هَذا الحَلِيمُ على الجَانِينَ ذُو الخُلُقِ الـ ... ـعَظِيمِ أقْسَمَ فِيهِ اللهُ بالقَلَمِ

١٠ - هَذا هو الحَاشِرُ المَحْبُوبُ والرَّؤُفُ الـ ... ـرَّحِيمُ بالمُؤْمِنِينَ الطَّاهِرُ الشِّيَمِ

١١ - هٰذا الَّذِى اُخْتُصِرَ المَعْنَىٰ البَلِيغُ لَهُ ... وأصْبَحَتْ طَوْعَهُ جَوامِعُ الكَلِمِ

١٢ - هٰذا هوَ المُنْذِرُ الأُمِّىُّ أفْصَحُ مَنْ ... بالضَّادِ يَنْطِقُ حاوِى سَائِرِ الحِكَمِ

١٣ - هٰذا السِّرَاجُ المُنِيرُ الشَّاهِدُ المُتَوَ ... ـكِّلُ المُبَشِّرُ ماحِى الظُّلْمِ والظُّلَمِ

١٤ - هٰذا الشَّفِيعُ المُرَجَّىٰ سَيِّدُ البَشَرِ الـ ... ـهادِى الأمِينُ المُقَفَّى أفْضَلُ النَّسَمِ

١٥ - هٰذا هوَ المُصْطَفَىٰ أزْكَىٰ الوَرَىٰ نَسَبًا ... هذا هُوَ العَاقِبُ المَدْعُوُّ بالقُثَمِ

١٦ - هٰذا الَّذِى أقْسَمَ اللهُ العَظِيمُ بِهِ ... فِى الحِجْرِ أعْظِمْ بِهٰذا الفَخْرِ مِنْ قَسَمِ

١٧ - هٰذا هُوَ الأبْلَجُ الضَّحَّاكُ يَبْذُلُ مَا ... تَحْوِى يَداهُ ويُبْدِى بِشْرَ مُبْتَسِمِ

١٨ - هٰذا الوَسِيمُ القَسِيمُ الغَمْرُ نائِلُهُ ... يُعطِى الجَزِيلَ بِلا مَنٍّ ولا سَأمِ

---

(١) أمط: اكشف وأزل عنها. الرحال: ما يوضع على ما يوضع على ظهر البعير. النَّعَم: الإبل. الروح: الراحة والسكون.

(٢) الأكناف: الجوانب.

(٣) عكفت: أقامت ودامت.

(٥) لم أهم: لم أتوهم.

(٨) البهتان: أشد الكذب.

(١٨) الوسيم: الجميل الوجه، ومثله القسيم. الغمر: الكثير. نائله: عطاؤه. الجزيل: العظيم.

١٩ ـ هَذا الَّذى عَنْ كُنوزِ الأرضِ عَفَّ تُقًى ... فَكَيْفَ يَرْغَبُ فى عَيْنٍ وفى نَعَمِ؟! ٦٦/ب

٢٠ ـ هٰذا الَّذى فى عُكاظٍ قامَ يَنْعَتُهُ ... قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ الرِّبِّىُّ لَمْ يَهِمِ

٢١ ـ هٰذا الَّذى خَمَدَتْ نيرانُ فَارِسَ فى ... مِيلادِهِ فَلَظَاها غَيْرُ مُضطَرِمِ

٢٢ ـ هٰذا الَّذى سَلَّمَتْ أيَّامَ مَبْعَثِهِ ... عَلَيْهِ جَهْرًا فُروعُ الضَّالِ والسَّلَمِ

٢٣ ـ هٰذا الَّذى زَلْزَلَ الإيوانَ مَوْلِدُهُ ... وانْصاعَ كِسْرَىٰ بِتاجٍ غَيْرِ مُنْتَظِمِ

٢٤ ـ هٰذا الَّذى خُصَّ بالقرآنِ فيهِ هُدًى ... لِلْمُتَّقِينَ وفيهِ البُرْءُ للسَّقَمِ

٢٥ ـ هٰذا الَّذى فَتَحَ الأبْصارَ بَعْدَ عَمًى ... بِبَعْثِهِ وشَفَىٰ الأسْماعَ مِنْ صَمَمِ

٢٦ ـ هٰذا الَّذى نَزَّهَ الرَّحْمٰنَ عَنْ وَلَدٍ ... وعَنْ مُشارَكَةِ الشَّيْطانِ والصَّنَمِ

٢٧ ـ هٰذا الَّذى أظْهَرَ التَّقْوَى وقَدْ خَفِيَتْ ... وأوْجَدَ العِلْمَ بَعْدَ الجَهْلِ والعَدَمِ

٢٨ ـ هٰذا الَّذى صَدْرُهُ بالشَّرْحِ خُصَّ فَما ... فيهِ نَصِيبٌ ولا حَظٌّ لِذى لَمَمِ

٢٩ ـ هٰذا الَّذى انْشَقَّ إكْرامًا لَهُ القَمَرُ الـ ... ـمُنِيرُ ما بَيْنَ طَوْدَىْ دارَةِ الحَرَمِ

٣٠ ـ هٰذا الَّذى نَالَ بالمِعْراجِ مَرْتَبَةً ... عُلْيَا يُقَصِّرُ عَنْها أسْبَقُ الهِمَمِ

٣١ ـ هٰذا الَّذى كَانَ طُولَ اللَّيْلِ إنْ رَقَدَتْ ... عَيْناهُ فالقَلْبُ مِنْهُ قَطُّ لَمْ يَنَمِ

٣٢ ـ هٰذا الَّذى لا يَصِحُّ الفَرْضُ مِنْ أحَدٍ ... ولا الأذَانُ بِلا ذِكْرِ اسْمِهِ العَلَمِ

٣٣ ـ هٰذا الَّذى سَبَّحَتْ للهِ فى يَدِهِ ... صُمُّ الحِجارَةِ تَسْبِيحَ الرِّضَا الفَهِمِ

٣٤ ـ هٰذا الَّذى سَحَّ مَاءٌ مِنْ أصابِعِهِ ... رَوَّى صَدَىٰ الجَيْشِ بالمُسْتَعْذَبِ الشَّبِمِ

---

(١٩) عَين: ذهب. نَعَم: إبل وبقر وغنم. وبعد هذا البيت تكرر البيتان رقم (١٦، ١٧) سهواً من الناسخ.

(٢٠) ينعته: يصفه. الرِّبى: العالم بالله عز وجل. وتقدم ذكر خبر قس بن ساعدة.

(٢١) لظاها: جمرها. مضطرم: متقد.

(٢٢) الضال والسلم: من الأشجار.

(٢٣) انصاع: سقط ملكه، وسبق ذكر ذلك.

(٢٤) البرء: الشفاء. السقم: المرض.

(٢٨) اللمم: مس الشياطين.

(٢٩) الطود: الجبل. دارة الحرم: مكة المكرمة.

(٣٣) الرضا هنا بمعنى المَرْضِىّ، فهو من باب الوصف بالمصدر.

(٣٤) سحّ: نزل. الشبم: البارد.

٣٥ - هٰذا الَّذى أَشْبَعَ الجَمَّ الغَفِيرَ مِنَ الـ ... ـزَّادِ الذى كَانَ نَزْرًا أُكْلَةَ النَّهِمِ

٣٦ - هٰذا الَّذى مَدَّ كَفًّا عَمَّ نَائِلُهُ ... يَبْغِى الحَيَا فَهَمَىٰ مُشْعَنْجِرُ الدِّيَمِ

٣٧ - هٰذا الَّذى حَنَّ جِذْعٌ حِينَ فَارَقَهُ ... شَوْقًا إِلَيْهِ حَنِينَ الأَيْنُقِ الرُّزُمِ

٣٨ - هٰذا الَّذى كَانَ مَنْصُورًا بِرِيحِ صَبًا ... ورُعْبِ شَهْرٍ لِقَلْبِ الخَصْمِ مُقْتَحِمِ ١/٦٧

٣٩ - هٰذا الَّذى شَهِدَ الأَمْلاكُ رَايَتَهُ ... بِكُلِّ عَضْبٍ لِحَرْبِ الشِّرْكِ مُصْطَلِمِ

٤٠ - هٰذا الَّذى فِى حُنَيْنٍ كَفَّ أَعْيُنَهُمْ ... بِمِلءِ كَفٍّ تُرَابًا ثُمَّ لَمْ يَرِمِ

٤١ - هٰذا الَّذى نَظَمَتْ فِى حَبْلِ مَنْصِبِهِ ... يَدُ المَوَاهِبِ عِقْدًا غَيْرَ مُنْفَصِمِ

٤٢ - هٰذا الَّذى فَضَلَتْ فِى الفَخْرِ أُمَّتُهُ ... بِهِ القُرُونَ وفَاقَتْ سَائِرَ الأُمَمِ

٤٣ - هٰذا الطَّرِىُّ فَلا يَبْلَىٰ لَهُ جَسَدٌ ... وإِنْ تَطاوَلَ مِنْهُ المُكْثُ فِى الرَّجَمِ

٤٤ - هٰذا الَّذى عِنْدَهُ الأَمْلاكُ عَاكِفَةً ... سَبْعُونَ أَلْفًا عَدِيدًا غَيْرَ مُنْخَرِمِ

٤٥ - هٰذا الَّذى تَنْتَهِى أَعْمَالُ أُمَّتِهِ ... إِلَيْهِ كُلَّ خَمِيسٍ رَأْفَةً بِهِمِ

٤٦ - هٰذا الَّذى خَبَّرَ المُهْدِى الصَّلاةَ لَهُ ... بِالعَشْرِ مِنْ صَلَواتِ الوَاحِدِ الحَكَمِ

٤٧ - هٰذا الَّذى مَنْ رَآهُ فِى المَنَامِ رَأَىٰ ... حَقًّا مَصُونًا مِنَ الشَّيْطانِ فِى الحُلُمِ

٤٨ - هٰذا الَّذى قَبْلَ كُلِّ النَّاسِ يَخْرُجُ مِنْ ... ضَرِيحِهِ عِنْدَ بَعْثِ اللهِ لِلرِّمَمِ

---

(٣٥) الجم الغفير: العدد الكبير. النهم: الشَّرِهُ فى الأكل.

(٣٦) نائله: عطاؤه. همى: نزل بغزارة. المثعنجر: الدفَّاق. الديم: جمع ديمة وهى السحابة.

(٣٧) الأينق: جمع ناقة. الرُّزُم: من أرزمت الناقة، أى حنَّت بصوت يخرج من حلقها دون أن تفتح فمها.

(٣٩) عضب: سيف قاطع. مصطلم: مُستأصل.

(٤٠) لم يرم: لم يفارق مكانه بل ثبت حين فَر الفرسان من حوله.

(٤١) منفصم: منقطع.

(٤٣) الرجم: القبر. ومن خصائص الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أن أجسادهم لا تبلى، قال ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» [رواه أبو داود، كتاب الصلاة ٢ / ٨٨].

(٤٤) عاكفة: مقيمة. منخرم: ناقص.

(٤٦) قال ﷺ: «من صلَّى علىَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً» [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ٤ / ١٢٨].

(٤٨) الرمم: الأجساد البالية، قال ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض» [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ١٥ / ٢٧].

٤٩ - هٰذا الَّذِى حَوْضُهُ يَرْوِى العِطاشَ إذا اشْـ ... ـتَدَّ الحَرُورُ وحَامُوا حَوْمَةَ النَّعَمِ

٥٠ - هٰذا الَّذِى فَوْقَ أهْلِ القُرْبِ مَنْزِلُهُ ... وسِيلَةً كَمْ بِهَا للهِ مِنْ نِعَمِ

٥١ - هٰذا الَّذِى صَحْبُهُ مِثْلُ النُّجومِ فَمَنْ ... يَبْغِى النَّجاةَ غَداً يأخُذْ بِهَدْيِهِمِ

٥٢ - هٰذا أبو بَكْرٍ الأتْقَى مُجَاوِرُهُ ... صِدِّيقُهُ إذْ رَماهُ النَّاسُ بالتُّهَمِ

٥٣ - هٰذا الوَزِيرُ الَّذِى فى الغَارِ آنَسَهُ ... هٰذا خَلِيفَتُهُ القَوَّامُ بالذِّمَمِ

٥٤ - هٰذا الَّذِى أنْفَقَ الأمْوالَ مُحْتَسِبًا ... وبَتَّ عِتْقَ بِلالٍ أفْضَلِ الحَشَمِ

٥٥ - هٰذا الَّذِى خَصَّهُ بالبِكْرِ عَائِشَةَ الـ ... ـطُّهُورِ صِدِّيقَةً فَاقَتْ عَلَى العُصُمِ

٥٦ - هٰذا الَّذِى عَزَّ حِزْبُ المُسْلِمِينَ بِهِ ... وذَلَّ حِزْبُ الأعَادِى ذُلَّ مُنْحَطِمِ

٥٧ - هٰذا الرِّضَا عُمَرُ الفارُوقُ جارُهُما ... فى هٰذِهِ التُّرْبَةِ المَحْرُوسَةِ الأُطُمِ

٥٨ - هٰذا الَّذِى وافَقَ التَّنْزِيلُ مَنْطِقَهُ ... وأمَّ فى العَدْلِ نَهْجًا واضِحَ اللَّقَمِ

٥٩ - هُما وَزِيراهُ حَيًّا ثُمَّ إنَّهُما ... جَاراهُ مَنْ شَكَّ فى هٰذا فذَاكَ عَمِ ٦٧/ب

٦٠ - ويُبْعَثانِ إلَى دارِ الرِّضَا مَعَهُ ... أعْظِمْ بِذٰلِكَ مِنْ فَضْلٍ ومِنْ كَرَمِ

٦١ - يا سَيِّدِى يا رَسُولَ اللهِ يا سَنَدِى ... فى كُلِّ خَطْبٍ ثَقِيلٍ مُوجِعِ الأَلَمِ

٦٢ - يا مَنْ إذا فَرَّ مَطْلُوبٌ أخُو رَهَبٍ ... إلَيْهِ مِنْ فَاقِرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ يُضَمِ

٦٣ - يا مَنْ إذا قَطَعَ المَرْءُ السَّبَاسِبَ فى ... هَوَاهُ واقْتَحَمَ الأهْوالَ لَمْ يُلَمِ

٦٤ - أنا المُقِرُّ بِذَنْبِى قَدْ أتَيْتُكَ مَنْ ... يَسْتَوْهِبُ اللهَ لِى ذَنْبِى ومُجْتَرَمِى

---

(٤٩) الحرور: شدة الحر. وقوله: وحاموا حومة النعم، كناية عن شدة الظمأ.

(٥٣) أصل الوزير فى اللغة: المعين والمؤيد. الذمم: العهود.

(٥٤) بتّ: قطع. الحشم: الأتباع والأعوان، يعنى بهم أتباع رسول الله ﷺ. وسيدنا أبو بكر هو الذى أعتق سيدنا بلالاً رضى الله عنهما.

(٥٥) العصم: النساء البيض.

(٥٦) حزب: جماعة. منحطم: مكسور مهزوم.

(٥٧) الأطم: الأبنية المرتفعة.

(٥٨) أم: قصد. اللقم: وسط الطريق، وأراد به السيرة الحسنة.

(٥٩) عم: صفة مشبهة من العَمى، للمبالغة فى وصفه بضعف الإدراك.

(٦٢) فاقرات: مصائب. لم يُضَم: لم يظلم.

(٦٣) السباسب: الصحارى المقفرة.

(٦٤) مجترم: جرم، وهو الذنب الكبير.

٦٥ - فاسْتَغْفِرِ اللهَ لِى يا مَنْ إذَا نَزَلَتْ ... بِى شِدَّةٌ فَبِهِ أنْجُو منَ النِّقَمِ

٦٦ - أنا المُفَرَّطُ فى أمْرِى فَكُنْ فَرَطًا ... لِى عِنْدَ حَوْضِكَ يَوْمَ الرَّوْعِ والنَّدَمِ

٦٧ - فاقْبَلْ تَضَرُّعَ عَبْدٍ واثِقٍ بِكَ فى ... دَفْعِ الصُّروفِ العَوادِى عِنْدَ مُعْتَصَمِ

٦٨ - واسْألْ لأَهْلِى وأوْلادِى وذِى سَبَبٍ ... بِهِ بَلَغْتُ، وإخوانِى وذِى رَحِمِى

٦٩ - أمْنًا وصَوْنًا وإيمانًا وعَافِيَةً ... مِنْ كُلِّ سُوءٍ وبُشْرَىٰ عِنْدَ مُخْتَتَمِ

٧٠ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ إلٰهُ العَرْشِ ما بَقِيَتْ ... دَارُ النَّعِيمِ بَقَاءً غَيْرَ مُنْصَرِمِ

*****

---

(٦٦) الفرط: المتقدم السابق إليه كالمهيئ له. الروع: الفزع. قال النبى ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ ١٥/٥٣].

(٦٧) الصروف: التقلبات والشدائد. العوادى: الحوادث التى تعدو على الإنسان فتؤذيه وترهقه. معتصم: مصدر ميمى من اعتصام، أى عند اعتصامى بك ولجوئى إليك.

(٦٨) قوله: وذى سبب به بلغت: أى من كان سببا فى وصولى إلى الديار المباركة.

(٧٠) غير منصرم: ليس له نهاية.

قافية النون

(عدتها ٥٨٧ ـ الكامل الثانى)

نظم الصرصرى على هذا الروىّ السائغ السلس قصيدة واحدة بالغة الطول تتكون من (٥٨٧) سبعة وثمانين وخمسمائة بيت، وهى واحدة من أطول القصائد فى الشعر العربى كله.

وقد أطلق الصرصرى على هذه القصيدة الملحمية اسم « الروضة الناضرة فى أخلاق المصطفى الباهرة »، وهى حقًّا كذلك، فهى تبدأ بتسبيح الله عز وجل وحمده وتكبيره وشكره على هداية عباده إلى الصواب والحق، ومن ثم يأخذ فى مدحه ﷺ قائلاً :

حَبَّرْتُ فِيهِ قَصِيدَةً أَوْدَعْتُهَا ... مِنْ مُسْنَدِ الأَخْبَارِ حُسْنَ مَعَانِى

فى وصْفِهِ مِنْ بَدْءِ تَشْرِيفَاتِهِ ... حَتَّى الخِتَامِ بِحُسْنِ نَظْمِ مَعَانِى ٦٨/ب

وهكذا تشمل القصيدة مجمل السيرة النبوية منذ بدء الخليقة حين كان اسم النبى ﷺ مكتوبًا على العرش وعلى أغصان الجنة وقبابها ومصاريع قصورها، ثم تجلياته فى دعوة آدم عليه السلام، وكيف كان آدم ـ عليه السلام ـ طينة ومحمد ﷺ نبيًّا، وكيف لاحت أنوار محمد ﷺ على جبين أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، وحلوله بصلب شيث بن آدم الذى ولد منفردًا، ثم حلوله بصلب نوح فى الطوفان، وبصلب إبراهيم حين ألقى به فى النار، وتنقله ﷺ من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة.

وتسرد القصيدة الملحمية تفاصيل كثيرة من السيرة العطرة، فتذكر الأحداث التى شهدتها كل مرحلة من مراحل حياة النبى الكريم ﷺ، طفلاً ويافعًا وشابًّا ورجلاً، وما رافق هذه المراحل من معجزات باهرة، وما بذله فى سبيل إبلاغ الرسالة من جهاد، وما منَّ الله عز وجلَّ عليه به من منن وتشريفات، ومن نصر وتأييد بالرجال المخلصين الأتقياء من صحابته رضوان الله عليهم، ومن الملائكة، ومن سائر جنود الله ما علمنا منها وما لم نعلم.

وتصف القصيدة عناء النبى الكريم ﷺ وجهاده فى إبلاغ دعوة الحق، وما واجه من عناد ومكابرة أهل الشرك وعداوة اليهود والمنافقين، على الرغم مِمَّا رأته عيونهم من معجزات باهرة يذكر جملة منها، ويعدد جملة من خصائصه التى اختص بها ﷺ وطيب شمائله وسماحة أخلاقه ورحمته بالناس، وتواضعه، وكرمه، ووفائه وصدقه وشجاعته وبلاغته، وزهده وصبره وتقواه، ورفعة منزلته عند الله فى الدنيا والآخرة.

وتختم القصيدة بالثناء على صحابته الكرام وأهله الأطهار وأزواجه وولدانه عليهم من الله السلام، ويستميحه العذر فى تخلفه عن الحج، ويبثه شكواه من زمن كثير الفتن قليل الأرزاق، ويتوسل إلى الله عز وجل أن يوفق باطنه إلى الرضا فى السر والعلن، وما أطيبه من دعاء، فإنما تصلح الظواهر إذا صلحت البواطن وخلصت من شوائب الضعف والعجز والتعلق بما هو زائل عارض.

تضمنت هذه القصيدة الملحمية العناصر الآتية :

- فى تسبيح الله وتمجيده.
- فى مدحه ﷺ من بدء تشريفاته إلى ختام حياته الشريفة.
- فى الثناء على آله وصحابته الكرام.
- شكوى واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ، وسماها : الروضة الناضرة فى أخلاق المصطفى الباهرة (*) :

١ - سُبْحانَ ذى الجَبَروتِ والبُرْهانِ ... والعِزِّ والمَلَكُوتِ والسُّلْطانِ

٢ - والحَمْدُ للهِ الكَريمِ الخالقِ الـ ... ـرَّزاقِ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإنْسانِ

٣ - واللهُ أكْبَرُ لا إلٰهَ سِواهُ لى ... سُبْحانَهُ هُوَ للصَّوابِ هَدانى

٤ - أصْبَحْتُ أُنْظِمُ مَدْحَ أكْرَمِ مُرْسَلٍ ... لَهِجًا بِهِ فى رائِقِ الأوْزانِ

٥ - وتَخَذْتُهُ لِىَ جُنَّةً ومَعونَةً ... فيما أرُومُ فَصانَنى وكَفانى

٦ - حَبَّرْتُ فيهِ قَصيدَةً أوْدَعْتُها ... مِنْ مُسْنَدِ الأخْبارِ حُسْنَ مَعانى

٧ - فى وصْفِهِ مِنْ بَدْءِ تشْريفاتِهِ ... حتَّى الخِتامِ بِحُسْنِ نَظْمِ مَعانى ٦٨/ب

٨ - ولَمَدْحُهُ أوْلَىٰ وأجْدَرُ أنْ يُرَىٰ ... فيهِ الصَّوابُ وأنْ يُعَانَ مُعَانى

٩ - لَمَّا بَنَىٰ اللهُ السَّمٰواتِ العُلَىٰ ... سَبْعًا تَعالَىٰ اللهُ أكْرَمُ بانى

١٠ - فَسَمَتْ وزانَتْها بِحِكْمَةِ صُنْعِهِ ... زُهْرُ النُّجومِ وزانَها القَمَرانِ

١١ - والأرْضَ سَبْعًا مَدَّها فَتَذَلَّلَتْ ... وتَزَيَّنَتْ بِبَدائِعِ الألْوانِ

١٢ - ورَسَتْ عَلَيْها الشَّامِخاتُ بِإذْنِهِ ... فَحَمَتْ جَوانِبَها مِنَ المَيَدانِ

١٣ - وأتَمَّ خَلْقَ العَرْشِ خَلْقًا باهِرًا ... فَغَدا مِنَ الإجْلالِ ذا رَجَفانِ

(*) كتب على هامش (أ) بجوار العنوان: شرح هذه المنظومة البديعة خاتمةُ المحققين: الشيخ محمد بن أحمد السفارينى الحنبلى بشرح نفيس وسع فيه العبارة فاشتمل على غالب السيرة النبوية. والشيخ السفارينى: فقيه حنبلى، ينسب إلى سفارين من قرى نابلس، ولد سنة ١١١٤ هـ. وله مؤلفات كثيرة منها الشرح الذى أشار إليه الناسخ لنونية الصرصرى وعنوانه «معارج الأنوار فى سيرة النبى المختار» فى مجلدين ولم أقف عليه. توفى السفارينى سنة ١١٨٨ هـ[انظر: مقدمة غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفارينى ص ٥ - ٧].

(٤) لهجًا به: أكثر من ذكره والثناء عليه.

(٥) تخذته: اتخذته. جُنة: وقاية. (٦) حبرت: أحسنت النظم.

(٧) من الواضح أن كلمة (معانى) فى قافية البيت تكرار لقافية البيت السابق وهما بمعنى واحد، ففى البيت عيب من عيوب القوافى يسمى الإيطاء.

(٨) اللام فى (لمدحه) للتوكيد. مُعانى: من المعاناة.

(١٠) سمت: عَلَتْ، والسماء مشتقة من السُّمُوّ. زُهر: لامعات. القمران: الشمس والقمر.

(١١) تذللت: أصبحت مذللة مهيأة لسعى العباد.

(١٢) رست: ثبتت. الشامخات: الجبال العالية. المَيَدان: مصدر ماد يميد، أى الاضطراب واختلال الحركة. (١٣) رجفان: رجفة واضطراب شديد.

١٤ - كَتَبَ الإلٰهُ اسْمَ النَّبىِّ مُحَمَّدٍ ... فَوْقَ القَوائِمِ مِنْهُ والأرْكانِ

١٥ - فسَرَىٰ السُّكونُ بِهِ، وقَدْ كَتَبَ اسْمَهُ ... فِى جَنَّةِ المأْوَىٰ علىٰ الأغْصانِ

١٦ - وقِبابِها وخِيامِها وعَلىٰ مَصا ... رِيعِ القُصُورِ تَفَضُّلَ المَنَّانِ

١٧ - فلِذاكَ آدمُ حينَ تابَ دَعا بِهِ ... مُتَوَسِّلاً فَأُجِيبَ بالغُفْرانِ

١٨ - لَوْلاهُ لَمْ يُخْلَقْ أبُونا آدمٌ ... وجَحِيمُ نارٍ أوْ نَعِيمُ جِنانِ

١٩ - قَدْ كانَ آدمُ طِينةً ومُحَمَّدٌ ... يُدْعَىٰ نَبِيًّا عِنْدَ ذى الإحْسانِ

٢٠ - مِنْ طِينَةٍ بَيْضاءَ طِينَةِ أحْمَدٍ ... مِنْ تُرْبَةٍ أضْحَتْ أعَزَّ مَكانِ

٢١ - عُجِنَتْ مِنَ التَّسْنِيمِ بالمَاءِ الَّذِى ... زادَتْ بِهِ شَرَفًا عَلَىٰ الأبْدانِ

٢٢ - غُمِسَتْ بأنْهارِ النَّعِيمِ فَطُهِّرَتْ ... وتَعَطَّرَتْ وسَمَتْ عَلىٰ الأكْوانِ

٢٣ - وغَدَتْ يُطافُ بِها السَّمٰواتُ العُلىٰ ... والأرْضُ تَشْرِيفًا مِنَ الرَّحْمٰنِ

٢٤ - أنْوارُهُ كانَتْ بِجَبْهَةِ آدمٍ ... لا تَخْتَفِى عَمَّنْ لَهُ عَيْنانِ

٢٥ وبِجَبْهَةِ الزَّهْراءِ حَوَّا أشْرَقَتْ ... لِلْحَمْلِ بالمَبْعُوثِ بالفُرْقانِ

٢٦ - ومِنَ الكَرامَةِ لِلْمُشَفَّعِ أنَّها ... فِى كُلِّ بَطْنٍ جاءَها وَلَدانِ

٢٧ - وأتَتْ بِشِيثٍ وَحْدَهُ مُتَفَرِّدًا ... لِيَبِينَ فَضْلُ الواضِحِ البُرْهانِ

٢٨ - وبِصُلْبِ آدَمَ كانَ وَقْتَ هُبُوطِهِ ... وبِصُلْبِ نُوحٍ وهْوَ فى الطُّوفانِ ٦٨/ب

٢٩ - وبِصُلْبِ إبراهِيمَ حِينَ رُمِىَ بِهِ ... فى نارِهِ أشْقَىٰ بَنِى كَنْعانِ

٣٠ - وعَلىٰ سِفاحٍ ما الْتَقَىٰ يَوْمًا مِنَ الـ ... أيَّامِ مِنْ آبائِهِ أبَوانِ

٣١ - مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طاهِرٍ أفْضَىٰ إلَىٰ ... أحْشاءِ طاهِرَةِ الإزارِ حَصانِ

---

(١٦) المصاريع: جمع مصراع، وهو الباب. المنَّان: اسم من أسماء الله عز وجل، ويعنى: صاحب المنن أى العطايا الجمة.

(٢١) التنسيم: ماء أنهار الجنة.

(٢٧) شيث: ابن آدم وحواء عليهما السلام، وقد ولد منفرداً خلافًا لبقية أبنائهما، ونبينا عليه الصلاة والسلام من ولد شيث.

(٢٩) أشقى بنى كنعان: نمروذ. وكثير من خصائص سيدنا محمد ﷺ المذكورة فى هذه القصيدة سبق ذكرها فى قصائد سابقة، كما سبق التعليق عليها فى الحواشى.

(٣١) صلب: كناية عن الرجل. أحشاء: كناية عن المرأة. الإزار: الثوب، وطهارة الثوب كناية عن العفاف. حصان: عفيفة.

٣٢ - أُخِـذَتْ مِنَ الرُّسُلِ الكِرامِ لِنَصْـرِهِ ... إنْ أدْرَكُـوهُ مَـواثِقُ الأيْمَـانِ

٣٣ - وكَذاكَ فى الكُتُبِ القَديمَةِ وَصْفُهُ ... يُتْلَىٰ عَلىٰ الأحْبـارِ والرُّهْبَـانِ

٣٤ - عَيْناهُ فيـها حُمْـرَةٌ، مُتَقَلِّدٌ ... بالسَّـيْفِ لا يَرْتاعُ لِلأقْـرانِ

٣٥ - يَعْفُـو ويَصْفَحُ لا يُجازِى مَنْ أتَىٰ ... بإسَـاءَةٍ، نَاءٍ عَنِ العُـدْوانِ

٣٦ - لا بالغَليظِ الفَظِّ والسَّخَّابِ فى الْـ ... أسْـواقِ إذْ يَتَشاجَرُ الخَصْمانِ

٣٧ - حِـرْزٌ لأُمِّيِّـينَ مِنْ مَسْخٍ ومِنْ ... خَسْفٍ ومِنْ حَصْبٍ ومِنْ طُوفانِ

٣٨ - لا يَنْتَهِى حَتَّىٰ يُقِيمَ المِلَّةَ الْـ ... عَوجاءَ بالتَّوْحِيدِ والتِّبْيانِ

٣٩ - يَشْفِى القُلوبَ الغُلْفَ والآذانَ مِنْ ... صَمَمٍ ويَفْتَحُ أعْيُنَ العُمْيانِ

٤٠ - وأتَتْ إليـه فأسْلَمَتْ وحَلَتْ لَهَا ... فَتَبَوَّأتْ للرُّشْدِ دارَ أمَانِ

٤١ - ولأرْبَعٍ مِنْ عُمْرِهِ لَمَّا غَدَا ... مَعَ صِبْيَةٍ أتْرابِهِ الرُّعْيَانِ

٤٢ - شَرَحَ المَلائِكُ صَدْرَهُ واسْتَخْرَجُوا ... مِنْهُ نَصِيبَ الدَّاحِضِ الشَّيْطانِ

٤٣ - ولَقَدْ تَطَهَّرَ بَعْدَ عَشْرِ صَدْرُهُ ... مِنْ كُلِّ مـا غِلٌّ بِشَرْحٍ ثانِى

---

(٣٢) مواثق: عهود، جمع ميثاق. (٣٤) جاء فى صفة النبى ﷺ أنه كان أشكل العينين، قال القاضى عياض إن الشكلة حمرة فى بياض العينين، وهو محمود [الشفا ١ / ٥٩]. وفى دلائل البيهقى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: كان رسول الله ﷺ مشرب العينين بحمرة [الدلائل ١ / ٢١٣]. لا يرتاع: لا يخاف.

(٣٥) ناءٍ: بعيد. (٣٦) الفظ: الغليظ القلب. السخّاب: الذى يكثر من المنازعة والجدال.

(٣٧) المسخ: تشويه الصورة إلى صورة أدنى منها، كما مسخ الله من بنى إسرائيل جماعة فأصبحوا قردة. والخسف: ابتلاع الأرض لما فوقها. والحصب: الرمى بالحجارة من السماء، كما صنع الله بأصحاب الفيل. والطوفان: إغراق الأرض كما فعل الله بقوم نوح. وقد عفى عن أمة محمد ﷺ فلم يسلط الله عليها شيئا من هذا.

(٣٨) الملة: الدين. العوجاء: غير المستقيمة، وأراد بها: كل ما خالف الدين الحق.

(٣٩) الغلف: الصمّاء التى لا تستجيب للحق.

(٤٠) فى (جـ) اختلف الترتيب اختلافا كبيرا، فكان البيت رقم (٤٠) هكذا:

فى مَجْمَعِ الكَتِفَيْنِ مِنْهُ شَامَةٌ ... هِىَ لِلنُّبُوَّةِ فيـه كالعُنوانِ

ثم استمر سرد علامات النبوة إلى قوله:

وأتَى إليـه هديـةً مِن ربِّه ... مِن جَنَّةِ الفِـردوسِ قِطْفٌ دانِى

وهو البيت رقم (٣٥١) فى النسخة (أ)، وقد التزمت ترتيب النسخة (أ).

(٤١) الرعيان: الرُّعاة. (٤٢) الداحض: الهالك.

(٤٣) من كل ما غل: ما زائدة للتوكيد، والغل: الحقد والكراهية. والشرح الثانى: شرح صدر النبى ﷺ مرة أخرى فى العاشرة من عمره الشريف.

٤٤ - مـــلأوهُ إيمـــانًا وحِلْمًـــا وافِـــرًا ... وسَكِـينَـةً مَعَ رأفَـــــةٍ وَحَنـانِ

٤٥ - ووقَـتْـهُ مِنْ لَفْحِ الهَـجِـيـرِ غَـمـامَـةٌ ... وهُوَ ابنُ خَـمْسٍ أجْـمَلُ الغِلْمـانِ

٤٦ - يَغْـدو كَـحِـيـلاً داهِنًا وقَـرِينُهُ ... شُـعْثُ الغَـدائِرِ أرْمَصُ الأجْـفـانِ

٤٧ - ومَـضَتْ لِستٍّ أمُّـهُ وتَكَفَّلَ الـ ... ـجَـدُّ الشَّـفِـيقُ بِهِ بِحُـسْنِ حَنَانِ

٤٨ - وأتَىٰ بِهِ وهُوَ ابنُ ستٍّ جَـدَّهُ ... وقَـدْ اشْـتَكَى رَمَـدًا إلى ديرانى

٤٩ - فـأبَىٰ النُّزولَ فَـزُلْزِلَتْ جُـدْرانُهُ ... فـارْتاعَ عِنْدَ تَزَلْزُلِ الجُـدْرانِ ٦٩/أ

٥٠ - فـانْحَطَّ حِـينَئِـذٍ فـأخْـبَـرَ جَـدَّهُ ... بِنُـبُـوَّةِ الوَلَدِ العَظِيمِ الشَّـانِ

٥١ - وبِجَـدِّهِ اسْـتَـسْـقَىٰ الغَـمـائِمَ جَـدُّهُ ... فـتَـدَرَّرَتْ بالوابِلِ الهَـتَّـانِ

٥٢ - ولَقَـدْ تَرَحَّلَ جَـدُّهُ لِهَنَائِهِ ... سَـيْفِ بنِ ذى يَزَنٍ إلى عَـمـدانِ

٥٣ - فَـحَـبَـاهُ سَـيْفٌ عِنْدَها بِبِـشـارَةٍ ... تَعْلُو الهَنَاءَ بِمَـقْـتَـلِ السُّـودانِ

٥٤ - أفْـضَىٰ إلَيْـهِ بِسِـرِّهِ فى أحْـمَـدَ الـ ... ـهادِى البَـشِـيـرِ وكـانَ ذَا خُـبْـرانِ

٥٥ - وتَكَفَّلَ العَـمُّ الشَّـفِـيقُ بأمْـرِهِ ... لَمَّـا غَـدَا مُـسْـتَكْمِلاً لِثَـمَـانِ

٥٦ - ورأىٰ عَظِيمَ الخَـيْـرِ مِنْ بَرَكـاتِهِ ... هُوَ والعِـيَـالُ إذا أتَوْا بِخِـوانِ

---

(٤٥) لفح الهجير: شدة حرارته.

(٤٦) داهنا: مرجّل الشعر. شعث: جمع أشعث، وهو ذو الشعر غير المنسّق. أرمص: فى عيونهم رمَص، وهو البياض الذى يجتمع فى زوايا الأجفان.

(٤٧) مضت لست أمه: أى ماتت وهو فى سن السادسة. الشفيق: العطوف المشفق.

(٤٨) ديرانى: راهب يعيش فى الدير.

(٤٩) ارتاع: فزع، وهو الراهب الذى أبى أن ينزل من الدير فزلزلت جدران الدير.

(٥٠) انحطّ: نزل مسرعا.

(٥١) جده (الأولى): حظّه وسعده. والجد الثانية: عبد المطلب بن هاشم جد النبى ﷺ. تدرّرت: نزل المطر منها بغزارة. الوابل: المطر الغزير، ومثله الهتّان.

(٥٢) لهنائه: كذا فى الأصل، ولم أعثر عليه فى كتب اللغة. وعمدان: قصر سيف بن ذى يزن.

(٥٣) حباه: أعطاه. يشير فى هذا البيت إلى فتنة الزنج بمكة حين اقتلعوا الحجر الأسود ورموا الكعبة بالمنجنيق والمراد بالسودان من كان لهم لون أسود. يقول: إن سيف بن ذى زين بشر عبد المطلب بن هاشم بولادة نبى نسله، وأن هذه البشارة تسرّ سيفا أكثر من سروره بانتصاره على السودان أى الأحباش الذين أرادوا هدم الكعبة.

(٥٤) أفضى إليه: أخبره. ذا خبران: صاحب خبرة وتجربة، ولم أجد (فُعْلان) فى أبنية مصادر هذه المادة.

(٥٦) الخوان: مائدة الطعام، يقول إن عم النبى ﷺ كان يرى البركة فى الطعام إذا كان محمد ﷺ يأكل معهم.

٥٧ - إنْ كانَ فيهِمْ فالكَفافُ وفَضْلَةٌ ... ومَتَىْ يَغِبْ فالزَّادُ أسْرعُ فَانِ

٥٨ - وشَكَا إليْهِ عَمُّهُ ظَمأً بِهِ ... فى مَوْضِعٍ خَالٍ مِنَ الغُدْرانِ

٥٩ - فَسَقاهُ إذْ رَكَضَ التُّرابَ بِرِجْلِه ... ماءً يُرَوِّى غُلَّةَ الظَّمْآنِ

٦٠ - ومَضَىْ بِهِ نَحْوَ الشَّآمِ مُسَافِرًا ... وهْوَ ابنُ عَشْرٍ بَعْدَها ثِنْتانِ

٦١ - فرأىٰ بَحِيرَاءُ الغَمامَ يُظِلُّهُ ... فى الحَرِّ عِنْدَ تَوَقُّدِ الصَّوَّانِ

٦٢ - ورأىٰ الظِّلالَ تَمِيلُ أنَّىٰ مَالَ مِنْ ... شَجَرٍ هُناكَ ظَلِيلَةِ الأفْنانِ

٦٣ - وجَرَىٰ لَهُ فِى بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... نَبَأٌ يَسُرُّ فُؤادَ ذِى إيقانِ

٦٤ - إذْ كانَ سَافَرَ مَعْ زُبَيْرٍ عَمِّهِ ... فرأىٰ بَعِيرًا صائِلاً بِحُثَانِ

٦٥ - فَمَضَىٰ إلَيْهِ فحينَ عَايَنَ عِزَّهُ ... أهْوَىٰ ذَلِيلاً ضَارِبًا لِجِرَانِ

٦٦ - فَعَلاهُ مُمْتَطِيًا فأذْعَنَ بَعْدَمَا ... قَدْ كَانَ غَيْرَ مُذَلَّلٍ مِذْعَانِ

---

(٥٧) الكفاف: ما يكفى من الطعام. وفضلة: وزيادة على القدر الكافى.

(٥٨) الغدران: جمع غدير، وهو الماء المتجمع من المطر الغزير.

(٥٩) ركض: ضرب. غلة: عطش شديد.

(٦٠) الشَّآم: الشام.

(٦١) بحيراء: الراهب المشهور فى السيرة النبوية، وهو بحيرَى، يقصر ويمد. الصوَّان: الحجر الصلب.

(٦٢) أنى: أينما. الأفنان: الأغصان، جمع فَنَن.

(٦٣) حجة: سنة. إيقان: يقين وإيمان.

(٦٤) صائلاً: شديداً عليه يجرى به هنا وهناك يكاد يفتك به. وكلمة القافية غير واضحة فى الأصل، ولعلها (حُثان) كما أثبت فى المتن، وهو حُثُنّ: موضع ببلاد اليمن يكثر ذكره فى شعر هذيل، قال قيس بن خويلد الهذلى:

أرىٰ حُثُنًا أمْسىٰ ذليلاً كأنَّهُ ... تُراثٌ وخَلاَّهُ الصُّعَابُ الصَّعَاتِرُ

[انظر: اللسان ح ث ن]. وفى البيت إشارة إلى أن هذا الوادى كان يكثر فيه الجمال الصعبة أى التى لا يمكن ركوبها.

(٦٥) مضى: الفاعل هو النبى ﷺ. عاين: أبصر، والفاعل الجمل. أهوى: سجد على الأرض. وجران البعير: باطن عنقه. وقد سبق ذكر قصة سجود الجمل للنبى ﷺ، وقد حدثت بعد النبوة ورواها عنه ﷺ عدد من الصحابة، منهم جابر بن عبد الله، وأسامة بن زيد، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين. أما هذه القصة المذكورة هنا فحدثت قبل بعثته ﷺ، وكان قد سافر إلى اليمن مع عمه الزبير، فمرّوا بواد فيه جمل يمنع من يريد اجتياز الوادى، فلما رآه الجمل برك وحكّ الأرض بصدره، فنزل النبى ﷺ وركب هذا البعير حتى جاوز الوادى ثم خلّى عنه [حجة الله على العالمين، ص ١٩٨].

(٦٦) أذعن: خضع. مِذعان: صيغة مبالغة من الإذعان وهو الخضوع.

٦٧ - وكَذاكَ عِنْدَ رُجُوعِهِمْ مِنْ شامِهِمْ ... مَرُّوا بِوادٍ مُفْعَمٍ مَلآنِ

٦٨ - فَمَضَوْا أمامَهُمُ فَغادَرَ ماءَهُ ... يَبَسًا طَرِيقًا ذَلَّ لِلرُّكْبانِ

٦٩ - وأغَذَّ فى خَمْسٍ وعِشْرِينَ السُّرَىٰ ... نَحْوَ الشَّآمِ بِمَتْجَرٍ لِرَزانِ

٧٠ - فَرآهُ نَسْطُورًا فَأخْبَرَ أنَّهُ ... أزْكَىٰ نَبِىٍّ خاتَمُ الأعْيانِ ٦٩/ب

٧١ - ورآهُ مَيْسَرَةُ الغُلامُ رَفِيقُهُ ... ومِنَ الهَجِيرِ يُظِلُّهُ مَلَكانِ

٧٢ - وكَذا خَدِيجَةُ أبْصَرَتْ فَتَزوَّجَتْ ... رَغَبًا بِهِ عَنْ خِبْرَةٍ وعِيانِ

٧٣ - جادَتْ عَلَيْهِ بِنَفْسِها وبِمالِها ... فَسَمَتْ بِهِ شَرَفًا علىٰ النُّسْوانِ

٧٤ - وَبَنَتْ قُرَيْشُ البَيْتَ حِينَ تَهَدَّمَتْ ... بالسَّيْلِ مِنْهُ قَواعِدَ الحِيطانِ

٧٥ - واشْتَدَّ فى الحَجَرِ الكَرِيمِ نِزاعُهُمْ ... مَنْ مِنْهُمُ لِلرَّفْعِ مِنْهُ يُعانِى

٧٦ - ثُمَّ ارْتَضَوْا فِيهِ بِأوَّلِ داخِلٍ ... فَأتَىٰ الأمِينُ الطَّيِّبُ الأرْدانِ

٧٧ - وهُوَ ابْنُ خَمْسٍ مَعْ ثَلاثِينَ احْتَوَىٰ ... جِرْمَ الكُهُولِ وقُوَّةَ الشُّبّانِ

٧٨ - فاخْتُصَّ فِى وَضْعِ الإزارِ بِحِكْمَةٍ ... بالرَّفْعِ دُونَهُمُ ودُونَ البانِى

٧٩ - كانَ التَّعَبُّدُ دأبَهُ للهِ فِى ... كُلِّ الأحايِنِ لَيْسَ عَنْهُ تَوانِى

---

(٦٧) مفعم وملآن : مترادفان .

(٦٨) أورد النبهاني هذه القصة عقيب قصة الجمل المذكورة، فبعد عودتهم من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله ﷺ : «اتبعونى» . ثم اقتحمه فاتبعوه، فأيبس الله الماء [حجة الله على العالمين ص ١٩٨] .

(٦٩) أغذ السير: أسرع فيه . رزان : سيدة عاقلة رزينة، وهى السيدة خديجة عليها السلام .

(٧٠) نسطورا : الراهب الذى مرَّ به النبى ﷺ حين سافر إلى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها، فلما بلغا سوق بُصْرَى نزل النبى ﷺ تحت شجرة قريبة من صومعة نسطورا، فأخبر نسطورا ميسرة أنه ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام إلا نبى، وروى أن الراهب قبَّل رأس النبى ﷺ وقدميه وخاتم النبوة على كتفه [المرجع السابق، الموضع نفسه] .

(٧٢) عيان : معرفة يقينية .

(٧٥) يعانى : يقوم بهذه المهمة .

(٧٦) الأردان : أكمام القميص، وطيبها كناية عن طيب الإنسان نفسه .

(٧٧) جرم : جسم . الكهول : الرجال فى نحو الأربعين .

(٧٨) وضع النبى ﷺ الحجر الأسود فى ثوب وأمر كل سيد بطن من بطون قريش أن يمسك بطرف الثوب ورفعوه إلى أعلى ثم أخذه النبى ﷺ ووضعه بيده الشريفة فى مكانه .

(٧٩) دأبه : عادته المستمرة . الأحاين : الأحيان . توانى : فتور وضعف .

٨٠ - يأتي حِراءً للتَّبَتُّلِ هَاجِرَ الـ ... أصْنامِ هَجْرَ المُبغِضِ الغَضْبانِ

٨١ - وكَذاكَ كانَ إذا رأىٰ الرُّؤيا انْجَلَتْ ... كالصُّبْحِ واضِحَةً عَلىٰ بُرْهانِ

٨٢ - وأتَتْ عَلَيْهِ أرْبَعُونَ فأشْرَقَتْ ... شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْهُ فى رَمَضانِ

٨٣ - فى سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً فى يَوْمِ الاثْـ ... ـنَيْنِ المُخَصَّصِ مِنْهُ بالرُّجْحانِ

٨٤ - لَمْ يَبْقَ مِنْ حَجَرٍ ولا مَدَرٍ ولا ... شَجَرٍ ولا جَبَلٍ ولا كُثْبانِ

٨٥ - إلاَّ ونَاداهُ: السَّلامُ عَلَيْكَ بالـ ... ـلَفْظِ الفَصِيحِ كَناطِقٍ بِلِسانِ

٨٦ - رَمَتِ الشَّياطِينَ الرُّجُومُ لِبَعْثِهِ ... وتَنَكَّسَ الأصْنامُ لِلأذْقانِ

٨٧ - والجِنُّ تَهْتِفُ فى الظَّلامِ بِسَجْعِها ... بِنُبُوَّةِ المَبْعُوثِ بالجِيرانِ

٨٨ - وأتَاهُ جِبْرِيلُ الأمِينُ مُعَلِّمًا ... مِنْ عِنْدِ رَبٍّ مُنْعِمٍ مَنَّانِ

٨٩ - فَحَصَ التُّرابَ لَهُ فأنْبَعَ مَاءَهُ ... فَأرَاهُ كَيْفَ وُضُوءُ ذِى قُرْبانِ

٩٠ - فأتَاهُ بالسَّبْعِ المَثانِى فانْثَنىٰ ... جَذِلاً بِسَبْعٍ فى الصَّلاةِ مَثانِى

---

(٨٠) التبتل: الانقطاع لعبادة الله عز وجل.

(٨١) عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: أول مابُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى: الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح [رواه البخارى: الفتح، كتاب التعبير ١٢ / ٣٦٨ ، حديث رقم ٦٩٨٢].

(٨٣) المشهور فى بعثة النبى ﷺ أن ذلك كان وقد بلغ الأربعين من عمره، وكان ذلك يوم الاثنين فى السابع عشر من رمضان، كما حدده الصرصرى فى هذا البيت وسابقه [راجع: تعليق ابن حجر العسقلانى فى الفتح على الحديث المذكور فى الحاشية السابقة].

(٨٤) المدر: الطين اليابس. الكثبان: جمع كثيب، وهو التل الرملى.

(٨٦) الرجوم: الحجارة. تنكس: خرّ ساقطا.

(٨٧) بالجيران: كذا فى الأصل، ولعله أراد: جيرانهم من الإنس. أو لعلها: بالقرآن.

(٨٩) فحص: حفر. ذى قربان: أى متقرب إلى الله عز وجل.

(٩٠) السبع المثانى فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ الحجر / ٨٧ . اختلف فى تفسيرها، فقال ابن مسعود وابن عباس: هى السبع الطول (أى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس)، وهو قول ابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم. وقال قتادة وروى عن أبى هريرة: الفاتحة فهى سبع آيات والبسملة هى الآية السابعة، واختاره الطبرى لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: « الحمد لله رب العالمين، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » [أخرجه البخارى فى كتاب التفسير: الفتح ٨ / ٢٣٢ ، حديث رقم ٤٧٠٣ ، ٤٧٠٤ ، وانظر: مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٣١٨] . والصرصرى يميل هنا إلى أن السبع المثانى هى الفاتحة لقوله: فانثنى جذلاً بسبع فى الصلاة مثانى. انثنى: رجع. جذلاً: فرحا. مثانى: تتكرر فى كل صلاة.

٩١ - وأتاهُ يأمُرُهُ لِيُنْذِرَ قَوْمَهُ ... طُرًّا ويَبْدَأَ بالقَرِيبِ الدَّانِي ٧٠/أ

٩٢ - فَدعا إلىٰ الرحْمٰنِ جَلَّ ثَناؤُهُ ... ونَهَىٰ عَنِ الإشْراكِ والكُفْرانِ

٩٣ - ورَمَىٰ الزِّنَا والخَمْرَ والأزْلامَ والـ ... ـفَحْشاءَ بالبُطْلانِ

٩٤ - وأتىٰ بِدينٍ مُسْتَقِيمٍ واضِحٍ ... ظَهَرتْ شَرِيعَتُهُ عَلىٰ الأدْيانِ

٩٥ - فَهَدَىٰ قَبائِلَهُ فلَمْ يَتَقَبَّلوا ... بَلْ قابَلوا المَعْروفَ بالنُّكْرانِ

٩٦ - ما زالَ يُنْذِرُ قَوْمَهُ فى مَنْعَةٍ ... حَتَّى ثَوَىٰ العَمُّ الشَّفِيقُ الحَانِي

٩٧ - ومَضَتْ خَدِيجَةُ بَعْدَهُ لِسَبِيلِها ... مَرْضِيَّةً فتَفاقَمَ الرُّزْءَانِ

٩٨ - فاشْتَدَّ حِينَئِذٍ عَلَيْهِ أذاهُمُ ... وبَدا لَهُ طَمَعُ العَدُوِّ الشَّانِي

٩٩ - فأتَىٰ ثَقِيفًا فاعْتَراهُ أذاهُمُ ... فأوىٰ إلىٰ ظِلٍّ بِقَلْبٍ عَانِ

١٠٠ - وابْنَا رَبِيعَةَ شَيْبَةٌ وأخُوهُ فى ... عُلِّيَّةٍ لِعَنائِهِ يَرْيانِ

١٠١ - فحَنَتْهُما رَحِمٌ عَلَيْهِ فأرْسَلا ... بالقِطْفِ مَعْ عَدَّاسِ النَّصْرانِي

١٠٢ - فرأىٰ عَلاماتِ النُّبُوَّةِ فاهْتَدَىٰ ... لٰكِنْ هُما عَمَّا رَأىٰ عَمْيانِ

١٠٣ - وغَدَا علىٰ الأحْياءِ يَعْرِضُ نَفْسَهُ ... لِبَلاغِ أمْرِ مُهَيْمِنٍ دَيَّانِ

---

(٩١) طُرًّا: جميعًا، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء / ٢١٤ .

(٩٣) الأزلام: سهام كانوا يستقسمون عليها فى الجاهلية تأمرهم أو تنهاهم فيطيعون أمرها ونهيها. وكذا جاء البيت فى الأصل، وعلى هذه الصورة تنقصه تفعيلة كاملة، ولعله:

ورمىٰ الزنا والخمرَ والأزلامَ والـ ... ـأنصابَ والفحشاءَ بالبطلانِ

وسقطت من الناسخ سهوًا كلمة (والأنصاب).

(٩٦) منعة: قوة تمنع أعداءه أن ينالوا منه. ثوى: مات.

(٩٧) تفاقم: اشتد. الرُّزْءان: مثنى رُزء، وهو المصيبة. يشير إلى موت أبى طالب والسيدة خديجة، وقد أطلق النبى ﷺ على العام الذى توفيا فيه عام الحزن.

(٩٨) الشانى: المبغض، خفف الهمز من (الشانئ).

(٩٩) ثقيف: قبيلة كانت تسكن فى الطائف. عانٍ: حزين.

(١٠٠) عُلِّيَّة: حجرة مرتفعة.

(١٠١) حنتهما: جعلتهما يحنوان - أى يشفقان - على النبى ﷺ. رحم: قرابة، فقبيلة ثقيف كانوا أخوال النبى ﷺ. القطف: عنقود العنب. عدّاس: الغلام الذى أرسله شيبة بن ربيعة وأخوه عتبة إلى النبى ﷺ وقد آمن عدّاس بالنبى ﷺ ولم يؤمن شيبة ولا أخوه عتبة [انظر: السيرة الحلبية ١ / ٥٠٠].

(١٠٣) الأحياء: القبائل العربية. وكان النبى ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب أن يحموه وينصروه لإبلاغ كلمة الله. والديان: اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه: الحكم القاضى والقهار.

١٠٤ - يَأْتِى القَبائِلَ يَسْتَجِيرُ فلا يَرَىٰ ... إلاَّ ذَوِى التَّكْذِيبِ والخِذْلانِ

١٠٥ - فَهُناكَ هاجَرَ جَعْفَرٌ ورِفاقُهُ الْـ ... أخْيارُ نَحْوَ مَواطِنِ الحُبْشانِ

١٠٦ - فَحَنَا النَّجاشِىُّ المُنِيبُ عَلَيْهِمُ ... كَحُنُوِّ والِدةٍ عَلَىٰ الوِلْدانِ

١٠٧ - وأقامَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ حَتَّىٰ التَقَىٰ ... مِنْ خَزْرَجٍ بالسِّتَّةِ الشُّجْعانِ

١٠٨ - فَأتَوْا ومِثْلُهُمُ إلَيْهِ فبَايَعُوا ... فى مَوْسِمِ العَامِ الجَدِيدِ الثَّانِى

١٠٩ - وبِعامِهِ هٰذا رأىٰ فى لَيْلَةِ الْـ ... مِعْراجِ مَا قَرَّتْ بِهِ العَيْنانِ

١١٠ - وازْدادَ تَطْهِيراً بِشَرْحِ صَدْرِهُ ... فى لَيلَةِ المَسْرَىٰ بِلا نُقْصانِ

١١١ - أسْرَىٰ مِنَ البَيْتِ الحَرامِ بِهِ إلىٰ ... أقْصَىٰ المَساجِدِ لَيْسَ بالوَسْنانِ

١١٢ - وعَلا البُرَاقَ وكانَ أشْرَفَ مَرْكَبٍ ... يَطْوِى الفَضَاءَ لِسُرْعَةِ الطَّيَرانِ ٧٠/ب

١١٣ - حَتَّىٰ أتَىٰ البَيْتَ المُقَدَّسَ وارْتَقَىٰ ... نَحْوَ السَّماءِ فَجَازَ كُلَّ عَنانِ

١١٤ - ما مِنْ سَماءٍ جاءَها مُسْتَفْتِحًا ... إلاَّ لَقُوهُ بِتُحْفَةٍ وتَهانِى

١١٥ - ولَقَدْ رأىٰ أبَوَيْهِ: آدمَ ثُمَّ إبْـ ... ـراهِيمَ فَلْيُبْشِرْ بِهِ الأبَوانِ

١١٦ - ولَقَدْ رأىٰ عِيسَىٰ ويَحْيىٰ ثُمَّ هٰـ ... ـرُونَ المُحَبَّبَ رُؤْيَةَ اليَقْظانِ

---

(١٠٥) هو جعفر بن أبى طالب ﷺ، وهو ورفاقه هاجروا إلى الحبشة.

(١٠٦) حَنَا: عطف عليهم ورقَّ لهم. المنيب: التائب إلى الله.

(١٠٧) الستة الشجعان من الخزرج هم: أسعد بن زرارة المعروف بأبى أمامة، وعوف بن الحارث المعروف بابن عفراء، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم. لقيهم النبى ﷺ عند العقبة فى موسم الحج فعرض عليهم الإسلام ودعاهم إلى الله عز وجل، فأجابوه وصدقوه ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام فأطاعوا لهم [انظر: سيرة ابن هشام ٢ / ٥١ : ٥٢].

(١٠٨) وفى العام التالى جاء الستة المذكورون ومعهم ستة آخرون وبايعوا النبى ﷺ على ألا يشركوا بالله شيئا، وألا يسرقوا، وألا يزنوا، وألا يقتلوا أولادهم، وألا يأتوا ببهتان، ألا يعصوا النبى ﷺ فى معروف. وسميت هذه البيعة بيعة العقبة [انظر نص البيعة فى سيرة ابن هشام ٢ / ٥٤].

(١١٠) ليلة المسرى: ليلة الإسراء.

(١١١) ليس بالوسنان: أى كان الإسراء والنبى ﷺ مستيقظ لا نائم.

(١١٢) المركب: كل ما يركب.

(١١٣) العَنان فى الأصل: السحاب، ثم أطلق للدلالة على ارتفاع السماء.

(١١٤) تحفة: إكرام وبر ولطف.

١١٧ - وكَذَا لِمُوسَىٰ ثُمَّ إِدْرِيسَ الْتَقَىٰ ... فَتَبَاشَرُوا كَتَبَاشُرِ الإِخْوَانِ

١١٨ - ولَقَدْ دَنَا كَالقَابِ مِنْ قَوْسَيْنِ أَوْ ... أَدْنَىٰ إِذَا مَا قُدِّرَ القَوْسَانِ

١١٩ - كَشَفَ الحِجَابَ لَهُ وكَلَّمَهُ فَمَا ... أَحْظَاهُ بالتَّقْرِيبِ مِنْ إِنْسَانِ!

١٢٠ - فَرَضَ الصَّلاةَ عَلَيْهِ خَمْسًا أَصْلُهَا ... خَمْسُونَ وهْيَ الأَجْرُ فِي الحُسْبَانِ

١٢١ - ثُمَّ انْثَنَىٰ نَحْوَ الفِرَاشِ مُقَمَّصًا ... مِنْ ذِي الجَلالِ بِأَشْرَفِ القُمْصَانِ

١٢٢ - لٰكِنَّهُ أَضْحَىٰ بِمَكَّةَ خَائِفًا ... إِنْ قَالَ مِنْ تَكْذِيبِ ذِي بُهْتَانِ

١٢٣ - فَغَدَا يُحَدِّثُهُمْ بِوَصْفِ المَسْجِدِ الْـ ... أَقْصَىٰ حَدِيثَ مُعَايِنٍ مُتَدَانِي

١٢٤ - ولَقَدْ دَنَا البَيْتُ المُقَدَّسُ مِنْهُ بِالْـ ... بَطْحَاءِ يَنْعَتُهُ بِلا نِسْيَانِ

١٢٥ - فَعَمُوا وأَبْصَرَ قَوْلَهُ حَقًّا أَبُو ... بَكْرٍ يَقِينَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ

١٢٦ - فَأَذَاعَ بالتَّصْدِيقِ لَمْ يَرْهَبْ ولَمْ ... يَرْتَبْ مِنَ الحَقِّ المُبِينِ بِشَانِ

١٢٧ - فَلِذٰلِكَ التَّحْقِيقِ سَادَ وسُمِّيَ الـ ... ـصِّدِّيقَ وهْوَ اسْمٌ سَمَا بِمَعَانِي

١٢٨ - وأَتَىٰ علَىٰ الأَنْصَارِ عَامٌ ثَالِثٌ ... يَعِدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِخَيْرِ أَمَانِ

١٢٩ - فَأَتَوْهُ فِي السَّبْعِينَ ثُمَّ تَهَلَّلُوا ... مِنْ أَشْرَفِ العَقَبَاتِ كَالعِقْبَانِ

---

(١١٨) قاب قوسين: بقدر طولهما، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ النجم / ٨-٩.

(١١٩) فاعل كشف، وكلمه: الله عز وجل. ما أحظاه: ما أسعده.

(١٢٠) فرضت الصلاة فى ليلة الإسراء والمعراج، وأصلها خمسون صلاة، وخُفِّضَت إلى خمس صلوات بخمسين صلاة فى الأجر.

(١٢١) مقمصا: لابسا قميصا، استعار القميص لما ناله النبى ﷺ من كرامة فى تلك الليلة المباركة.

(١٢٢) البهتان: أشد الكذب.

(١٢٣) معاين: رأى بعينه.

(١٢٤) البطحاء: مكة المكرمة. ينعته: يصفه. يقول إن النبى ﷺ راح يصف لقريش المسجد الأقصى وصف من رآه بعينه ولم ينسَ شيئًا من أدق تفاصيله؛ لأن الله عز وجل أراه المسجد وهو بمكة.

(١٢٦) أذاع: أعلن. لم يرتب: لم يشك.

(١٢٧) ساد: أصبح سيدا من سادة المسلمين. وقد سمِّى سيدنا أبو بكر بالصدِّيق لأنه آمن بما قاله النبى ﷺ عن إسرائه ومعراجه.

(١٢٩) أشرف العقبات: العقبة التى فى طريق منى. كالعقبان: جمع عُقاب، وهو طائر =

١٣٠ - مُتَتَابِعِينَ فَبَايَعُوهُ بَيْعَةً ... عُقِدَتْ بِحُسْنِ السَّمْعِ والإِذْعَانِ

١٣١ - ولِعَمِّهِ العَبَّاسِ أَحْكَمَ عَقْدُها ... مِنْهُمْ وأُتْقِنَ غَايَةَ الإِتْقَانِ

١٣٢ - سَعِدَتْ بِهِ أَوْسٌ وفَازَتْ خَزْرَجٌ ... فَحَوَى الفَخَارَ بِنَصْرِهِ الحَيَّانِ

١٣٣ - فَأُولَئِكَ الأَنْصَارُ حَقًّا أَحْسَنُوا ... نَصْرَ النَّبِيِّ بِمُرْهَفٍ وَسِنَانِ ١/٧١

١٣٤ - فَهُنَاكَ آذَنَ صَحْبَهُ لِيُهَاجِرُوا ... مُسْتَبْطِنِينَ بِذَلِكَ الإِيذَانِ

١٣٥ - وأَقَامَ مُصْطَبِرًا وغَبَّرَ صَحْبُهُ ... حِينًا لِمُرِّ الهَمِّ والهِجْرَانِ

١٣٦ - ودَرَتْ قُرَيْشٌ بالحَدِيثِ فأَظْهَرَتْ ... مَا عِنْدَهَا مِنْ مُضْمَرِ الأَضْغَانِ

١٣٧ - وتَشَاوَرُوا فِي قَتْلِهِ أَوْ حَبْسِهِ ... أَوْ بُعْدِهِ فَمَضَوْا علىٰ كِتْمَانِ

١٣٨ - وأَتَاهُ جِبْرِيلُ الأَمِينُ مُخَبِّرًا ... بِجَمِيعِ مَا أَخْفَوْا مِنَ الشَّنَآنِ

١٣٩ - وَفَّىٰ بِمَكَّةَ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يَلْقَىٰ الأَذَىٰ فِي السِّرِّ والإِعْلَانِ

١٤٠ - حَتَّىٰ أَتَىٰ إِذْنٌ فَسَارَ مُهَاجِرًا ... نَحْوَ المَدِينَةِ هِجْرَةَ اليَقْظَانِ

١٤١ - وأَتَىٰ أَبَا بَكْرٍ بِحَرِّ ظَهِيرَةٍ ... سِرًّا فَتَابَعُهُ بِغَيْرِ تَوَانِي

١٤٢ - حَلاَّ بِثَوْرٍ غَارَهُ فَلَقَدْ غَدَا ... وسَمَا بِهِ مِنْ أَشْرَفِ الغِيرَانِ

جارح، يصفهم بالشجاعة. وكان من بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين [انظر: سيرة ابن هشام ٢ / ٥٩].

(١٣٠) الإذعان: الإقرار بالحق والخضوع له.

(١٣١) لما اجتمع الأنصار فى الشعب ينتظرون رسول الله ﷺ لمبايعته، جاء النبى ﷺ ومعه عمه العباس ﷺ وهو يومئذ على دين قومه، وخاطب العباس الأنصار يريد أن يتأكد من صدق بيعتهم وأنهم لن يخذلوا النبى ﷺ. [انظر كلام العباس فى سيرة ابن هشام ٢ / ٥٩].

(١٣٣) المرهف: السيف القاطع اللامع. السنان: حد الرمح.

(١٣٤) آذن: أمر. مستبطنين: مخفين أمرهم.

(١٣٥) غبَّر: رحل.

(١٣٦) درت: علمت. مضمر: خفىّ. الأضغان: الأحقاد.

(١٣٧) بعده: يريد: نفيه.

(١٣٨) الشنآن: البغض الشديد.

(١٣٩) حجة: سنة. وقد ظل النبى ﷺ يدعو قومه بمكة نحو ثلاثة عشر عامًا.

(١٤١) بحرّ: فى الأصل: مَرّ، وهو خطأ من الناسخ.

(١٤٢) الغيران: جمع غار.

١٤٣ - بَاضَتْ علَىٰ البَابِ الحَمامَةُ واغْتَدَىٰ ... بِهَنِ العَنَاكِبِ طَامِسَ الأكْنَانِ

١٤٤ - واشْتَدَّ تَطْلابُ العُداةُ فأجْزَلُوا ... فِيهِ الرِّشَا ونَفائِسَ الأثْمانِ

١٤٥ - فَسَرَىٰ سُرَاقَةُ تَابِعًا فَرآهُما ... وهُمَا بِظَهْرِ البِيدِ يَرتَمِيانِ

١٤٦ فَهَوَىٰ يَدَا فَرَسِ الحَرِيصِ بِصُلْبَةٍ ... صَلْدٍ وثارَتْ وهْيَ ذاتُ عُثَانُ

١٤٧ - فَغَدا عَلَىٰ عِلْمٍ يُعَمِّي عَنْهُما ... إذْ كانَ أيْقَنَ غَايَةَ الإيقانِ

١٤٨ - ثُمَّ انْبَرَىٰ المُخْتَارُ يَجْتَابُ الفَلا ... بِتَواتُرِ الإدلاجِ والذَّمَلانِ

١٤٩ - وتَسامَعَتْ أنْصارُهُ بِقُدومِهِ ... فَتَقَلَّدُوا فَرَحًا بِكُلِّ يَمَانِ

١٥٠ - ولَقُوهُ بالتَّرْحَابِ والبُشْرَىٰ معَ الـ ... ـتَّعْظِيمِ بالإخْبَاتِ والخُضْعَانِ

١٥١ - وغَدوْا يُقَدُّونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ... بالمالِ والأرْواحِ والوِلْدانِ

١٥٢ - لَمْ يَلْقَهُ مِنْهُمْ فَتاةٌ أو فَتىٰ ... إلا بِقَلْبٍ نَيِّرٍ جَذْلانِ

١٥٣ - فاسْتَبْشَرَ القَلْبُ الشَّرِيفُ بِما رأىٰ ... مِنْ حُسْنِ أخْلاقٍ ومِنْ إحْسانِ

١٥٤ - ما مِنْهُمُ مِنْ مَنزِلٍ إلا رَجَا ... أنَّ النَّبِيَّ لَهُ مِنَ السُّكَّانِ ٧١/ب

١٥٥ - يَعِدونَهُ إنْ حَلَّ فِيهِمْ أنَّهُمْ ... لِنَبِيِّهِمْ مِنْ خَيْرِ ما جِيرانِ

---

(١٤٣) هن العناكب: نسيجها. وكلمة (هن) تعنى: شيء، ويكنَّى بها عن كل شيء لا يذكر اسمه. طامس: مطموس. الأكنان: جمع كِنّ، وهو الستر.

(١٤٤) تطلاب: شدة الطلب والبحث. أجزلوا الرشا: جعلوا رشوة كبيرة لمن يأتيهم بالنبى ﷺ.

(١٤٥) يرتميان: أى يسرعان فى سيرهما.

(١٤٦) صلد: صخر مصمت، وهى صفة لمحذوف والتقدير: أرض صُلبة صخرية. عثان: دخان، وأراد به هنا: الغبار.

(١٤٧) يعمى عنهما: أى يضلل من كانوا يتتبعون النبى ﷺ وصديقه فى هجرتهما؛ وذلك لمَّا غاصت به فرسه فى الصخر وعرف أن هذا نبى الله حقا، فكان يضلل من يسأله عنهما ويقول: قد كفيتكم، موهما أنه لم يرهما.

(١٤٨) انبرى: مضى مسرعا. يجتاب: يقطع. تواتر: تعاقب. الإدلاج والذملان: نوعان من سير الإبل السريع.

(١٤٩) اليمانى: السيف، منسوب إلى اليمن.

(١٥٠) الإخبات والخضعان كلاهما: الخضوع.

(١٥٢) نير: مشرق بنور الإيمان. جذلان: فرح مسرور.

١٥٦ - لٰـكِنَّ نَاقَـتَـهُ سَـرَتْ مَـأْمُـورَةً ... قَـدْ أُعْـفِـيَتْ مِنْ حَـبْـسَـةِ الأَرْسَـانِ

١٥٧ - حَـتَّىٰ لَقَـدْ بَرَكَتْ بأَشْـرَفِ مَنزِلٍ ... بِمكَانِ مَـسْـجِـدِهِ بِلا حَـيَـدَانِ

١٥٨ - فَنَمَـا السُّـرورُ وأَصْـبَحَ الأَنْصَـارُ فِى ... عِـيـدٍ بِمَنْ شَـرُفَتْ بِهِ العِـيـدَانِ

١٥٩ - وتَكَنَّفَ ابْنَ سَـلامِ الفَـضْلُ الَّذِى ... بالمُـصْـطَفَىٰ أَفْـضَىٰ إِلَىٰ سَلْمَـانِ

١٦٠ - عَـرَفَـاهُ مَـعْـرِفَـةَ اليَـقِـينِ فَـأَصْبَحَـا ... وهُـمَـا بِثَـوْبِ الرُّشْـدِ مُـشْـتَـمِـلانِ

١٦١ - وابْتَـاعَ سَلْـمَـانُ ابْتِـيَـاعًـا بالَّذِى ... وَفَّـاهُ مِنْ ذَهَـبٍ ومِنْ فُـسْـلانِ

١٦٢ - دَخَلَ المَـدِينَةَ فاكْـتَسَتْ حُلَلَ الرِّضَا ... وتَـعَـطَّـرَتْ بالـرَّوْحِ والـرَّيْـحَـانِ

١٦٣ - أَضْـحَتْ بِهِ بَعْـدَ الخُـمُـولِ شَـهِـيـرَةً ... بالفَـضْلِ سـامِـيَـةً علىٰ الأَوْطانِ

١٦٤ - قُـرِنَتْ بِمَكَّةَ فى الفَـخَـارِ وحُـرِّمَتْ ... وبِهِ سَـمَـا وتَشَـرَّفَ الحَـرَمَـانِ

١٦٥ - وتَضَـاعَـفَتْ بِدُعَـائِهِ بَرَكَـاتُهـا ... فَلَهـا علىٰ أُمِّ القُـرَىٰ مَـثَـلانِ

١٦٦ - فَـضْلُ الحَـلالِ مِنَ الحَـرامِ وَقُـبَّـةُ الْـ ... إِسْـلامِ وهْـى القَـلْـبُ لـلإِيمـانِ

١٦٧ - وهَواؤها يَشْـفِى الجُـذامَ ورَبْعُـهـا ... مَـأْوَىٰ الهُـدَىٰ ومَـثُـوبَةُ اللَّهْـفـانِ

١٦٨ - مَنْ مَـاتَ فِيـهـا صَـابِرًا فَـشَـفِـيـعُـهُ الْـ ... مُـخْـتَـارُ يَـوْمَ تَفُـرَّقِ الخِـلَّانِ

---

(١٥٦) كان النبى ﷺ كلما مر بجماعة من الأنصار رغبوا أن ينزل عندهم فيقول لهم خيراً، ويقول: دعوها فإنها مأمورة، أى ناقته ﷺ. الأرسان: جمع رَسَن، وهو الحبل الذى يقاد به البعير، أى لم يكن لناقة النبى ﷺ رسن بل سارت بأمر الله حتى حلت فى المكان الذى بنى فيه المسجد النبوى.

(١٥٧) بلا حيدان: بلا ميل ولا انحراف.

(١٥٨) العيدان: لعله أراد به جمع عيد، ولم أجد هذا الجمع للعيد فى كتب اللغة.

(١٥٩) تكنف: أحاط وشمل. ابن سلام: عبد الله بن سلام. سلمان هو سلمان الفارسي. يقول: وأصاب ابن سلام من الفضل والخير ما ناله سلمان الفارسى، وذلك للقائهما بالنبى ﷺ.

(١٦١) فُسْلان: جمع فسيلة، وهى النبتة. يشير هنا إلى تحرير النبى ﷺ لسيدنا سلمان من الرق بما زرعه بيده الشريفة من نخل، وما دفعه من ذهب فى شرائه، وسبق ذكر قصة سلمان ﷺ.

(١٦٢) حُلَل: جمع حُلَّة، وهى الثوب. (١٦٣) الخمول: ضد الشهرة.

(١٦٥) أم القرى: مكة المكرمة ولها مثلان: ضعفان من البركة، قال ﷺ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة» [رواه البخارى: الفتح، كتاب فضائل المدينة ٤/١١٧، حديث رقم ١٨٨٥].

(١٦٧) مثوبة: ملجأ. اللهفان: المكروب المستغيث. فى هذا البيت وسابقه وما يليه حتى البيت رقم (١٧٢) يعدد الصرصرى فضائل المدينة المنورة، وكلها أخبار صحيحة وردت فى فضائل المدينة المنورة فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الشريف.

١٦٩ - رَمَضَانُها ألْفٌ وجُمْعَتُها جَزَتْ ... ألْفًا زكَا وتَضَاعَفَ الأجْرانِ

١٧٠ - وَصَلاةُ مَسْجِدِها بألْفٍ فِي سِوىٰ الْـ ... ـبَيْتِ المُقَبَّلِ عِنْدَهُ الرُّكْنانِ

١٧١ - شَدُّ الرِّحَالِ إلَيْهِ مَشْرُوعٌ ولوْ ... فَتَكَ الوَجَىٰ بالجَسْرَةِ المِذْعانِ

١٧٢ - مَا بَيْنَ مِنْبَرِهِ ومَوْضِعِ قَبْرِهِ ... هُوَ رَوْضَةٌ مِنْ جَنَّةِ الحَيَوَانِ

١٧٣ - يا سَائِلِي عنْ مُعْجِزاتِ المُصْطَفَىٰ ... خُذْ مَا وَعَىٰ قَلْبِي وقَالَ لِسَانِي

١٧٤ - لَقَدِ اصْطَفَاهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ... وحَبَاهُ مِنْهُ بِمُعْجِزِ القُرآنِ

١٧٥ - هُوَ مُعْجِزٌ فِي نَفْسِهِ بِوُضُوحِهِ ... وغَنَائِهِ بالحَقِّ عَنْ عُنْوانِ ٢/٧٢

١٧٦ - وحِفَاظِهِ مِنْ خَلَّةٍ وتَنَاقُضٍ ... ومِنَ الزِّيادَةِ فِيهِ والنُّقْصَانِ

١٧٧ - وخُرُوجِهِ بالنَّظْمِ والإيجَازِ عَنْ ... سَجْعِ الكَلامِ وصِيغَةِ الأوْزانِ

١٧٨ - وبَقَائِهِ غَضًّا جَدِيداً رائِقًا ... بالحُسْنِ للأبْصَارِ والآذانِ

١٧٩ - وإذا قَضَىٰ بالشَّيءِ كانَ كَمَا قَضَىٰ ... لا يَسْتَطِيعُ مَرَدَّهُ الثَّقَلانِ

١٨٠ - لا يَدْخُلُ التَّبْدِيلُ فِي آياتِهِ ... كَلاَّ وما إعْجَازُهُ بالفَانِي

١٨١ - لَمَّا تَحَدَّىٰ الخَصْمَ أنْ يأتُوا بِمَا ... هُوَ مِثْلُهُ عَجَزُوا عَنِ الإتْيانِ

١٨٢ - شَهِدُوا لَهُ بِطَلاوَةٍ وحَلاوَةٍ ... وفَصَاحَةٍ وبَلاغَةٍ وبَيانِ

---

(١٧٠) وصلاة: فى الأصل: وصلاتها، وهو خطأ تركيبى، كما يؤدى إلى كسر الوزن. والصواب ما أثبته.

(١٧١) الوجى: داء يصيب الإبل من كثرة السير. الجسرة: الناقة القوية. المذعان: المطيعة لراكبها.

(١٧٢) قال ﷺ: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» [الفتح: كتاب فضائل المدينة ٤/١١٩، حديث رقم ١٨٨٨].

(١٧٥) أراد بالعنوان: الدليل.

(١٧٦) خلة: نقص أو اختلال.

(١٧٧) النظم: أسلوب تركيب الجمل. يقول إن القرآن الكريم معجز بما له من نظم أى أسلوب مغاير لأساليب الشعر والسجع.

(١٧٨) غضًا: متجددا على الدوام.

(١٧٩) مردَّه: منعه. الثقلان: الإنس والجن.

(١٨١) قال الوليد بن المغيرة - وهو كافر - يصف القرآن: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه [انظر: الشفا للقاضى عياض ١/٢٦٢ وما بعدها، وقد أورد عدة أمثلة لاعتراف فصحاء العرب بعظمة القرآن وبلاغته وإن كان هؤلاء المعترفون غير مؤمنين].

١٨٣ - وهُمُ الخُصومُ لَهُ فَكَيْفَ بِفِرْقَةٍ ... نَبَذُوا الهُدىٰ بِغَباوَةِ الأذهانِ؟!

١٨٤ - جَعَلوا القُرآنَ إشارَةً وعِبارَةً ... تُحْكَى ومَخْلُوقًا وقَوْلَ فُلانِ

١٨٥ - ولِمُعْجِزُ القَمَرَ الذى بَهَرَ العِدى ... مِنْ أكْبَرِ الآياتِ والبُرْهانِ

١٨٦ - سَأَلَتْ قُرَيْشٌ آيةً فأراهُمُ ... قَمَرَ السَّماءِ وجِرْمُهُ نِصْفانِ

١٨٧ - بِقُعَيْقُعانَ النِّصْفُ مِنْهُ ونِصْفُهُ ... بأبِى قُبَيْسٍ يَشْهَدُ الجَبَلانِ

١٨٨ - فإذَا العُداةُ يُكابِرونَ عِيانَهُمْ ... شَرُّ الرِّجالِ مُكابِرٌ لِعِيانِ

١٨٩ - قالُوا سَلُوا السُّفَّارَ إنْ شَهِدُوا بِما ... أبْصَرْتُمُ حَقًّا بِلا نُكْرانِ

١٩٠ - فَهُوَ اليَقِينُ ولَيْسَ سِحْرًا فالْتَقَوْا ... بالنَّاسِ مِنْ مَثْنًى ومِنْ وُحْدانِ

١٩١ - فإذَا الذى نَكَروهُ حَقٌّ واضِحٌ ... لٰكِنَّهُمْ كانُوا ذَوِى عُدْوانِ

١٩٢ - وحَدِيثُ جَابِرِ الشَّهِيرُ وزَادُهُ الـ ... ـنَّزْرُ اليَسِيرُ وكَثْرَةُ الأعْوانِ

١٩٣ - وقَضَاهُمُ مِنْ غَيْرِ نُكْرٍ مُعْجِزٌ ... بادِى البَيانِ لِعالِمٍ رَبَّانِى

١٩٤ - وحَدِيثُ أمِّ سُلَيْمٍ المَرْوِىُّ عَنْ ... أنَسٍ وقَدْ بَعَثَتْهُ بالرُّغْفانِ

١٩٥ - نَحْوَ النَّبِىِّ فَرَدَّها ودَعا لها الـ ... ـجَفَلَىٰ وكانتْ أكْلَةَ الجَوْعانِ

---

(١٨٤) القُرآن: خفف الهمز من القُرءان، وكلا اللفظين صحيح وقرئ بهما. وأما قوله: إشارة وعبارة فيعنى به الباطنية الذين يقولون بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، ويؤولون آيات القرآن تأويلات بعيدة. وقوله (مخلوقا) يعنى به المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن. وقول فلان، يعنى به من لا يؤمنون بأن القرآن من عند الله عز وجل.

(١٨٦) جرمه: جسمه. يذكر هنا آية انشقاق القمر للنبى ﷺ، وقد سبق الحديث عنها.

(١٨٧) قعيقعان: جبل بمكة، وكذا أبو قبيس [معجم البلدان ٤ / ٤٣٠ ، ٤ / ٣٥٠].

(١٨٩) السفار: جمع مسافر.

(١٩١) نكروه: أنكروه وجحدوا به.

(١٩٢) النزر: القليل: وسبق ذكر معجزة جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله عنهما - وأن هذا الطعام القليل أطعم جيش الخندق بأسره، ببركة سيدنا رسول الله ﷺ.

(١٩٣) وقَضَاهُمُ: كذا فى الأصل، ولعله: وكَفَاهُمُ، أى كان هذا الطعام كافيًا رغم كثرة الآكلين وقلة المأكول. نكر: إنكار. ربانى: مؤمن عالم بالله عز وجل.

(١٩٤) أم سليم: هى أم أنس بن مالك رضى الله عنهما. الرغفان: جمع رغيف.

(١٩٥) الجفلى: الدعوة العامة إلى طعام. وذلك أن أم سليم بعثت ابنها أنسا بأقراص من شعير إلى النبى ﷺ، فدعا النبى أصحابه إلى بيت أم سليم وزوجها أبى طلحة، فجعل النبى ﷺ يدعو الناس عشرة عشرة، فأكل من هذا الطعام المتواضع سبعون أو ثمانون رجلا حتى شبعوا [انظر: الحديث فى: الفتح، كتاب المناقب ٦ / ٦٧٨ ، حديث رقم ٣٥٧٨].

١٩٦ - فـأتَوْهُ أرْسـالاً فلَمْ يَصْـدُرْ فَـتًى عَنْ تِلْكَ إلا ذَا حَشًا شَبْعان ٧٢/ب

١٩٧ - وشَكَا إليْـهِ الجُـوعَ جَـيشٌ هَمُّـهُم نَحْـرُ الحَـمُـولَةِ رَبَّةِ الكِيـرانِ

١٩٨ - فـأتَوْا بِزادٍ مِـثْلِ شـاةٍ رابِضٍ فَـدَعَـا لَهُ باليُـسْـرِ والنُّمَـيَـانِ

١٩٩ - والقَـوْمُ ألْفٌ مَعْ مِـئـاتٍ أرْبَعٍ كُلٌّ غَـدا بالمِـزْوَدِ المِـلآنِ

٢٠٠ - ودَعَـا رِجـالاً شُـرْبُ كُلٍّ مِنْهُمُ فَـرْقٌ ويأكُلُ جَـذْعَـةً مِنْ ضَـانِ

٢٠١ - شَـبِعَ الرِّجـالُ الأرْبَعـونَ بِمُـدِّهِ ورَوُوا بِشُـرْبِ العُـشْـرِ رِيَّ بِطانِ

٢٠٢ - ودَعَـا مَعَ المـائَةِ الثَّـلاثِينَ الأُلَىٰ شَـبِـعـوا بِمـا مِـقْـدارُهُ مُـدَّانِ

٢٠٣ - ولَهُمْ سَـوادُ البَطْنِ حُـزَّ فَكُلُّهُمْ قَـدْ نَالَ مِنْهُ أبْرَكَ اللُّحْـمـانِ

---

(١٩٦) أرسالاً: جماعات.

(١٩٨) مثل شاة رابض: كذا فى الأصل، أى حجم شاة رابضة أى راقدة. وسبق ذكر هذا المعنى بلفظ: مثل رُبْضَة شاة، وهو الوارد فى الحديث. اليُسر: الكثرة. النميان: الزيادة.

(١٩٩) المِزْود: وعاء يوضع فيه الزاد أى الطعام.

(٢٠٠) شِرْبُ الإنسان: القدر الذى اعتاد شربه والارتواء به. فرق: إناء يأخذ ستة عشر مُدًّا. جذعة من ضان: نعجة عمرها عامان.

(٢٠١) بطان: جمع بَطن، وهو الذى يأكل ويشرب بشراهة. يشير فى الأبيات السابقة إلى بعض ما وقع من معجزات تكثير الطعام ببركة رسول الله ﷺ. فالأبيات (١٩٧:١٩٩) تحكى معجزة وقعت فى إحدى الغزوات، وقد أصاب جيش المسلمين جوع وظمأ شديدان حتى أوشكوا أن يذبحوا ما يركبونه، فأمر النبى ﷺ فبسطوا بساطا وجمعوا كل ما لديهم من طعام، فكان هذا الطعام كربضة العنز - أى بحجم مرقد العنز - وكان القوم يومئذ ألفا وأربعمائة، فأكلوا جميعا حتى شبعوا ثم ملأوا ما لديهم من مزواد للطعام، وتوضأوا جميعا بقدح من الماء ببركة النبى ﷺ [انظر هذه القصة فى صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ٣٤ كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال]. وأما القصة الأخرى فى البيتين (٢٠٠:٢٠١) فقد رواها أبو نعيم عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: جمعت للنبى ﷺ بنى عبد المطلب وكانوا أربعين رجلا، فأطعمهم النبى ﷺ من جفنة لا تكاد تكفى واحدا منهم، ثم أطعمهم من قدح يكفى الواحد منهم فشربوا منه جميعا حتى ارتووا. وقد تكرر هذا فى اليوم التالى [دلائل النبوة لأبى نعيم، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥].

(٢٠٢)،(٢٠٣) يشير فى هذين البيتين إلى ما رواه البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال: كنا مع النبى ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبى ﷺ: «هل مع أحد منكم طعام؟» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن، ثم جاء رجل مشرك مشعانٌّ (أى أشعث) طويل بغنم يسوقها، فاشترى منه النبى ﷺ شاة فصنعت، وأمر النبى ﷺ بسواد البطن أن يشوى. وايم الله ما فى الثلاثين والمائة إلا وقد حزَّ النبى ﷺ له حزة (أى قطع له قطعة) من سواد بطنها، فجعل منها قصعتين، فأكلوا أجمعون وشبعنا، ففضلت القصعتان، فحملناه على البعير [البخارى: الفتح، كتاب الهبة ٥ / ٢٧٢ ، حديث رقم ٢٦١٨].

٢٠٤ - كانتْ تُمَدُّ مِنَ السَّماءِ جِفانُهُ ... بِتَضاعُفِ البَرَكاتِ لا بِجِفانِ

٢٠٥ - ودَعا أبُو أيُّوبَ أكْرَمَ مُرْسَلٍ ... وطَعامُهُ يَقْتاتُهُ رَجُلانِ

٢٠٦ - فأتاهُ مَعْ مِائةٍ ثَمانُونَ اكْتَفوْا ... وقِرَىٰ أبَى أيُّوبَ لَيْسَ بِفانِ

٢٠٧ - ولقَدْ حَبَتْهُ بِعُكَّةٍ مِنْ سَمْنِها ... مَرْضِيَّةٍ مِنْ خَيْرِ ما نَسْوانِ

٢٠٨ - فإذا بِها مَلأىٰ عَقِيبَ فَراغِها ... سَمْنًا لَهُ شَرَفٌ عَلىٰ السُّمَّانِ

٢٠٩ - وحَدِيثُ بِنْتِ بَشِيرٍ المأْثُورُ فِي ... تَمْرٍ بِهِ قَصَدَتْ أبَا النُّعْمانِ

٢١٠ - فَدَعا بِها الهادِي فَصَبَّتْ تَمْرَها ... فإذا بِهِ قَدْ ضَمَّهُ الكَفَّانِ

٢١١ - فَدَعا بأهلِ الخَنْدَقِ المَيْمونِ مِنْ ... شَيْخٍ ومِنْ كَهْلٍ ومِنْ شُبَّانِ

٢١٢ - شَبِعُوا جَمِيعًا وهْوَ مِنْ بَرَكاتِهِ ... يَنْمِي ويَكْثُرُ لَيْسَ مِنْ قِنوانِ

٢١٣ - وحَدِيثُ تَمْرِ أبِي هُرَيْرَةَ ظاهِرُ الـ ... إعْجازِ مُتَّضِحٌ لِذِي تِبْيانِ

٢١٤ - عِشْرِينَ تَمْرَةً اسْتَعَدُّوا تَمْرَهُ ... بِجِرابِهِ لَمْ يُبْلِها المَلَوانِ

---

(٢٠٤) الجفان : جمع جفنة، وهى القصعة. يذكر هنا ما أخرجه أحمد والبيهقى عن سمرة بن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ أتىَ بقصعة فيها طعام، فتعاقب عليها الناس يأكلون، يقوم قوم ويقعد آخرون، من الفجر إلى الظهر. فقال رجل لسمرة : أما تُمَدُّ بشىء؟ فقال سمرة : فمن أيْشٍ تعجب؟ ما كانت تمد إلا من هنا. وأشار إلى السماء [دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ٩٣].

(٢٠٥) أبو أيوب الأنصارى الذى نزل عنده ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة.

(٢٠٦) جاء فى دلائل البيهقى عن أبى أيوب الأنصارى قال : صنعت للنبى ﷺ طعاماً ولأبى بكر قدر ما يكفيهما فأتيتهما به، فقال النبى ﷺ : اذهب فادْعُ لى بثلاثين من أشراف الأنصار». فشقَّ ذلك علىَّ وقلتُ : ما عندى شىءٌ أزيده. فكأنى تغافلت. قال ﷺ :«اذهبْ فادعُ لى بثلاثين من أشراف الأنصار. فدعوتهم فجاءوا، فقال : اطعموا. فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا. ثم قال : ادع لى ستين. قال أبو أيوب : فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا [دلائل البيهقى ٦ / ٩٤].

(٢٠٧) عكة : إناء يوضع فيه السمن أو العسل.

(٢٠٨) السمان : طائر معروف، وهو (السلوى) المذكور فى القرآن الكريم.

(٢٠٩ : ٢١٢) يذكر فى هذه الأبيات ما رواه البيهقى عن ابنة بشير بن سعيد قالت : بعثتنى أمى بتمر فى طرف ثوبى إلى أبى وخالى وهم يحفرون الخندق، فمررت على رسول الله ﷺ فنادانى فأتيته، فأخذ التمر منى فى كفيه وبسط ثوبًا فنثره عليه فتساقط فى جوانبه، ثم أمر أهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا منه حتى صدروا عنه [دلائل البيهقى ٣ / ٤٢٧]. وقوله : ينمى ويكثر ليس من قنوان. القنوان : العرجون الذى يحمل التمر، يريد أنه كان يكثر ببركة النبى ﷺ.

(٢١٤) استعَدُّوا : عدُّوا، من العدد. لم يُبْلِها : لم يُفْنِها. الملوان : الليل والنهار، وهى كناية عن مرور الزمن الطويل.

٢١٥ - يُجْنَىٰ عَلَىٰ طُولِ المَدَىٰ فَكَأَنَّهُ ... لَمْ يَجْنِهِ مِنْ نَخْلِ لَهُ صِنْوَانِ

٢١٦ - ولَقَدْ غَدَا الدَّوْسِيُّ مِنْهُ مُزَوَّدًا ... خَمْسِينَ وِسْقًا فِي رِضَا الرَّحْمٰنِ

٢١٧ - كَانَ الجِرَابُ لَدَيْهِ مَحْفُوظًا إِلَىٰ ... قَتْلِ الإِمَامِ المُرْتَضَىٰ عُثْمَانِ ١/٧٣

٢١٨ - وأَتَاهُ عَبْدُ اللهِ بِالشَّاةِ الَّتِي ... لَمْ يَفْتَرِعْهَا الفَحْلُ بِالنَّزَوَانِ

٢١٩ - فَتَحَلَّبَتْ لَبَنًا لَهُ وتَقَلَّصَتْ ... فَجَرَىٰ بِوَفْقِ مُرَادِهِ الأَمْرَانِ

٢٢٠ - وكَذَاكَ مَرَّ بِأُمِّ مَعْبَدٍ الَّتِي ... وصَفَتْهُ وَصْفَ المُعْرِبِ المِتْقَانِ

٢٢١ - فَأَتَتْ بِشَاةٍ حَائِلٍ فِي مَاحِلٍ ... مَنَعَ العِيَالَ دَرَائِرَ الأَلْبَانِ

٢٢٢ - فَدَعَا وسَمَّىٰ اللهَ يَمْسَحُ ضَرْعَهَا ... مَسْحًا وتَمْرِيَةً بِخَيْرِ بَنَانِ

٢٢٣ - فَرَوُوا جَمِيعًا والفَتَاةُ وغَادَرَتْ ... مِلءَ الإِنَاءِ لِزَوْجِهَا الغَرْثَانِ

٢٢٤ - وثَنَىٰ إِلَيْهِ دَوْحَتَيْنِ فَمَالَتَا ... حَتَّى تَخَلَّتْ مِنْهُمَا السَّاقَانِ

٢٢٥ - فَأَظَلَّتَاهُ وعَادَتَا فَإِذَا هُمَا ... فَوْقَ العُرُوقِ الخُضْرِ قَائِمَتَانِ

٢٢٦ - ودَعَا إِلَيْهِ بِأَرْضِ مَكَّةَ دَوْحَةً ... فَأَتَتْ مُحَيِّيَةً ولَمْ تَسْتَانِ

---

(٢١٥) صنوان: النخلتان تطلعان من عرق واحد.

(٢١٦) غدا: أصبح. الدوسى: لقب أبى هريرة ﷺ.

(٢١٧) سبق ذكر حديث تمر أبى هريرة الذى بقى محفوظًا عنده يأكل منه ويتصدق حتى نهب بيت أبى هريرة فى فتنة قتل سيدنا عثمان ﷺ.

(٢١٨) هو عبد الله ن مسعود ﷺ. لم يفترعها الفحل: لم يصبها، أى لم تبلغ السن التى يصيبها الفحل فيها. النزوان فى الغنم كالجماع فى البشر.

(٢١٩) فتحلبت لبنا له: نزل منها لبن غزير، وفى الأصل: فتحلبت له لبنًا، بتقديم (له) وهو خطأ يؤدى إلى كسر الوزن، والصواب تأخير الجار والمجرور كما أثبته. تقلصت: بعد أن حلب منها رسول الله ﷺ وشرب هو وأبو بكر من لبنها، قال للضرع: اقلص، فعاد كما كان. وقد سبق ذكر الحديث [عن دلائل البيهقى ٦ / ٨٤].

(٢٢٠) المعرب: المبيّن الواضح الكلام. المتقان: صيغة مالغة من الإتقان.

(٢٢١) حائل: حامل. ماحل: سنة مجدبة. درائر الألبان: شراب اللبن.

(٢٢٢) التمرية: المسح على ضرع الشاة برفق. وسبق ذكر قصة أم معبد، ومرور النبى ﷺ وأبى بكر ﷺ بخيمتها، وما حصل لها من بركة النبى ﷺ.

(٢٢٣) الغرثان: الجائع.

(٢٢٤) سبق ذكر قصة الدوحتين.

(٢٢٦) لم تستان: لم تستأن، فخفف الهمز لضرورة القافية، أى: لم تبطئ. وسبق ذكر قصة الشجرة التى شقت الأرض فجاءت إلى النبى ﷺ فسلمت عليه ثم عادت إلى موضعها.

٢٢٧ - وأتاهُ أعْـــرابِىٌّ اتَّضَـــحَتْ لَهُ ... سُـــبُلُ الهُـــدَىٰ بالقَطْعِ والإيقـــانِ

٢٢٨ - حَـــتَّىٰ أتَتْـــهُ دَوحَـــةٌ شَـــهِـــدَتْ لَهُ ... بِنُبُـــوَّةِ المَلِكِ العَظيمِ الشَّـــانِ

٢٢٩ - ودَعـــا بِعِـــذْقٍ مِنْ أعَـــالِى نَخْلَةٍ ... فـــأتَىٰ إليْـــهِ وعـــادَ نَحْـــوَ إهانِ

٢٣٠ - وعَـــلا حِـــراءً ذَاتَ يَومٍ فـــانْثَنىٰ ... لِجـــلالِهِ مُـــتَـــزَلْزِلَ الأرْكـــانِ

٢٣١ - فَـــغَـــدا يُسَكِّنُهُ ويُشْـــعِـــرُهُ بِمَنْ ... قَـــدْ حَلَّهُ مِنْ خُلَّصِ الأعْـــيـــانِ

٢٣٢ - وكَـــذَاكَ خَـــرَّ لَهُ بَعِـــيـــرٌ سَـــاجِـــداً ... قَـــدْ أقْـــبَلَتْ عَـــيْناهُ بالهَـــمَـــلانِ

٢٣٣ - يَشْكُـــو إرادَةَ أهْـــلِـــهِ نَحْـــــراً لَـــهُ ... فـــأغـــاثَهُ غَـــوْثَ الأسِـــيـــرِ العَـــانِى

٢٣٤ - وبَعِـــيـــرُ جَـــابِرِ المُـــخَلَّفُ بالوَجَىٰ ... فَـــبِـــهِ غَـــدا ذا قُـــوَّةٍ وإرانِ

٢٣٥ - وحَـــدِيثُـــهُ بالغَـــائِبـــاتِ مُـــؤَيَّدٌ ... بِوقُـــوعِ مـــا يُجْلَىٰ مِنَ الحَـــدَثانِ

٢٣٦ - كَـصَـحِـيـفَـةِ دَرَسَ الَّذِى قَـدْ أودعَتْ ... مِنْ جَـــوْرِها ضَـــرْبٌ مِنَ الدِّيدانِ

٢٣٧ - قَـصَـدَتْ قُـرَيْشُ بِهـا قَطِيـعَـةَ هَاشِمٍ ... فـأُزِيلَ مَـا فِـيـهـا مِن العُـدْوانِ

٢٣٨ - فَـــدَرَىٰ النَّبِىُّ بِهـا فـأعْلَمَ عَـمَّـهُ ... والأمْـرُ خَافٍ عَنْ ذَوِى الطُّغْيـانِ ٧٣/ب

---

(٢٢٧)،(٢٢٨) سبق ذكر قصة الأعرابى الذى دعاه النبى ﷺ إلى الإيمان فأبى الأعرابى إلا أن يريه آيه، فدعا النبى ﷺ شجرة فأقبلت إليه وشهدت بنبوته ثم رجعت إلى منبتها [والحديث فى دلائل البيهقى ٦/١٥].

(٢٢٩) العذق: جريدة النخل. وسبق ذكر دعوة النبى ﷺ العذق فجاءه حتى قام بين يديه، ثم قال له: ارجع، فرجع [انظر الحديث فى دلائل البيهقى ٦/١٥]. الإهان: العرجون مادام رطبا.

(٢٣٠)،(٢٣١) عن أنس بن مالك ﷺ قال: صعد النبى ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم (أى اضطرب الجبل وتزلزل) فضربه النبى ﷺ برجله وقال: اثبت أحدُ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيدان [البخارى: الفتح، كتاب فضائل الصحابة ٧/٥١ حديث رقم ٣٦٨٦].

(٢٣٢) وكذاك: فى الأصل (وكذا) وأثبتُّ الكاف ليستقيم الوزن ولعل الناسخ سها عن كتابة الكاف. الهملان: سيلان الدموع.

(٢٣٣) غوث: إنقاذ. العانى: الأسير. وسبق ذكر قصة الجمل الذى شكا إلى النبى ﷺ ما يلقاه من أصحابه.

(٢٣٤) إران: نشاط وقدرة على السير. وسبق ذكر معجزة جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

(٢٣٥) الغائبات أراد بها: إخبار النبى ﷺ بأمور الغيب.

(٢٣٦:٢٣٨) درس هنا بمعنى: أكل. الجور: الظلم. والإشارة فى الأبيات الثلاثة إلى الصحيفة التى أعلن فيها مشركو قريش براءتهم من بنى هاشم، وأنهم لا يجالسونهم ولا يبايعونهم =

٢٣٩ - وحَـديثُـهُ بِمَـصَـارِعِ القَـتْلَىٰ عَلَىٰ بَدْرٍ غَـداةَ تَقَـابَلَ الجَـمْـعَـانِ

٢٤٠ - وحَـديثُـهُ العَـبَّـاسَ بالمَـالِ الَّذِى أعْطاهُ أمَّ الفَـضْلِ فى كِـتْـمَـانِ

٢٤١ - وسَرَىٰ عُـمَـيْـرٌ نَحْوَ طَيْبَةَ بَعْدَ أنْ أخْـفَىٰ عُـقـودَ السِّـرِّ مَعْ صَـفْـوَانِ

٢٤٢ - مُـتَـقَلِّداً بالسَّـيْفِ يَبْـغِى غِـرَّةً لِمُـمَـنَّعٍ مِنْ كَـيْـدِ ذِى شَنَآنِ

٢٤٣ - فـأتَىٰ بِهِ الفَـارُوقَ يُمْـسِكُ سَـيْـفَـهُ يَخْـشَى تَغِـرَّةَ غَـادِرٍ خَـوَّانِ

٢٤٤ - قَـالَ المُـؤَيَّدُ: خَلِّه، وأذَاعَ مـا كَـانَا بِهِ فِى الغَـيْبِ يأتَمِـرانِ

٢٤٥ - فَـرأىٰ عُـمَـيْـرٌ مَـا دَعَـاهُ لِرُشْـدِه فَـانْقَـادَ بَعْـدَ نُفُـورِه لِلَيَـانِ

٢٤٦ - وتَكَلَّمَتْ فِى فَـتْحِ مَكَّةَ فِـرْقَـةٌ سَـمِـعُـوا بِلالاً مُـعْلِنًا بِأذَانِ

٢٤٧ - فِـيـهِمْ أبُو سُـفْـيَـانَ كُلٌّ قَـالَ مـا فِـيـهِ العِـدَا إلا أبا سُـفْـيَـانِ

= ولا يدخلون بيوتهم حتى يسلّموا رسول الله ﷺ للقتل، وأنهم لا يقبلون من بنى هاشم صلحا، فلبث بنو هاشم محاصرين فى شعب ثلاث سنين حتى جاءت حشرة الأرضة فلحست ما كان فى هذه الصحيفة من عهود ومواثيق ظالمة، ولم تترك فيها إلا اسم الله عز وجل [انظر حديث الصحيفة فى دلائل البيهقى ٢ / ٣١١ ، سيرة ابن هشام ١ / ٣٧١].

(٢٣٩) حديث مصارع القتلى فى غزوة بدر رواه مسلم والبيهقى، وفيه أن رسول الله ﷺ أخذ يضع يده على الأرض ويقول: هذا مصرع فلان. قال أنس بن مالك ﷺ وهو راوى الحديث: فما ماط (أى بَعُدَ) أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ [صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٢٦ ، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر].

(٢٤٠) أم الفضل: هى زوجة العباس عم النبى ﷺ، وقصة هذا المال أنه لما أُسِرَ العباس ﷺ فى غزوة بدر ولم يكن قد آمن بَعْدُ، جىء به إلى النبى ﷺ قال: يا رسول الله، إنى كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى. فقال النبى ﷺ: الله أعلم بإسلامك، إن يك ما تقول حقًّا فالله يجزيك به، فأمَّا ظاهرك فكان علينا (لأنه قاتل مع المشركين). فقال العباس: ليس لى مال. فقال النبى ﷺ: فأين المال الذى وضعت بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث وليس معكما أحد، قلتَ: إن أصبتُ فى سفرى فللفضل كذا ولعبد الله كذا؟ قال العباس: والذى بعثك بالحق ما علم به أحدٌ غيرى وغيرها، وإنى لأعلم أنك رسول الله [دلائل النبوة لأبى نعيم، ص ٤١٠ : ٤١١].

(٢٤١) [انظر: اتفاق صفوان مع ابن عمه عمير بن وهب فى الحجر من البيت الحرام على اغتيال رسول الله ﷺ بشرط قضاء صفوان ديون عمير وتولى شئون أولاده من بعده، فلما وصل عمير لرسول الله فاجأه النبى ﷺ بقوله لعمير: « ماذا شرطت؟ ..... فآمن عمير » [محمد الإنسان الكامل، محمد بن علوى المالكى، دار الشروق، ط ١ القاهرة، ٦٢].

(٢٤٢) غِرة: غفلة. ممنّع: محفوظ محروس. شنآن: كراهية شديدة.

(٢٤٣) تغرّة: خداع.

(٢٤٤) المؤيد: الرسول ﷺ.

٢٤٨ ـ فـأتاهُمُ الهَـادِى فـأخْـبَـرَ بالَّذِى ... قَـالوا ووُفْقَ مُـمْـسِكٌ لِلسَّـانِ

٢٤٩ ـ وقَـضىٰ بِصُلْحٍ بَعْـدَهُ سَيُـصِيبُـهُ ... بالسَّـيِّـدِ الحَـسَنِ ابْنِه فِـئَـتَـانِ

٢٥٠ ـ ولَقَـدْ رأىٰ رَجُـلاً فـأخْـبَـرَ أنَّهُ ... يَلِدُ الخَـوَارِجَ شَـرَّ مَـا وِلْدانِ

٢٥١ ـ وقَـضَىٰ بأنَّ المُـخْـدَجَ اليَـد فِـيهِـمُ ... وبِـهِ عَـلِـىٌّ كَـانَ ذَا إتْـقَـانِ

٢٥٢ ـ وعَلىٰ المَـشَـارِقُ والمَـغَـارِبِ جُنْدُهُ ... أضْـحَـوْا بِمَـوْعِـدِهِ ذَوِى سُلْطانِ

٢٥٣ ـ وبِوعْـدِهِ ظَفِـرُوا بِكَنْزَىْ فَـارِسٍ ... والرُّومِ يُنْفَقُ فِـيهِـمَـا الكَنْزانِ

٢٥٤ ـ وكَـذاكَ أخْـبَـرَ ذَاتَ يَومٍ صَـحْـبَـهُ ... أنْ سَـوْفَ يَظْهَـرُ بَعْـدَهُ صِنْفَـانِ:

٢٥٥ ـ صِنْفٌ بأيْدِيهِمْ سِـيَـاطٌ تُشْـبِـهُ الْـ ... أذْنَـابَ مِنْ بَقَـرٍ وصِنْفٌ ثانِـى

٢٥٦ ـ مِنْ كَـاسِـيَـاتٍ عَـارِيَاتٍ فِـتْـنَةٍ ... لِلنَّاسِ بالتَّـمْـيِـيلِ والمَـيَـلانِ

٢٥٧ ـ رَفَـعَتْ كَـأسْنِمَةِ الجِـمَالِ البُخْتِ مِنْ ... فَـوقِ الرُّءوسِ حَـبَـائِلَ الشَّـيْطانِ

---

(٢٤٩) أى: ومما أخبر به النبى ﷺ من أمور الغيب: مارواه البخارى وغيره عن أبى بكرة ﷺ قال: أخرج النبىُّ ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال: «ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» [الفتح: كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/٧٢٧، حديث رقم ٣٦٢٩] والفئتان اللتان أصلح بينهما الحسن هما أهل العراق، وأهل الشام على رأسهم معاوية بن أبى سفيان، وقد تنازل الحسن عن حقه فى الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان إرادة الإصلاح بين المسلمين وحقن دمائهم.

(٢٥٠) أخبر رسول الله ﷺ أن الخوارج يولدون من نسل رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو كقطعة لحم تتحرك فى اضطراب. وقد قاتل علىُّ بنُ أبى طالب هؤلاء الخوارج وأمر أن يأتوه بذلك الرجل الذى نعته النبى ﷺ فأتوه به فكان كما أخبر النبى ﷺ [والحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما، انظر: الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/٧١٤، حديث رقم ٣٦١٠].

(٢٥١) المخدج: الناقص.

(٢٥٣) من أمور الغيب التى أخبر بها النبى ﷺ أن كنوز كسرى وقيصر ستفتح على أمته من بعده. قال عدىُّ بن حاتم ﷺ وهو راوى الحديث: كنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز [رواه البخارى: الفتح، ك المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/٧٠٦ حديث رقم ٣٥٩٥].

(٢٥٥: ٢٥٧) ذكر الشاعر فى هذه الأبيات ما أخبر به النبى ﷺ فى حديث رواه مسلم وأحمد والبيهقى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» [مسلم شرح النووى، كتاب الجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون ٩/٢٠٣]. وقوله ﷺ: رؤسهن كأسنمة البخت: أى ضخمة كسنام الجمل.

٢٥٨ - ويجيءُ قومٌ لا أمانةَ عندَهُمْ ... مِنْ عُصْبَةٍ نُجْلِ البُطُونِ سِمَانِ

٢٥٩ - ولَكَمْ تَرَىٰ مِنْ مُعْجِزاتٍ ما لَها ... حَصْرٌ ولوْ أحْصَىٰ لها المَلَوَانِ ٧٤/أ

٢٦٠ - وسَتَظْهَرُ التُّرْكُ الصِّغارُ الأعْيُنِ الـ ... ـذُّلْفُ الأُنوفِ مُدَمَّرُو البُلْدَانِ

٢٦١ - ولَقَدْ تَوَالَوْا فى البِلادِ ونَحْنُ فى ... ثِقَةٍ به مِنْ كَيْدِهِمْ وأَمَانِ

٢٦٢ - ضَمِنَ النَّبِىُّ لِبَيْضَةِ الإسلامِ أنْ ... لا تُسْتَبَاحَ فَثِقْ بِخَيْرِ ضَمَانِ

٢٦٣ - وقَضَىٰ بِهَرْجٍ هَائِلٍ هُوَ ظاهِرٌ ... فِى عَصْرِنا هذا مِنَ العُجْبَانِ

٢٦٤ - والتِّرْمِذِىُّ رَوَىٰ خُروجَ النَّارِ مِنْ ... عَدْلٍ رَوَىٰ عَنْ سَادَةٍ غُرَّانِ

٢٦٥ - فَتَسُوقُ كُلَّ العَالَمِينَ لِحَشْرِهِمْ ... ولَسَوْفَ تَخْرُجُ آخِرَ الأزمانِ

٢٦٦ - وكَذاكَ أخْبَرَ أنَّ سَبَّ صِحَابِهِ ... ما لِلْمُصِرِّ عَلَيْهِ مِنْ غُفْرَانِ

---

(٢٥٨) نجل البطون : لهم بطون ضخمة .

(٢٥٩) الملوان : الليل والنهار ، أى الزمان كله .

(٢٦٠) أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر ، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه زلف الأنوف ، كأن وجوههم المجانّ المُطرَقة » [الفتح : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦ / ٦٩٩ ، حديث رقم ٣٥٨٧] . ذلف الأنوف : صغارها . المجان المطرقة : التروس المكسوة بالجلد . والشاعر هنا يذهب إلى أن الترك هم التتر الذين عاثوا فى البلاد الإسلامية فسادا خلال القرن السابع الهجرى حتى قتلوا آخر خلفاء بنى العباس ، وكان الشاعر معاصرا لهذا الخليفة .

(٢٦١) قوله : فى ثقة به ، أى بالنبى ﷺ .

(٢٦٢) بيضة الإسلام : عاصمة الخلافة الإسلامية ، وهى بغداد آنئذ .

(٢٦٣) الهرج : القتل . العجبان : مبالغة فى العجب . يشير إلىٰ قوله ﷺ : « يتقارب الزمان وينقص العمل ويُلْقَى الشحّ وتظهر الفتن ويكثر الهرج . قالوا : يا رسول الله ، أيما هو ؟ قال : القتل القتل » [الفتح كتاب الفتن ، باب ظهور الفتن ١٣ / ١٦ ، الأحاديث رقم ٧٠٦١ : ٧٠٦٦] ولقد شاع الهرج - أى القتل - فى زمان شاعرنا أيما شيوع ، علىٰ يد التتر وغيرهم .

(٢٦٤) ، (٢٦٥) الترمذى : الإمام الحافظ صاحب السنن . غرّان : جمع أغرّ . وأما الحديث الذى رواه الترمذى فى خروج النار فهو قوله ﷺ : « تخرج نار من حضرموت - أو بحضرموت - فتسوق الناس » قالوا : يا رسول الله ، ما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام [سنن الترمذى ٣ / ٢٢٦ ، مسند أحمد ٦ / ٢٤٦ ، حديث رقم ٤٥٣٦] .

(٢٦٦) قال ﷺ : « لا تسبوا أصحابى ؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه » [أخرجه البخارى وغيره ، انظر : الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ٧ / ٢٥ ، حديث رقم ٣٦٧٣] قال الحافظ ابن حجر فى شرحه للحديث : النصيف : نصف المد . ونقل عن بعض المالكية والشافعية أن من سَبَّ الصحابة فقد استحق أن يقتل .

٢٦٧ - عِلْمًا بِقَوْمٍ يَجْهَرُونَ بِسَبِّهِمْ ... مِنْ كُلِّ غَمْرٍ فَاحِشٍ لَعَّانِ

٢٦٨ - وَسَمُوا الصَّحابَةَ بالنِّفَاقِ فَيَا لَهُ ... حَدَثًا تُصَمُّ لأَجْلِهِ الأُذُنَانِ

٢٦٩ - فَلَقَدْ وَجَدْنا وَعْدَهُ مُتَيَقَّنًا ... فِيمَا ذَكَرتُ بِمَسْمَعٍ وعَيَانِ

٢٧٠ - والصَّخْرُ لانَ لَهُ بِيَوْمِ الخَنْدَقِ الْـ ... ـمَيْمُونِ لِينَ التُّرْبِ والأَطْيَانِ

٢٧١ - ولَقَدْ تَبَدَّتْ لِلصَّحابَةِ كُدْيَةٌ ... لَمْ يَسْتَطِيعوا حَفْرَها بِمِجَانِ

٢٧٢ - فأَتَىٰ ورَشَّ الماءَ رَشًّا فَوْقَها ... فَغَدَتْ لَهُ تَنْهالُ كالكُثْبانِ

٢٧٣ - ظَهرَتْ قُصورُ الشَّامِ فيهِ بِضَرْبَةٍ ... وقُصورُ فَارِسَ رَبَّةِ الإِيوانِ

٢٧٤ - والجِذْعُ حَنَّ إليْهِ عِنْدَ فِراقِهِ ... شَوْقًا حَنِينَ الهَائِمِ الوَلْهانِ

٢٧٥ - فأَتَىٰ يُسَكِّنُهُ وقالَ مُخَيِّرًا: ... إنْ شِئْتَ تَرجِعُ أَخْضَرَ العِيدانِ

٢٧٦ - أو إنْ تَشَأْ فِي الجَنَّةِ العُلْيا تَكُنْ ... فاخْتارَ غَرْسًا فِي نَخِيلِ جِنانِ

٢٧٧ - وبِكَفِّهِ الحَصَيَاتُ سَبَّحْنَ ... وبِأَمْرِهِ فِي كَفِّ كُلِّ هَجَانِ

---

(٢٦٧) غَمْر: مجهول غير معروف، وأراد به التافه الحقير. (٢٦٨) وسموا: وصفوا.

(٢٧٠) يشير إلى الكُدية - أى الصخرة الصلبة - التى ظهرت أثناء حفر الخندق فلم تؤثر فيها فئوسهم، فجاءوا إلى النبى ﷺ فقام معهم وبطنه معصوب بحجر لم يذق طعاما ثلاثة أيام، فضرب الكدية فعادت كثيبا أهيل، أى انهارت تحت قوة ضربته ﷺ [الحديث متفق عليه، انظر: الفتح، كتاب المغازى، باب غزوة الخندق ٧/ ٤٥٦ ، حديث رقم ٤١٠١].

(٢٧١) مَجَان: جمع مئجَنة وهى المطرقة، ولم أجد صيغة الجمع هذه، وذكر فى اللسان صيغتين لجمعها هما: المآجن، والمواجن.

(٢٧٢) لم يرد فى الحديث المذكور أن النبى ﷺ رش الماء على الصخرة، بل ضربها بالمعول أى الفأس.

(٢٧٣) ذكر الحافظ العسقلانى فى شرحه للحديث عدة روايات أخرى، ومن ذلك ما رواه أحمد والنسائى عن البراء بن عازب قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النبى ﷺ فجاء فأخذ المعول فقال: «بسم الله»، فضرب ضربة فكسر ثلثها وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة». ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن أبيض» ثم ضرب الثالثة وقال: «باسم الله» فقطع بقية الحجر فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا» [الفتح ٧/ ٤٥٩].

(٢٧٤: ٢٧٦) سبق ذكر معجزة حنين الجذع إلى رسول الله ﷺ.

(٢٧٧) سبق ذكر تسبيح الحصى فى كفه ﷺ، وفى كف أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.
وقوله (هجان) يعنى: الأبيض والشريف من الناس.

٢٧٨ - وهُمـا وَزِيراهُ وعُـثـمـانُ الَّذى ... بِكَريمَـتَـيْـهِ زَكَـا لَهُ النُّورانِ

٢٧٩ - ونَوَتْ لَهُ حَـمَّـالَةُ الحَطَبِ الأذَىٰ ... ولَبِـئْسَ مـا هَمَّتْ بِهِ مِنْ شَـانِ

٢٨٠ - فـأظَلَّهُ مَلَكٌ بِفَـضْلِ جَناحِـهِ ... فانْصاعَتِ اللَّكْعاءُ بالحِرْمانِ ٧٤/ب

٢٨١ - وشَكا إلَيـهِ الجَـيْشُ مِنْ ظَمـأٍ وهُمْ ... فِى مَـهْـمَـهٍ لَيْـسُـوا علىٰ غُـدْرانِ

٢٨٢ - فَلَقُـوا فَـتَـاةً فى الفَـلاةِ وقَـدْ أتَتْ ... بِمـزادَتَيْنِ بِظَهْـرِ ذى وَخَـدانِ

٢٨٣ - فَـدعَـا وسَـمَّىٰ اللهَ يَتْـفِلُ فِـيـهِـمـا ... فـانْـهَـلَّتـا كَـمُـجَلْجِلٍ هَتَّـانِ

٢٨٤ - فَـمَـضَـتْ بِرِفْـدٍ ثُمَّ مـاءٍ وافِـرٍ ... وهُـدًى إلـىٰ قَـومٍ ذَوِى أوْثـانِ

٢٨٥ - وكَـذَاكَ أدْخَلَ فى إنَاءٍ كَـفَّـهُ ... والجَـيْشُ مِنْ ظَمَـأٍ ذَوُو هَيَـمَـانِ

٢٨٦ - فَلَظَلَّ يَنْبُعُ مِنْ أصـابِعِـهِ الرِّوَىٰ ... وبُرُودُ قَلْبِ الحـائِمِ الوَلْهَـانِ

٢٨٧ - ولَقَـدْ تَفَـجَّـرَتِ الرَّكِـيُّ بِسَـهْـمِـهِ الْـ ... ـمَـغْـرُوزِ فِـيـهـا مِنْ أعَـزِّ كِنانِ

---

(٢٧٨) كذا ورد هذا البيت فى الأصل، ولعل سقطًا حدث من الناسخ؛ لأن الانتقال من سرد معجزات النبى ﷺ إلى مناقب وزيريه رضى الله عنهما، يحتاج إلى توطئة، كما أن الضمير (وهما) فى أول البيت لا يعود على سابقه، فلابد أن ثمة بيتا سقط أو عدة أبيات.

(٢٧٩) حمالة الحطب: امرأة أبى لهب المذكورة فى القرآن بهذا اللقب. شان: شأن، خفف الهمز لضرورة القافية.

(٢٨٠) انصاعت: رجعت ذليلة خاضعة. اللكعاء: اللئيمة. والحديث المشار إليه فى هذا البيت وسابقه هو ما رواه البزار عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ جاءت امرأة أبى لهب، فقال أبو بكر للنبى ﷺ: لو تنحَّيْت. قال: إنه سيُحَال بينى وبينها. فأقبلت ولم تر النبى ﷺ، فلما ولت قال أبو بكر: ما رأتك. فقال له النبى ﷺ: « مازال ملك يسترنى حتى ولت » [أخرجه البزار والحميدى وأبو يعلى، انظر: الفتح، ٨ / ٦١٠ ، تعليق الحافظ بن حجر على الحديث رقم ٤٩٧٣].

(٢٨١) مهمه: صحراء مقفرة لا ماء فيها. والغدران: جمع غدير.

(٢٨٢) المزادة: إناء يوضع فيه الزاد من طعام أو شراب، والمراد هنا: قربة الماء. وقوله: يظهر ذى وخدان، أى كانت هذه المرأة تحمل مزادتين فوق جمل مسرع.

(٢٨٣) انهلّتا: تدفق منهما ماء غزير. مجلجل: صفة لموصوف محذوف، أى بماء ذى صوت عال من شدته. هتّان: غزير منصبّ بشدة.

(٢٨٤) رفد: عطاء وخير. يقول إن النبى ﷺ سقى الجيش من هذين الإناءين، وأعطى المرأة إناءيها وأعطاها طعاما وافرا، ثم رجعت وقصت الأمر على قومها المشركين فهداهم الله إلى الإيمان. وسبق ذكر هذه القصة.

(٢٨٥) هَيمان: عطش شديد.

(٢٨٦) الرِّوى: وصف لمحذوف والتقدير: الماء الروى. أى ظل الماء يتدفق من أصابعه حتى ارتوى الجيش، وارتوت قلوبهم من ذلك الماء.

(٢٨٧) الركىّ: الصخرة. كنان: جمع كنانة، وهى الوعاء الذى توضع فيه السهام.

٢٨٨ - وأتىٰ علىٰ بِئْـــرٍ تمَنَّعَ مـــاؤُها ... أنْ يُسْـــتَـــقَىٰ بالدَّلْوِ والأَشْطانِ

٢٨٩ - فَـغَـدَتْ بِمـاءٍ فِـيـهِ فَـاضِلُ رِيقِـهِ ... نَهْـــرًا منَ الأنْهـــارِ ذَا جَـــرَيانِ

٢٩٠ - وشَكا ذَوُو بِئْـــرٍ تمَنَّعَ مَـــاؤُها ... فى الصَّـــيْفِ عِنْدَ تَوَقُّـــدِ الحَـــرَّانِ

٢٩١ - فَـتَـلا عَلَىٰ سَبْعٍ عُـدِدْنَ منَ الحَصَىٰ ... مَـــا شَـــاءَ مِنْ ذِكْـــرٍ ومِنْ قُـــرْآنِ

٢٩٢ - فَـرَمَـوْا بِهـا فِـيـهـا فَلَمْ يُرَ قَـعْـرُها ... مِنْ بَعْـــدُ مِنْ مـــاءٍ بِهـــا لَجَّـــانِ

٢٩٣ - وتَحَـــوَّلَ المِلْحُ الأُجَـــاجُ بِرِيقِـــهِ ... عَـــذْبًا يَلَذُّ لِشـــارِبٍ ظَمْـــآنِ

٢٩٤ - وسَـقَىٰ فَـرَوَّىٰ بالبُـيُـوتِ حَـدِيقَـةً ... فَكَفَىٰ المَـشَـقَّـةَ صَاحِبَ البُسْـتَانِ

٢٩٥ - واسْـمَعْ حَـدِيثَ أبِى هُرَيْرَةَ إذْ غَـدا ... وفُـــؤادُهُ بالجُـــوعِ ذُو أشْـــجَـــانِ

٢٩٦ - فـأتَىٰ النَّبِىَّ المُـصْطَفَىٰ مُـتَـعَـرِّضًـا ... فـاسْـتَـبْـشَـرَ الدَّوْسِىُّ بالإحْـسَـانِ

٢٩٧ - فـــأتَاهُ قَـــعْـبٌ مِلْؤُهُ لَبَنٌ فلَمْ ... يَمْلِكْ طَمَـاعَـةَ جَـائِعٍ لَهْـفَـانِ

٢٩٨ - قـال: ادْعُ لِى الفُـقَـراءَ أهْلَ الصُّفَّـةِ الـ ... ـشُّـعْثَ الرُّءوسِ الضُّـمَّـرَ الأبْدانِ

٢٩٩ - فـأتَوْا فَلَمْ يَصْـدُرْ فَـتًى عَنْ قَـعْـبِـهِ ... إلا بِـصَـــــــدْرٍ نـاعِـمٍ رَيَّـانِ

٣٠٠ - ثُـمَّ ارْتَـوَىٰ الدَّوْسِىُّ بَعْـــدَ إيَاسِـــهِ ... عَلَلاً علىٰ نَهَلٍ فَـــثِقْ بِبَـيَـــانِ

---

(٢٨٨) الأشطان: الحبال التى تنزل بها الدلاء فى البئر.

(٢٨٩) أى: أصبحت هذه البئر نهرا جاريا لما تفل فيها رسول الله ﷺ.

(٢٩٢) سبق ذكر المعجزة المشار إليها فى هذا البيت وسابقه، وكذا المعجزات المذكورة فى الأبيات السابقة المتعلقة بتكثير الطعام والشراب، ونبع الماء من أصابعه ﷺ أو بملامسته للحجر أو بسهم أو غير ذلك [راجع فى هذه المعجزات: فتح البارى، ك المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام، مسلم: ك الفضائل، باب فى معجزات النبى ﷺ. دلائل النبوة للبيهقى، جماع أبواب دعوات نبينا ﷺ فى الأطعمة والأشرة جـ ٦].

(٢٩٣) الأجاج: الشديد الملوحة.

(٢٩٦) متعرضا: سائلا عطاءه.

(٢٩٧) قعب: قدح ضخم.

(٢٩٨) الصفة: ظلة فى مؤخرة مسجد النبى ﷺ كان يأوى إليها الفقراء والغرباء، وإليها ينسب أهل الصفة ممن لم يجدوا مكانا يقيمون فيه [راجع كتابنا: موعظة البقاع الشريفة، ص ٣٢]. شعث الرءوس: شعورهم غير منسقة. ضمر الأبدان: نحفاء من شدة الجوع والزهد.

(٢٩٩) يصدر: يرجع.

(٣٠٠) إياسه: يأسه. العلل: الشرب الأول. النهل: الشرب بعد الشرب.

٣٠١ - ورأىٰ ابنُ مَسْعودٍ وكانَ غُلَيِّمًا ... يَرْعَىٰ بِأَجْرٍ لَمْ يُعَبْ بِخِيَانِ ١/٧٥

٣٠٢ - وسَعَىٰ أبو جَهْلٍ إليْهِ بَعْدَ أنْ ... حَلَفَ اللَّعِينُ بِأَخْبَثِ الأَيْمانِ

٣٠٣ - لَوْ قَدْ رآهُ سَاجِدًا لَسَطَا بِهِ ... فَلَكَيْفَ يُدْبِرُ عَنْهُ ذا نُكْصانِ؟

٣٠٤ - لَمَّا رأىٰ مَنْ لَوْ دَنا لَتَخَطَّفُوا ... أعْضاءَهُ كَتَخَطُّفِ العِقْبانِ

٣٠٥ - وأتاهُ ذُو كَيْدٍ بِفِهْرٍ فانْثَنَىٰ ... وبَنانُهُ باليُبْسِ شَرُّ بَنانِ

٣٠٦ - وكَفاهُ رَبُّ العَرْشِ شَرَّ عِصابَةٍ ... مَرَدُوا علىٰ العُدْوانِ والطُّغْيانِ

٣٠٧ - مُسْتَهْزِئِينَ بأَرْضِ مَكَّةَ خَمْسَةً ... لَمْ يَكْتَمِلْ لِهَلاكِهِمْ يَوْمانِ

٣٠٨ - وأتَتْ شَياطِينُ الفِجَاجِ إليْهِ فِي ... أيْدِيهِمُ شُهُبٌ منَ النِّيرانِ

---

(٣٠٣) سطا به: هجم عليه. نكصان: خذلان وهروب. وصدر هذا البيت هو المقسم عليه المذكور فى البيت السابق، أى: أقسم أبو جهل لو رأى النبى ﷺ ساجداً لهجم عليه.

(٣٠٤) العقبان: جمع عُقاب، وهو طير جارح كالنسر. لما هم أبو جهل أن يطرح الصخرة على النبى ﷺ وهو ساجد، ثم فرَّ مخذولاً منتقع اللون مرعوباً. فلما سأله المشركون: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: لما دنوت منه عرض لى دونه فحلٌ من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته، فهمَّ أن يأكلنى. وقال ﷺ: «لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» [مسلم بشرح النووى ١٠/٣١٦، باب خصال المنافقين].

(٣٠٥) فهر: حجر. بنانه: أصابعه. تيبَّست أصابع ذلك الرجل الذى أراد أن يرمى النبى ﷺ فلم يستطع أن يقذف الحجر، وعاد إلى أصحابه وقد التصقت أصابعه بالحجر، فعجبوا من ذلك ثم ظلّوا يحاولون تخليص أصابعه حتى خلّصوها من الحجر [انظر الحديث فى: دلائل النبوة لأبى نعيم، ص ١٥٥].

(٣٠٧) هؤلاء الخمسة هم الذين أنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر / ٩٥. قال ابن عباس: المستهزءون الخمسة: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بن عنطلة السهمى، والعاص بن وائل. وكل هؤلاء الكفرة لقوا مصيراً فظيعاً، فمنهم من ظل يطعن بالشوك فى عينه حتى عميت عيناه، ومنهم من خرجت فى رأسه قروح دامية حتى مات، ومنهم من أصيب بداء فى بطنه حتى خرج الماء من فيه فمات، ومنهم من قتلته شوكة [انظر: دلائل البيهقى ٢/٣١٦ وما بعدها، وتفسير ابن كثير للآية (٩٥) من سورة الحجر].

(٣٠٨) يشير الصرصرى فى هذا البيت إلى ما رواه أبو نعيم أن الشياطين تحدرت على النبى ﷺ من الجبال والأودية، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن انطفأت شعلته وانكبَّ لمنخره (أى سقط على وجهه)؟ قل: «أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته التامة التى لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها، ومن شرّ فتن الليل، ومن شرّ طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن» [دلائل أبى نعيم ص ١٤٩].

٣٠٩ - يَبْغُونَهُ كَيْداً فأطْفأ نَارَهُمْ ... وتَفَرَّقُوا بِمَذَلَّةٍ وهَوَانِ

٣١٠ - وأرادَ شَيْطانٌ أذَاهُ فَشَدَّهُ ... بَيْنَ السَّوَارِى شَدَّ عَانٍ جَانِى

٣١١ - وذِراعُ شَاةِ الخَيْبَرِيَّةِ أصْبَحَتْ ... بالسُّمِّ تُخْبِرُهُ بِلا إكْتَانِ

٣١٢ - ورأىٰ بِبابِ خِبَاءِ قَوْمٍ ظَبْيَةً ... مَحْبُوسَةً عَنْ مَرْتَعِ الغِزْلانِ

٣١٣ - نَطَقَتْ فَنادَتْهُ: السَّلامُ عَلَيْكَ، كُنْ ... لِى مُطْلِقًا لأسِيرَ نَحْوَ إرَانِى

٣١٤ - قَالَ السَّدِيدُ الحُكْمِ: أنتِ رَبِيطَةٌ ... ونَصِيبُ أقْوامٍ مِنَ الحَيَوانِ

٣١٥ - قالتْ: فَلِى خِشْفَانِ إنْ أهْمَلْتَنِى ... يَهْلِكْ بِفَقْدِ رَضَاعِىَ الخِشْفَانِ

٣١٦ - فَسَقَتْهُما وأتَتْ إلَيْهِ فَرَدَّها ... بِشِراكِ قَنَّاصٍ أُغِرْنَ مِتَانِ

٣١٧ - ودَعَاهُ مَالِكُها فأطْلَقَها لَهُ ... فَمَضَتْ لَها زَجَلٌ مِنَ الشُّكْرانِ

٣١٨ - وأتَىٰ إلَيهِ حارِثٌ فى كُمِّهِ ... ضَبٌّ وكانَ العَبْدُ ذَا كُفْرانِ

٣١٩ - فَهَدَتْهُ للحُسْنَىٰ شَهادَةُ ضَبِّهِ ... بِرِسالَةِ المَبْعُوثِ مِنْ عَدْنانِ

٣٢٠ - وأتَىٰ أُوَيْسٌ - وهْوَ ذِئْبٌ - سائِلاً ... قِسْطًا يَكونُ لَهُ علىٰ القُطْعانِ

---

(٣١٠) السوارى: أعمدة المسجد. شدَّه: ربطه. عان: أسير.

(٣١١) إكتان: إخفاء. وسبق ذكر حديث الشاة المسمومة.

(٣١٢) المرتع: المرعى.

(٣١٣) الإران: كناس الحيوان، وهو بيت تسكن فيه الغزلان يكون فى تجويف شجرة أو نحوها.

(٣١٤) ربيطة: مربوطة.

(٣١٥) الخشف: رضيع الظبية.

(٣١٦) شراك: جمع شَرَك، وهو حبل المصيدة.
أُغِرْنَ: أجيد فَتلُها. متان: جمع متين. يذكر الصرصرى هنا ما سبق أن ذكره فى عديد من قصائده، وهو قصة الظبية التى سألت النبى ﷺ أن يطلقها كى ترضع أولادها ثم تعود. فقال لها رسول الله ﷺ: صَيدُ قومٍ وربيطة قوم. ثم أطلقها بعد أن أخذ عليها العهد بالرجوع، فأرضعت ولديها ثم عادت.
[دلائل البيهقى ٦/ ٣٤ ، دلائل أبى نعيم ص ٣٢٠].

(٣١٧) زَجَل: غناء. الشكران: الشكر.

(٣١٨) الحارث: صائد الضَبّ.

(٣١٩) سبق ذكر شهادة الضب بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

(٣٢٠) أويس: اسم الذئب كما شرحه الناظم، وسبق ذكر الذئب الذى طلب نصيبه من الصدقة.

٣٢١ - وأتَتْ يَهُودُ مُعِدَّةً لِمَسائِلٍ ... فأجابَهُمْ عَنْها بِغَيْرِ تَوانِ

٣٢٢ - عَرَفوا نُبوَّتَهُ بِها وبِغَيْرِها ... لٰكِنَّهُمْ ضَلُّوا عَلىٰ عِرْفانِ ٧٥/ب

٣٢٣ - ولَقَدْ رأىٰ مِنْ خَلْفِهِ كَأمامِهِ ... وكَذا النَّهارُ ولَيْلُهُ سِيَّانِ

٣٢٤ - وَتَنامُ عَيْناهُ ولَيْسَ بِغافِلٍ ... لٰكِنْ بِقَلْبٍ مُبْصِرٍ يَقْظانِ

٣٢٥ - وأتَىٰ إلىٰ العَبَّاسِ ثُمَّ دَعا لَهُ ... ولِوُلْدِهِ فى الدَّارِ بالغُفْرانِ

٣٢٦ - فَتَلاهُ تامِينُ الجِدارِ وقَبْلَها ... لَمْ يُسْمَعِ التَّأمِينُ مِنْ جُدْرانِ

٣٢٧ - ودَعا عَلِيًّا يَوْمَ خَيْبَرَ وهْوَ لا ... يَسطِيعُ حَرْبًا أرْمَدَ الأجْفانِ

---

(٣٢١) ذكر الحافظ ابن حجر أن رأس اليهود ميمون بن يامين جاء إلى رسول الله ﷺ وآمن بنبوته. ثم جاءه اليهود فقال لهم النبى ﷺ: اختاروا رجلاً يكون حكماً بينى وبينكم. قالوا: قد رضينا ميمون بن يامين. فقال لهم ميمون: أشهد أنه رسول الله. فأبوا أن يصدقوه [الفتح: كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبىَّ ﷺ حين قدم المدينة ٧ / ٣٢١، تعليق الحافظ ابن حجر على الباب]. ومن مسائل اليهود للنبى ﷺ ما سبق ذكره من مسائل عبد الله بن سلام ﷺ وكان حبراً من كبار أحبار اليهود فآمن بنبوته ﷺ وأبى اليهود أن يستجيبوا له [انظر: حديث مسائل عبد الله بن سلام فى: الفتح: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧ / ٢٩٣ - ٢٩٤، حديث رقم ٣٩١١].

(٣٢٢) قوله: ضلّوا على عرفان، أى مع أنهم يعرفون صدق نبوته ﷺ فقد أضلوا أنفسهم وكذبوا به، وهم كما قال عنهم رب العزة ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ البقرة / ١٤٦، الأنعام / ٢٠.

(٣٢٣) كان النبى ﷺ يرى من وراء ظهره دون أن ينظر خلفه، وكذا الليل والنهار سواء عنده.

(٣٢٤) سبق ذكر الحديث المشار إليه، وهو قوله ﷺ: «تنام عينى ولا ينام قلبى» [الفتح كتاب المناقب، باب كان النبى ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ٦ / ٦٧٠، حديث رقم ٣٥٦٩، ٣٥٧٠].

(٣٢٥) الوُلد: جمع وَلَد.

(٣٢٦) تأمين الجدار: قوله «آمين». يشير فى هذا البيت وسابقه إلى ما رواه البيهقى وأبو نعيم، أن رسول الله ﷺ جاء إلى عمه العباس رضى الله عنه فقال له ولأبنائه: تقاربوا تقاربوا تقاربوا. ثم غطاهم بملاءة وقال: يارب، هذا عَمِّى وصِنْو أبى، وهؤلاء أهل بيتى، فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه. فأمَّنت أسكُفَّةُ البَاب وحوائط البيت: آمين آمين آمين. وقد شك الحافظ البيهقى فى صحة الحديث وأورده تحت عنوان « باب ما جاء فى تأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعاء نبينا محمد ﷺ... إن صحَّت الرواية » وقال محقق الدلائل الدكتور عبد المعطى قلعجى فى حاشيته على هذا الحديث: بإسناده وضَّاع ومجهول [انظر: دلائل البيهقى ٦ / ٧١ - ٧٢].

(٣٢٧) يسطيع: لغة فى: يستطيع.

٣٢٨ - فَدعَا لَهُ مَعَ تَفْلِ رِيقَتِهِ فَلَمْ ... يَرْمَدْ لَهُ مِنْ بَعْدِها عَيْنانِ

٣٢٩ - ودَعَا لَهُ أَنْ لا يَضُرَّ بِجِسْمِهِ ... حَرٌّ ولا بَرْدٌ بِكُلِّ أَوَانِ

٣٣٠ - فَشِتَاؤُهُ فِيهِ القَمِيصُ كَجُبَّةٍ ... والصَّيْفُ فِيهِ الفَرْوُ كالكِتَّانِ

٣٣١ - وكَذا ابنُ عَبَّاسٍ أَعَدَّ طَهُورَهُ ... فَدَعَا لَهُ بالعِلْمِ والتِّبْيانِ

٣٣٢ - فَحَوَى العُلومَ وكَانَ طَوْدًا راسِخًا ... فِيهَا وأَمْعَنَ غَايَةَ الإِمْعَانِ

٣٣٣ - ودَعَا لِشَخْصٍ بالجَمَالِ فَجاوَزَ الـ ... ـتِّسْعِينَ وهْوَ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ

٣٣٤ - وبَغَى أَخُو دَوْسٍ هِدايَةَ أُمِّهِ ... فَأَبَتْ فَأَقْبَلَ مُسْتَهِلَّ الشَّانِ

٣٣٥ - نَحْوَ النَّبِيِّ المُصْطَفَى فَدَعَا لَهَا ... فَنَجَتْ بِدَعْوَتِهِ من الكُفْرانِ

٣٣٦ - ودَعَا لَهُ ولأُمِّهِ بِمَحَبَّةٍ ... حَلَّتْ بِبَاطِنِ كُلِّ ذِي إِيمَانِ

٣٣٧ - ودَعَا المُهَيْمِنَ أَنْ يُسَلِّطَ كَلْبَهُ ... يَوْمًا عَلَى مُتَمَرِّدٍ فَتَّانِ

٣٣٨ - فَأَظَلَّهُ سَفَرٌ فَخَافَ دُعَاءَهُ ... فَدَعَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الخُلَّانِ

٣٣٩ - فَتَحَلَّقُوا هُمْ والرَّوَاحِلُ حَوْلَهُ ... فَدَهَاهُ بَأْسُ غَضَنْفَرٍ غَضْبَانِ

---

(٣٢٨) سبق ذكر دعاء النبى ﷺ لعلى وتفله فى عينه الرمداء حتى شفى من الرمد بإذن الله وببركة رسول الله ﷺ وبركته.

(٣٣٢) الطود: الجبل. أى كان ابن عباس فقيهًا عظيمًا ببركة دعاء النبى ﷺ: «اللهم علمه الحكمة، اللهم علمه الكتاب» [رواه البخارى وغيره: الفتح، ك فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضى الله عنهما ٦/١٢٦، حديث رقم ٣٧٥٦] وكان ابن عباس من أعلم الصحابة بتفسير القرآن، حتى كان عمر بن الخطاب ﷺ يقدمه مع الشيوخ وهو شاب. أفاده الحافظ ابن حجر فى تعليقه على الحديث المذكور.

(٣٣٣) أشار هنا إلى الحديث الذى رواه أبو نعيم عن عمرو بن الأخطب قال: استسقى رسول الله ﷺ فأتيته بجمجمة (أى بقدح من الخشب) وفيها ماء وفيه شعرة فتناولتها، فنظر إلى فقال: اللهم جمّله. قال راوى الحديث: فرأيته وهو ابن ثلاث وتسعين وما فى رأسه ولحيته شعرة بيضاء [دلائل النبوة، ص ٣٩٣].

(٣٣٤) بغى: أراد. أخو دوس: كنية أبى هريرة ﷺ. مستهل الشان: دموعه تسيل.

(٣٣٦) يذكر هنا ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ وطلب من النبى ﷺ أن يدعو لأمه بالهداية وكانت كافرة فقال: «اللهم اهد أم أبى هريرة.. فما لبث أبو هريرة حتى عاد إلى منزله فوجد أمه تتوضأ ثم قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» [مسلم بشرح النووى، كتاب فضائل الصحابة ١٦/٥١-٥٢].

(٣٣٧: ٣٤٠) يشير الناظم فى هذه الأبيات إلى ما رواه أبو نعيم أن عتيبة بن أبى لهب قال للنبى ﷺ: يا محمد، هو يكفر (أى عتيبة نفسه) بالذى دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك!» فسار أبو لهب وابنه عتيبة =

٣٤٠ - فـاغْـتـالَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فـإذَا بِهِ ... وَسْطَ العَرِينِ مُمَزَّقَ الجُثْمَانِ

٣٤١ - واشْتَدَّ بَرْدٌ غُدْوَةً فَتَخَلَّفُوا ... عَنْهَا تَخَلُّفَ عَاجِزٍ كَسْلانِ

٣٤٢ - فَدعَا بِكَسْرِ البَرْدِ عَنْهُمْ فانْثَنَوْا ... يَتَرَوَّحُونَ بِفَاضِلِ الأرْدَانِ

٣٤٣ - فَضَلَ النَّبِيِّينَ الكِرامَ جَمِيعَهُمْ ... بِخَصائِصَ اجْتَمَعَتْ لَهُ ومَعانِي ٧٦/أ

٣٤٤ - عَمَّ البَرَايَا بالرِّسَالَةِ إنْسَهُمْ ... والجِنَّ ثُمَّتَ خُصَّ بالقُرْآنِ

٣٤٥ - جُعِلَتْ لَهُ الأرْضُ البَسِيطَةُ مَسْجِداً ... وتُرَابُهَا جُعِلَ الطَّهُورَ الثَّانِي

٣٤٦ - ولَهُ الغَنَائِمُ حُلِّلَتْ ولِنَصْرِهِ ... رِيحُ الصَّبَا كَانَتْ مِنَ الأعْوانِ

٣٤٧ - والرُّعْبُ كَانَ علَىٰ مَدىٰ شَهْرٍ لَهُ ... بِقُلوبِ مَنْ عَادَاهُ وخْزَ سِنَانِ

٣٤٨ - بُعِثَتْ مَقَالِيدُ الكُنوزِ جَمِيعُهَا ... تُهْدَىٰ إلَيْهِ عَلَىٰ سَرَاةِ حِصَانِ

٣٤٩ - جُعِلَتْ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ ... فَلَهُ اسْتَقَامَ الزُّهْدُ عَنْ إمْكانِ

٣٥٠ - وأتَىٰ إلَيْهِ هَدِيَّةٌ مِنْ رَبِّهِ ... مِنْ جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ قِطْفٌ دَانِي

٣٥١ - ولَقَدْ أتَىٰ عَنْهُ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ ... سَأسُوقُ مَعْنَاهُ لِذِي نُشْدَانِ:

= فى الصحراء حتى نزلوا بصومعة راهب وأخبرهم الراهب أن هذه الأرض تكثر فيها الأسود، فخشى أبو لهب على ابنه ففرشوا فراشا وباتوا حوله يحرسونه، فجاء الأسد فشم وجوه القوم ثم انصرف باحثا عن عتيبة حتى شم ريحه فوثب عليه وأكله. فقال أبو لهب: قد عرفت - والله - ما كان لينفلت من دعوة محمد [دلائل أبى نعيم، ص ٣٨٩ : ٣٩٠].

(٣٤١) قوله (عنها): يعنى عن الصلاة.

(٣٤٢) يتروحون: يهزون أطراف أكمامهم كالمرواح. الأردان: الأكمام. يشير إلى ما رواه البيهقى عن بلال ﷺ قال: أذنت فى غداة باردة، فخرج النبى ﷺ فلم ير فى المسجد أحدا فقال: أين الناس يا بلال؟ قلت: منعهم البرد. فقال ﷺ: اللهمَّ أذهب عنهم البرد. قال بلال: فرأيتهم يتروحون [دلائل البيهقى ٦ / ٢٢٤].

(٣٤٣) فضل: زاد فى الفضل عليهم. وسيذكر فى الأبيات التالية خصائص سيدنا محمد ﷺ وفضله على أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٣٤٥) الطهور الأول هو الماء، والتراب الطهور الثانى..

(٣٤٧) الوخز: الطعن. السنان: الرمح.

(٣٤٨ : ٣٤٩) سراة: ظهر. الحديث المشار إليه هنا هو ما أخرجه أحمد فى مسنده عن جابر ﷺ أن النبى ﷺ قال: « أوتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس » [حديث رقم ١٣٩٨٩]. وقوله: فله استقام الزهد عن إمكان، أى: فكان زهد النبى ﷺ فى الدنيا زهد المتمكن منها لا زهد المحروم.

(٣٥٠) سبق ذكر حديث قطف العنب الذى جاء للنبى ﷺ من الجنة.

(٣٥١) نشدان: طلب.

٣٥٢ - فِى مَجْمَعِ الكَتِفَيْنِ مِنْهُ شَامَةٌ ... هِىَ لِلنُّبُوَّةِ فِيهِ كَالعُنْوَانِ

٣٥٣ - وبِمَكَّةَ الفَيْحَاءَ مَوْلِدُهُ فَقَدْ ... فَاقَتْ لِذَلِكَ سَائِرَ البُلْدَانِ

٣٥٤ - مِنْهَا مُهَاجَرُهُ إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا ... نَخْلٌ كَثِيرٌ زِينَ بِالقِنْوَانِ

٣٥٥ - هِىَ يَثْرِبٌ هِىَ طَيْبَةٌ هِىَ دَارُهُ ... حَظِيَتْ بِمَجْدٍ شَامِخِ البُنْيَانِ

٣٥٦ - وعَلَىٰ بِلادِ الشَّامِ يَظْهَرُ مُلْكُهُ ... فَتَذِلُّ قَهْرًا عُصْبَةُ الصُّلْبَانِ

٣٥٧ - واسْتَعْلَنَ الحَقُّ المُبِينُ بِنُورِهِ ... بَيْنَ الجِبَالِ الشُّمِّ مِنْ فَارَانِ

٣٥٨ - مَا مِنْ نَبِىٍّ مُجْتَبًى إِلا لَهُ ... يَوْمَ المَعَادِ إِذَا أَتَىٰ نُورَانِ

٣٥٩ - ويَجِىءُ تَابِعُهُ بِنُورٍ وَاحِدٍ ... ولأَحْمَدَ الدَّاعِى إِلَىٰ الإِيمَانِ

٣٦٠ - فِى كُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ نُورٌ والَّذِى ... يَتْلُوهُ ذُو نُورَيْنِ يَبْتَدِرَانِ

٣٦١ - ولَنَعْتُ شَعْيَا لِلنَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ... ولَنَعْتُ حِزْقِيلٍ كَذَاكَ أَتَانِى

٣٦٢ - وصِفَاتُ أُمَّتِهِ كَذَلِكَ بُيِّنَتْ ... فِيهَا لِقَلْبِ العَالِمِ الرَّبَّانِى

٣٦٣ - غُرٌّ لآثَارِ الوُضُوءِ عَلَيْهِمُ ... نُورٌ مُضِيءٌ سَاطِعُ اللَّمَعَانِ

٣٦٤ - والحَمْدُ للهِ العَظِيمِ شِعَارُهُمْ ... فِى البُؤْسِ والأَفْرَاحِ والأَحْزَانِ ٧٦/ب

---

(٣٥٢) شامة : علامة بارزة فى جلد الكتف، وهى خاتم النبوة .

(٣٥٣) الفيحاء : الواسعة .

(٣٥٤) القنوان : العراجين التى تحمل الرطب .

(٣٥٧) الشمّ : العالية . فاران : اسم مكة المكرمة فى التوراة . وسبق ذكر الخبر المشار إليه فى الأبيات (٣٥١ : ٣٥٧) وهو فى التوراة [انظر : سفر التكوين، الإصحاح السابع والعشرون] وقد ذكر الصفات المذكورة فى الأبيات كعب الأحبار لسيدنا عمر بن الخطاب لما سأله : كعب : رأيت فى التوراة أن سيد الخلق والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يظهر من جبال فاران ويظهر التوحيد والحق، ثم يتنقل إلى طيبة فتكون حروبه وأيامه بها ثم يقبض فيها ويدفن بها [انظر : خير البشر ص ٥٧] .

(٣٥٨) مجتبى : مختار .

(٣٦٠) يبتدران : يسبقانه . يقول فى هذا البيت وسابقيه إن كل نبى يأتى يوم القيامة وله نوران، ولتابعه نور واحد، أما سيدنا محمد ﷺ فيأتى نورا كله كل جزء منه يشع بالنور، ويأتى تابعوه ولكل منهم نوران . يشير فى هذا إلى قوله عز وجل : ﴿ نورهم يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ التحريم / ٨ .

(٣٦١) تقدم نعت شعيا وحزقيل للنبى ﷺ وكذا صفات أمته ﷺ كما سيذكرها فى الأبيات التالية .

٣٦٥ - وإذا عَلَوْا شَرَفًا عَظِيمًا كَبَّروا ... أصْواتُهُمْ كالنَّحْلِ بالقُرْآنِ

٣٦٦ - فيهِمْ صلاةٌ بَرَّةٌ لَوْ أنَّها ... كانَتْ لِعادٍ لَمْ تُصَبْ بِهَوانِ

٣٦٧ - وهُمُ رُعاةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ الَّذِى ... يَطْوِى مَنازِلَهُ عَلىٰ حُسْبانِ

٣٦٨ - وهُمُ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ عِصابَةَ الـ ... ـدَّجّالِ ذِى التَّضْلِيلِ والبُهْتانِ

٣٦٩ - لَمَّا رَأَىٰ مُوسَىٰ الكَلِيمُ صِفاتِهِمْ ... وعَطاءَهُمْ مِنْ عِزَّةٍ وصِيانِ

٣٧٠ - سَأَلَ اللُّحُوقَ بِهِمْ وتِلْكَ فَضِيلَةٌ ... خَلُصَتْ لأُمَّتِهِ بِكُلِّ أوانِ

٣٧١ - كانَتْ يَهُودُ بِهِ عَلىٰ أعْدائِهِمْ ... يَسْتَفْتِحُونَ بِسالِفِ الأزْمانِ

٣٧٢ - وبِوصْفِهِمْ أضْحَىٰ المُتَوَّجُ تُبَّعٌ ... بالمُصْطَفَىٰ العَرَبِىِّ ذَا إيمانِ

٣٧٣ - لٰكِنَّهُمْ حَسَدُوهُ بَغْيًا فاعْتَدَوْا ... كَعُدُوِّهِمْ فِى السَّبْتِ بالحِيتانِ

٣٧٤ - هُوَ أحْمَدُ الهادِى السِّراجُ مُحَمَّدٌ ... قَتّالُ أهْلِ الشِّرْكِ والطُّغْيانِ

٣٧٥ - هُوَ شاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ هُوَ مُنْذِرٌ ... ومُبَشِّرُ الأبْرارِ بالرِّضْوانِ

٣٧٦ - هُوَ فاتِحٌ هُوَ خاتَمٌ هُوَ حاشِرٌ ... هُوَ عاقِبٌ هُوَ شافِعٌ للجانِى

٣٧٧ - وهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ صَفْوَةِ شَيْبَةِ الـ ... ـحَمْدِ بنِ هاشِمِ الذَّبِيحِ الثّانِى

٣٧٨ - أصْلُ الدِّيَاتِ فِداؤُهُ مِنْ ذَبْحِهِ الـ ... ـمَنْذُورِ إذْ هُوَ عاشِرُ الإخْوانِ

٣٧٩ - والأبْيَضُ الوَجْهِ المُعَظَّمُ جَدُّهُ ... شَيْخُ الأباطِحِ سَيِّدُ الحُمْسانِ

٣٨٠ - لَمَّا اصْطَفَىٰ اللهُ الخَلِيلَ وزادَهُ ... شَرَفًا ونَجّاهُ مِنَ النِّيرانِ

---

(٣٦٥) شرفًا: مكانًا مرتفعًا. (٣٦٦) بَرَّة: جامعة لمعانى الخير كلها.

(٣٦٨) البهتان: أشد الكذب.

(٣٦٩) صيان: حفظ.

(٣٧١) يستفتحون به: يستنصرون بالنبى العربى ﷺ الذى يجدونه عندهم فى التوراة.

(٣٧٣) كعدوهم: اعتدائهم ومجاوزتهم أمر الله تعالى. الحيتان: السمك. أمر الله تعالى اليهود بألا يصيدوا يوم السبت، فكانوا يبيتون الشباك فى الماء يوم الجمعة ثم يأخذون هذه الشباك بعد انقضاء يوم السبت، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة، قال تعالى: ﴿ **ولَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ البقرة / ٦٥ .

(٣٧٧) الذبيح الأول: سيدنا إسماعيل عليه السلام. والذبيح الثانى: عبد الله والد نبينا ﷺ.

(٣٧٩) شيخ الأباطح: سيدنا عبد المطلب بن هاشم، والأباطح: اسم لمكة المكرمة. الحمسان: اسم لمجموعة قبائل عربية هى: قريش وكنانة وجديلة قيس، سموا حُمسًا أو حمسانًا لأنهم تحمسوا فى دينهم، أى تشددوا [انظر: النهاية لابن الأثير ١ / ٤٤٠] .

٣٨١ - اخْتَارَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ أَوْلَادِهِ ... وَبَنِي كِنَانَةَ مِنْ بَنِي عَدْنَانِ

٣٨٢ - ثُمَّ اصْطَفَىٰ مِنْهُمْ قُرَيْشًا وَاصْطَفَىٰ ... أَبْنَاءَ هَاشِمٍ الْفَتَىٰ الْمِطْعَانِ

٣٨٣ - ثُمَّ اصْطَفَىٰ خَيْرَ الأَنَامِ مُحَمَّدًا ... مِنْ هَاشِمٍ فَسَمَتْ عَلَىٰ قَحْطَانِ

٣٨٤ - وَأَبَانَ كَعْبٌ جَدُّهُ فِي خُطْبَةٍ ... بِعَرُوبَةٍ فِي غَابِرِ الأَحْيَانِ

٣٨٥ - فَضْلَ النَّبِيِّ وَوَدَّ أَنْ يَبْقَىٰ إِلَىٰ ... أَيَّامِهِ لِقِتَالِ ذِي شَنَآنِ ١/٧٧

٣٨٦ - وَلَقَدْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ بِجَبِينِ عَبْـ ... ـدِ اللهِ ظَاهِرَةً لِذِي عِرْفَانِ

٣٨٧ - وَبَدَتْ بِآمِنَةَ الحَصَانِ لِحَمْلِهَا ... بِأَخَفِّ حَمْلٍ رَاجِحِ الْمِيزَانِ

٣٨٨ - حَتَّىٰ بَدَتْ أَنْوَارُهُ فِي وَضْعِهَا ... فَرَأَتْ قُصُورَ الشَّامِ رُؤْيَةَ دَانِي

٣٨٩ - وَضَعَتْهُ مَخْتُونًا وَمَسْرُورًا وَقَدْ ... أَهْوَىٰ سُجُودًا مِنْهُ لِلدَّيَّانِ

٣٩٠ - وَلَدَتْهُ عَامَ الفِيلِ يَوْمَ اثْنَيْنِ فَاحْـ ... ـتَازَ الفَخَارَ بِفَضْلِهِ الاثْنَانِ

٣٩١ - بِرَبِيعِ الأَدْنَىٰ بِثَانِي عَشْرِهِ ... وَيُوَافِقُ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانِ

٣٩٢ - وَتَحَدَّثَتْ بِوِلَادِهِ الأَحْبَارُ وَالـ ... ـرُّهْبَانُ وَالوَاعِي مِنَ الكُهَّانِ

٣٩٣ - خَمَدَتْ لَهُ نَارُ الْمَجُوسِ وَزُلْزِلَتْ ... مَعَ الانْشِقَاقِ جَوَانِبُ الإِيوَانِ

---

(٣٨٣) نظم الشاعر فى الأبيات الأربعة (٣٨٠ : ٣٨٣) قوله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» [مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل ١٥ / ٢٦].

(٣٨٤) كعب: هو الجد الثامن لنبيّنا ﷺ، وكان يجمع قومه يوم العَروبة، وهو يوم الجمعة، فيعظهم ويذكّرهم مبعث النبى محمد ﷺ وأنه من ولده، ويأمرهم باتباعه. ومن خطبته التى أشار فيها إلى ظهور النبى ﷺ قوله: سيأتى لحرمكم نبأ عظيم، وسيخرج منه نبى كريم، وأنشد أبياتا آخرها:

على غفلة يأتى النبىُّ محمدٌ ... فَيُخبر أخباراً صدوقٌ خبيرها

وكان بين موت كعب وميلاد النبى ﷺ خمسمائة وستون سنة. ويقال إن كعبًا هو أول من قال: أما بعد. وتنسب إلى كعب الخطبة المشهورة المنسوبة إلى قس بن ساعدة [انظر: سيرة ابن هشام ١ / ٩ ، السيرة الحلبية ١ / ٢٥].

(٣٨٥) فضلَ: مفعول (أبان) فى البيت السابق. شنآن: بُغض وعداوة.

(٣٩٠) احتاز: حاز، أى حصل له. والاثنان هو يوم الاثنين، يجوز إعرابه إعرا ب المثنى، كما يجوز إبقاؤه على لفظه بالياء.

(٣٩١) نيسان: إبريل.

(٣٩٢) سبق ذكر العديد من بشارات الأحبار والرهبان والكُهّان بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

(٣٩٣) وزلزلت: فى الأصل (وذُلّلت) ولعله سهو من الناسخ. وقد تكرر ذكر تزلزل إيوان كسرى وتشققه وخمود نار المجوس لمبعثه ﷺ.

٣٩٤ - ورأى أنوشُرْوَانُ رُؤْيا روَّعَتْ ... منْهُ الفُؤادَ فَظَلَّ ذَا خَفَقَانِ

٣٩٥ - فَمضَى الرَّسُولُ إلىٰ سَطِيحٍ سَائِلاً ... فأتَى الجَوابُ إلىٰ أنُوشُرْوَانِ

٣٩٦ - أنْ سَوْفَ يَظْهَرُ أمْرُ دينِ مُحَمَّدٍ ... حَتَّىٰ يُزِيلَ المُلْكَ منْ سَاسَانِ

٣٩٧ - سَعِدَتْ حَلِيمَةُ ظِئْرُهُ برِضَاعِهِ ... وحَوَىٰ الفَخَارَ رَضِيعُهُ بِلَبَانِ

٣٩٨ - ورأتْ بِهِ البَرَكَاتِ مُنْذُ غَدَتْ بِهِ ... وأتَانُهَا فِي الرَّكْبِ خَيْرُ أتَانِ

٣٩٩ - وغَدَتْ تَدِرُّ لَهَا الشِّيَاهُ العُجْفُ فِي الـ ... ـزَّمَنِ المَحِيلِ فَأقْبَلَ الشَّدْيَانِ

٤٠٠ - فِي خَصْلَتَيْنِ يَفُوقُ آدَمَ فِيهِمَا ... وهُمَا لأهْلِ الحَقِّ واضِحَتَانِ

٤٠١ - شَيْطَانُ آدَمَ كَافِرٌ يُغْوِي وقَدْ ... وصَلَتْ هِدايَتُهُ إلى الشَّيْطَانِ

٤٠٢ - ولِزَوْجِهِ عَوْنٌ عَلَيْهِ وإنَّهُ ... بِنِسائِهِ قَدْ كَانَ خَيْرَ مُعَانِ

٤٠٣ - وخَلِيلَتَا نُوحٍ ولُوطٍ ضَلَّتَا ... فَهُمَا بِرَبِّ العَرْشِ كَافِرَتَانِ

---

(٣٩٥) تروى كتب الأخبار أنه لما ولد سيدنا محمد ﷺ تزلزل إيوان كسرى وسقطت أربع عشرة شرفة من شرفاته، فتشاءم كسرى أنوشروان بذلك، فأحضر كبير كهان المجوس (الموبذان موبذ) ووزيره وولاة مملكته وأخبرهم بما أصاب إيوانه وما حدث من خمود النيران. ثم كتب كسرى إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة يأمره بأن يبعث إليه عبد المسيح الغسّاني فلما مثل بين يدى كسرى أنوشروان قال له: هل عندك علم ما أريد أن أسألك عنه؟ قال: لا، ولكن ليخبرنى الملك عما يريد علمه. فقال أنوشروان: إنما أريد من يعلم أمرى قبل أن أذكره له. فقال عبد المسيح: هذا يعلمه خالٌ لى اسمه سطيح. فذهب عبد المسيح إلى سطيح يسأله فقال سطيح: بعثك ملك آل ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان... وأخبره أن هذا زمان بعث النبى العربى، وأن من بقى من ملوك الفرس لا يتعدّى عددهم ما سقط من شرفات الإيوان [خير البشر بخير البشر ص ١٠٠ : ١٠٥].

(٣٩٧) الظئر: المرضعة. (٣٩٨) الأتان: أنثى الحمار.

(٣٩٩) العجف: جمع عجفاء، وهى الهزيلة. المحيل: المجدب.

(٤٠٠) لابد أن بيتا أو أكثر سقط قبل هذا البيت، لأن الانتقال مفاجئ.

(٤٠١) قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الجن». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياى، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير» [صحيح مسلم، ك صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٥٠٣٤].

(٤٠٢) يقول: وكانت زوج سيدنا آدم عليه السلام عونا عليه، لأن الشيطان أغواها ودخل إلى آدم عن طريقها، أما سيدنا محمد ﷺ فكان نساؤه عونا له لا عليه.

(٤٠٣) قال الله عز وجل في امرأتي نوح ولوط عليهما السلام: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾ التحريم / ١٠ .

٤٠٤ - ونِسَاؤُهُ الخَيْرَاتُ هُنَّ نِسَاؤُهُ ... مَعَ نَاعِمَاتٍ فِي الجِنَانِ حِسَانِ

٤٠٥ - حُرِّمْنَ أنْ يُنْكَحْنَ تَعْظِيمًا لَهُ ... مِنْ بَعْدِهِ وعُصِمْنَ مِنْ بُهْتَانِ

٤٠٦ - وهُوَ الحَبِيبُ ولَمْ تَفُتْهُ خُلَّةٌ ... ولَهُ الكَلامُ ورُؤْيَةُ الرَّحْمٰنِ ٧٧/ب

٤٠٧ - لَوْ أنَّ مُوسَىٰ فِي زمانِ نَبِيِّنا ... أضْحَىٰ لَهُ تَبَعًا ولَمْ يَسْتَانِ

٤٠٨ - ولَذِكْرُهُ المَرْفُوعُ مَقْرُونٌ إلىٰ ... ذِكْرِ الإلٰهِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

٤٠٩ - بِحَيَاتِهِ فِي الحِجْرِ أقْسَمَ مَنْ بِهِ ... فِي الشَّرْعِ يُعْقَدُ مُحْكَمُ الأيْمَانِ

٤١٠ - وبَنَىٰ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ وَصْفُهُ ... فَسَمَتْ لَهُ فِي المَجْدِ غُرٌّ مَبَانِي

٤١١ - ودَعَا جَمِيعَ أُولِي النُّبُوَّةِ باسْمِهِ ... ودَعَاهُ بالتَّعْظِيمِ فِي القُرْآنِ

٤١٢ - وكَذَاكَ رَدَّ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ أُولِي الـ ... ـتَّكْذِيبِ رَدَّ مُمَاحِلٍ حَنَّانِ

٤١٣ - وسِوَاهُ رَدَّ عَلَىٰ الخُصُومِ مُمَاحِلاً ... عَنْ نَفْسِهِ فَتَبَايَنَ الحَالانِ

---

(٤٠٤) الخيّرات: جمع خَيْرة، وهى المرأة الحسنة الخَلْق والخُلُق. يقول إن نساء النبى فى الدنيا هن أزواجه فى الآخرة أيضا.

(٤٠٥) قال الله عز وجل: ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما** ﴾ الأحزاب / ٥٣. قال ابن كثير: أجمع العلماء قاطبة على أن من توفى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه فى الدنيا والآخرة، ولأنهن أمهات المؤمنين [تفسير ابن كثير ٣/ ٩١].

(٤٠٦) خُلَّة: صَفْو ومودة.

(٤٠٧) يستان: يستأنى، خفف الهمز لضرورة القافية، وحذفت الياء للجزم، أى لم يبطئ. وفى البيت خصوصية لسيدنا رسول الله ﷺ وهى اتباع موسى له لو كان حيا حال بعثته ﷺ واردة فى الحديث: «لو كان أخى موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعى» إرواء الغليل للألبانى.

(٤١٠) غُرّ: فى الأصل (غير) ولعله سهو من الناسخ، لأن مراد الناظم: فأصبح له فى المجد مبان زاهرة مشرقة، أى له الشرف العظيم بما آتاه ربه من خلق عظيم.

(٤١١) فى كل نداء للنبى محمد ﷺ خوطب بصفته نبيًا أو رسولاً. فقال الله عز وجل: ﴿ **يا أيها النبي** ﴾ التحريم / ١، وقال: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ المائدة / ٦٧. وخوطب سائر أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، بأسمائهم، نحو قوله تعالى: ﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم ۝ قد صدقت الرؤيا** ﴾ الصافات/ ١٠٤، ١٠٥. وقوله تعالى: ﴿ **قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين** ﴾ الاعراف / ١٤٤.

(٤١٢) مماحل: مجادل مدافع.

(٤١٣) يشير فى هذا البيت وغيره إلى أن من خصائص سيدنا محمد ﷺ أن الله عز وجل قد تولى الجدال عنه فيما اتهم به، فحين قالوا إنه مجنون قال الله عز وجل: ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ التكوير / ٢٢، وقالوا: شاعر، فقال الله عز وجل: ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ يس / ٦٩. وسائر الأنبياء جادلوا عن أنفسهم، فلما قال قوم نوح عليه السلام:=

٤١٤ - ولَمَا أتَىٰ فى النُّورِ والحُجُرات مِنْ ... تَعْظِيمِهِ كَافٍ لِذِى إيمَانِ

٤١٥ - فَلَقَدْ نُهُوا أنْ يَجْعَلُوهُ كَبَعْضِهِمْ ... عِنْدَ الخطابِ ويَجْهَرُوا بِلِسَانِ

٤١٦ - وبِهِ سَمَتْ فى النَّاسِ أُمَّتُهُ عَلَىٰ ... مَنْ قَبْلَهَا بالعَطْفِ والجُبْرَانِ

٤١٧ - الآخِرونَ ولَيْسَ عَنْ نَقْصٍ بِهِمْ ... لٰكِنْ بِفَضْلٍ مُهَيْمِنٍ مَنَّانِ

٤١٨ - هُمْ يَشْهَدُونَ عَلَىٰ عُيوبِ سِوَاهُمُ ... وعُيُوبُهُمْ فى سُتْرَةٍ وصِيَانِ

٤١٩ - وهُمُ الكِرامُ السَّابِقُونَ غَداً وهُمْ ... نِصْفٌ لأهْلِ النُّورِ أو ثُلُثَانِ

٤٢٠ - سُبْحَانَ مَنْ مَنَحَ النَّبِىَّ مُحَمَّداً ... مِنْهُ بِحُسْنِ الخَلْقِ والإحْسَانِ

٤٢١ - لكأنَّهُ قَدْ صَاغَهُ مِنْ فِضَّةٍ ... وكَسَاهُ نُوراً سَاطِعَ اللَّمَعَانِ

٤٢٢ - مُتَبَلِّجٌ بَادِى الوَضَاءَةِ بَاهِرٌ ... فى الحُسْنِ دَانَ لِنُورِهِ القَمَرَانِ

٤٢٣ - فى الوَجْهِ تَدْوِيرٌ وأشْرَبَ حُمْرَةً ... فَوقَ البَيَاضِ الزَّاهِرِ الخَدَّانِ

٤٢٤ - رَحْبُ الجَبِينِ تُخَالُ ضَوْءَ جَمَالِهِ ... كالشَّمْسِ يَوْمَ الصَّحْوِ فى نَيْسَانِ

= ﴿ إنَّا لنراكَ في ضلالٍ مُبينٍ ﴾ الأعراف / ٦٠ .
فرد نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضلالَةٌ ولَكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ الأعراف / ٦١ .
وكذا غيره من الرسل عليهم السلام.

(٤١٤) تكرر فى سورة النور ذكر الرسول ﷺ معطوفًا على الله عز وجلّ، كما فى الآيات (٤٧ : ٥٣)، ومن الآيات الدالة على تعظيم الرسول ﷺ فى هذه السورة قوله تعالى: ﴿ لا تجعلوا دُعاءَ الرَّسولِ بينكُم كدُعاءِ بعضِكُم بعضًا قد يعلمُ اللَّهُ الَّذين يتسلَّلُون منكُم لواذًا فليحذرِ الَّذين يخالفُون عن أمرِه أن تصيبهُم فتنةٌ أو يصيبهُم عذابٌ أليمٌ ﴾ النور / ٦٣ .
وفى سورة الحجرات أمر بغض الأصوات عند رسول الله ﷺ، ونهى عن سبق النبى ﷺ بقضاء أمر من الأمور، وذلك فى الآيتين الأوليين من السورة، قال تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تُقدِّمُوا بين يدي اللَّهِ ورسولِه واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ سميعٌ عليمٌ ۝ يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا ترفعُوا أصواتَكُم فوقَ صوتِ النَّبيِّ ولا تجهرُوا لَه بالقولِ كجهرِ بعضِكُم لبعضٍ أن تحبطَ أعمالُكُم وأنتُم لا تشعرُون ﴾ الحجرات / ١ - ٢ .

(٤١٩) جاء فى مسند أحمد عن النبى ﷺ قال: « خُيِّرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتى الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ». قال الشيخ العلامة أحمد شاكر فى الحاشية: إسناد ضعيف. ورجح رواية الطبرانى للحديث بالمعنى نفسه ولكن بسند مغاير.

(٤٢٢) الوضاءة: إشراق الوجه من أثر الوضوء.

(٤٢٣) الزاهر: اللامع.

(٤٢٤) يوم الصحو: الصافى الذى ليس فيه سحاب ولا مطر. وفى الأصل: كالشمس فى الصحو، وهو مكسور.

٤٢٥ - زادَ امْتِدادُ الحَاجِبَيْنِ جَبِينَهُ ... حَتَّىٰ كَأَنَّهُمَا لَهُ نُونَانِ

٤٢٦ - كالمِسْكِ نَكْهَتُهُ وأَطْيَبُ مَخْبَرًا ... مَا حَالَ عَنْهُ بِطِيبِهَا البُرْدَانِ

٤٢٧ - لا بالطَّوِيلِ ولا القَصِيرِ وإنْ مَشَىٰ ... بَيْنَ الطِّوالِ فأَقْصَرُ الأَغْصَانِ ٢/٧٨

٤٢٨ - لا ظِلَّ فى قِصَرِ الزَّمَانِ وطُولِهِ ... فَوقَ الثَّرَىٰ لِقَوامِهِ الرَّيَّانِ

٤٢٩ - مَا قَابَلَ الشَّمْسَ المُنِيرَةَ فى الضُّحَىٰ ... والبَدْرَ وهْوَ بأَكْمَلِ الدَّوَرَانِ

٤٣٠ - إلاَّ تَلأْلأَ نُورُهُ فَعَلاهُمَا ... فَهُمَا لَهُ بالفَضْلِ مُعْتَرِفَانِ

٤٣١ - وإذا سَنَىٰ المِصْبَاحِ قَابَلَ نُورَهُ ... سَلَبَ الذُّبَالَ تَشَعْشُعَ الوَقَدَانِ

٤٣٢ - وإذا الصَّفَا مَسَّتْهُ رَاحَةُ كَفِّهِ ... أَضْحَىٰ الصَّفَا كَعَجِينَةِ العَجَّانِ

٤٣٣ - والمِسْكُ والكَافُورُ إنْ نُسِبَا إلَىٰ ... نَفَحَاتِهِ فَهُمَا لَهُ عَبْدَانِ

٤٣٤ - مَا كَانَ مُفْتَقِرًا إلَىٰ رَيَّاهُمَا ... وهُمَا إلَىٰ رَيَّاهُ مُفْتَقِرَانِ

٤٣٥ - أَوَ مَا سَمِعْتَ بِرَبَّةِ النِّطْعِ الَّذِى ... أَضْحَىٰ لَهُ عَرَقُ النَّبِىِّ يُدَانِى

٤٣٦ - فَلَقَدْ حَوَتْهُ فى عَتَائِدِ طِيبِهَا ... فَشَأَىٰ فُنونَ الطِّيبِ والأَدْهَانِ

٤٣٧ - وأَتَتْهُ أُمُّ عَرُوسِ الْتَمَسَتْ لَهَا ... مِنْهُ الَّذِى هُوَ مُصْلِحٌ للشَّانِ

---

(٤٢٥) شبه امتداد الحاجبين بحرف النون.

(٤٢٦) النكهة: الرائحة. المخبر: الباطن. ما حال: لم يتغير طيب ريحه.

(٤٢٨) يقول: لم يكن للنبى ﷺ على الأرض ظل، سواء فى الصيف أو فى الشتاء.

(٤٣١) الذبال: شعلة المصباح.
تشعشع: انتشار الضوء. الوقدان: الضياء.

(٤٣٢) الصفا: الحجر.

(٤٣٤) الرَّيَّا: النضارة وطيب الرائحة.

(٤٣٥) ربة: صاحبة. النطع: بساط يفرش. يدانى: يخالطه. وربة النطع هى السيدة أم سليم، أم أنس بن مالك، وكان النبى ﷺ ينام عندها.

(٤٣٦) العتائد: جمع عتيدة، إناء تضع المرأة فيه أعزَّ متاعها، ومما يوضع فيه العطر. شأى: غلب وفاق. فنون: أنواع. يشير إلى حديث أنس ﷺ قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال (من القيلولة) عندنا فعرق، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها (أى تمسحه) فاستيقظ النبى ﷺ فقال: يا أم سليم، ما هذا الذى تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب [صحيح مسلم بشرح النووى، ك الفضائل، باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به ١٥ /٨٧].

(٤٣٧) التمست: طلبت.

٤٣٨ - مَـــلأَ النَّبِيُّ لِهٰـذِهِ قَـــارُورَةً ... عَـرَقًـا لَهُ سَـمَـحَتْ بِهِ الزَّنْدَانِ

٤٣٩ - كَانَتْ تَضُوعُ عَلَىٰ المَدِينَةِ طِيبُهَا ... فَـيُـقَـالُ : هٰذا عِطْرُ بِنْتِ فُـلانِ

٤٤٠ - فَـخْـرُ المَـلابِسِ كُلِّهَا بِجَـمَـالِهِ ... وبِـهِ تُـزانُ بَـدائِـعُ الأَلْـوانِ

٤٤١ - يَنْمُـو إِذا لَبِسَ البَـيـاضَ بَهَـاؤُهُ ... حَـتَّـىٰ يُـنَوِّرَ مُظْلِمَ الأَكْـنانِ

٤٤٢ - وتَرَاهُ فِي خُـضْـرِ الثِّـيَـابِ كَـرَوْضَـةٍ ... غِبَّ السَّـمـاءِ غَـضِـيـضَـةِ الأَفْـنانِ

٤٤٣ - ولَقَـدْ عَـلاهُ حُـلَّـتَـانِ تَـرَوِّيَا ... بِالزَّعْـفَـرانِ الغَضِّ صَـفْـراوَانِ

٤٤٤ - يُهْـدِي إِلَىٰ الحَـبْـرِ الفَـخَـارَ إِذَا أَتَىٰ ... وعَلَيْـهِ مِنْ يَـمَنِيِّـهـا بُـرْدَانِ

٤٤٥ - مِنْ كُلِّ أَصْنافِ الثِّـيـابِ لِبَـاسُـهُ ... مِنْ قُـطْـنِـهـا والصُّـوفِ والكِتَّـانِ

٤٤٦ - قَـدْ كَـانَ يَلْبَسُ جُـبَّـةً مَـزْرُورَةً ... فِي الحَـرْبِ عِنْدَ تَصـادُمِ الأَقْـرانِ

٤٤٧ - ولَـهُ رِدَاءٌ أَخْـضَـرٌ يَـلْـقَىٰ بِهِ ... مَنْ جـاءَ مِنْ وَفْـدٍ مِنَ البُلْدَانِ

٤٤٨ - وعِـمـامَـةٌ سَـوْداءُ يُشْـرِقُ وَجْـهُـهُ ... فِـيـهـا لَهُ مِنْ خَلْفِـهِ طَرَفـانِ ٧٨/ب

٤٤٩ - ولَـهُ قَلَنْسُـوَةٌ لِيَـوْمِ إِقـامَـةٍ ... ولِظَـعْـنِـهِ أُخْـرَىٰ لَـهَـا أُذُنـانِ

٤٥٠ - شَـرَفُ السَّـراوِيلِ المَـصُـونُ بِلُبْـسِـهِ ... ولِبُـسِ سَـاقَـيْـهِ سَـمَـا الخُـفَّـانِ

---

(٤٣٧) التمست : طلبت .

(٤٣٨) قارورة : زجاجة .

(٤٣٩) تضوع : يفوح عطرها . ي

شير فى الأبيات (٤٣٧ - ٤٣٩) إلى ما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر والطبرانى عن أبى هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، إنى زوجت ابنتى وأحب أن تعيننى . قال : « ما عندى شىء، ولكن ائتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة » . فأتاه فجعل النبى ﷺ يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة وقال : « خذها وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود فى القارورة وتطيب به » ، فكانت إذا تطيبت يشم أهل المدينة رائحة الطيب ، فسموا بيت المطيبين [نقلاً عن : حجة الله على العالمين، ص ٤٨٨] والملاحظ أن الذى أتى النبى ﷺ أبوها، بينما الصرصرى ينسب القصة إلى أم الفتاة، ولعل هناك حديثاً آخر فى هذا الخبر .

(٤٤١) الأكنان : الأماكن المستورة .

(٤٤٢) غبّ : عَقب . السماء : المطر . غضيضة : ناعمة مزدهرة . الأفنان : الأغصان .

(٤٤٤) انظر ماذا أراد بهذا البيت .

(٤٤٦) الأقران : الأمثال فى القوة وغيرها .

(٤٤٧) كان النبى ﷺ يلقى الوفود فى حلة خضراء [البداين والنهاية لابن كثير ١ / ١٨٣] .

(٤٤٩) القلنسوة : شىء كالعمامة يلبس فوق الرأس . الظعن : السفر .

٤٥١ - حُبُّ النَّبِيِّ عَلَىٰ النُّفُوسِ مُقَدَّمٌ ... والأَهْلِ والأَوْلادِ والزِّيجانِ

٤٥٢ - كَلِفَ الجَمادُ بِحُبِّهِ ودَلِيلُهُ ... مَا جاءَ عَنْ أُحَدٍ وعَنْ حُمْدانِ

٤٥٣ - مِنْ صِدْقِ حُبِّهِما لَهُ أَفَذُو الحِجىٰ ... أَوْلَىٰ لَهُ حُبًّا أَمِ الحَجَرانِ؟

٤٥٤ - حَسَنُ الخَلائِقِ لَمْ يَكُنْ بِمُعَنِّفٍ ... أَحَدًا ولا بالفاحِشِ اللَّعّانِ

٤٥٥ - فاقَ العَذارَىٰ فى الخُدُورِ حَياؤُهُ ... لا شَينَ فِيهِ لِصاحِبٍ أَوْ شانِى

٤٥٦ - مِنْ لُطْفِهِ ما مَرَّ قَطُّ بِنِسْوَةٍ ... إلا وسَلَّمَ أَوْ عَلَىٰ صِبْيانِ

٤٥٧ - وإذا دَعاهُ المَرْءُ كانَ جَوابُهُ ... لَبَّيْكَ لِلأَصْحابِ والغِلْمانِ

٤٥٨ - ولَقَدْ رَوَىٰ أَنَسٌ فَقالَ: خَدَمْتُهُ ... عَشْرًا فَلَمْ يَنْقَمْ عَلَىٰ لَيّانِ

٤٥٩ - مَا قالَ لِى أُفٌّ ولا لِمَ عاتِبًا ... فِى حالِ إهْمالِى ولا نِسْيانِى

٤٦٠ - وبِمَسْمَعٍ مِنْهُ ومَرْأًى كانَ فى ... بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ جارِيَتانِ

٤٦١ - يَتَغَنَّيانِ فأَنْكَرَ الصِّدِّيقُ إذْ ... قَدْ كانَ يُضْرَبُ عِنْدَهُ دُفّانِ

---

(٤٥١) حب النبى مقدم على النفس والأولاد وارد فى حديث: « لا يؤمن الرجل حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » صحيح مسلم فى الإيمان ب ١٦ رقم ٦٩ ومجمع الزوائد ١ / ٨٨].

(٤٥٢) كَلِفَ بحبه: أحبه حبًا شديداً. ودليل ذلك ما جاء عن أُحُد، وهو قوله ﷺ وهو متوجه إلى المدينة لما رأى أحدا : « هذا جبيل يحبنا ونحبه » [البخارى: الفتح، كتاب الزكاة، باب خرص التمر ٣ / ٤٠٣، حديث رقم ١٤٨١، وتكرر فى عدة مواضع أخرى عند البخارى وغيره]. واستخدام صيغة التصغير فى هذا الحديث يفيد مزيد حبه ﷺ لهذا الجبل، وتقديم (يحبنا) دليل على كلف الجماد بحب رسول الله ﷺ ومن آمن به.

(٤٥٣) الحجى: العقل. والاستفهام إنكارى.

(٤٥٥) الخدور: الأماكن المستورة للنساء. الشين: العيب. شانى: شانئ، أى كاره، خفف الهمز لضرورة القافية.

(٤٥٦) من لطفه: فى الأصل: من لقطه، ويمكن قراءتها: من لفظه، ولا معنى لهما، وأقرب صورة لفظية للأصل هو ما أثبته، كما أنه مناسب للمعنى والسياق. وقد روى عن النبى ﷺ أنه كان يسلّم على الصبيان.

(٤٥٧) روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا [مسلم بشرح النووى، ك الفضائل، باب سخاؤه ﷺ ١٥ / ٧١].

(٤٥٨) حديث أنس هذا سبق ذكره، وهو فى [صحيح مسلم بشرح النووى ١٥ / ٦٩].

(٤٥٩) جاء صدر البيت فى الأصل هكذا: ما قال أف ولم يقل لم عاتبا. ووزنه مكسور، فلعل ما أثبته هو الصواب، وهذا المعنى ضمن حديث أنس المذكور.

(٤٦٢) ذكر فى الأبيات (٤٦٠ : ٤٦٢) الحديث المتفق عليه عن عائشة رضى الله عنها =

٤٦٢ - قالَ الكَريمُ البَرُّ : كُفَّ، فإنَّها ... أيَّامُ عيدٍ، فاسْمَعُوا إخْوانِي

٤٦٣ - وحَديثُ عَائشَةَ الرَّضِيُّ وُقُوفُهُ ... مَعَها لِيَنْظُرَ فِرْقَةَ الحُبْشانِ

٤٦٤ - كانوا بمَسْجِدِهِ وهُمْ مِنْ ضَارِبٍ ... بِحِرابِهِ دَرَقًا ومِنْ زَفَّانِ

٤٦٥ - كانَتْ تَكِلُّ وتَسْتَرِيحُ وإنَّها ... بوُقُوفِ لا ضَجِرٍ ولا تَعْبَانِ

٤٦٦ - واسْتَنْشَدَ الأشْعارَ مُسْتَمِعًا لَها ... مُسْتَحْسِنًا مِنْ غَيْرِ ما نُكْرانِ

٤٦٧ - أهْدَىٰ لَهُ العَبَّاسُ أبْياتًا بِها ... مَدْحٌ يَفُوقُ قَلائدَ العِقْيانِ

٤٦٨ - فَدَعَا لَهُ وأتاهُ كَعْبٌ مَادِحًا ... بِقَصِيدَةٍ مَرْضِيَّةِ الأوْزانِ

٤٦٩ - فأجازَهُ ولَطالَمَا مِنْ قَبْلِهِ ... سَمِعَ المَدائِحَ فِيهِ مِنْ حَسَّانِ ١/٧٩

٤٧٠ - هُوَ رَحْمَةٌ للنَّاسِ مُهْدَاةٌ لَهُم ... ولأجْلِ ذَاكَ نَفُوزُ بالرِّضْوانِ

= قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ !؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دَعْهما [البخارى: الفتح، ك العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، حديث رقم ٩٤٩ ، ٩٨٧].

(٤٦٣) الحبشان: أهل الحبشة.

(٤٦٤) الدرق : التروس. زَفَّان: راقص، من الزَّفْن.

(٤٦٥) تكل: تتعب. يشير فى الأبيات الثلاثة إلى حديث عائشة رضى الله عنها قالت: رأيت النبى ﷺ يسترنى وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد، فزجرهم عمر، فقال النبى ﷺ: « دعهم. أمنًا بنى أرفدة ». يعنى: من الأمن [الفتح، كتاب العيدين، حديث رقم ٩٥٠ ، ٩٨٨].

(٤٦٦) أخبار استنشاد النبى ﷺ الشعر كثيرة متواترة، بل لقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين تنشده الشعر فيطرب له ﷺ، بل جاء بعض كلامه ﷺ منظومًا دون قصد منه كقوله يوم حنين:

أنا النبى لا كَذِبْ ... أنا ابن عبد المطلب

(٤٦٧) قلائد : جمع قلادة، وهى العقد. العقيان: نوع من الأحجار الكريمة. وقصيدة العباس بن عبد المطلب فى مدحه ﷺ أورد القاضى عياض بعض أبياتها، ومنها:

وأنتَ لمَّا ولدت أشرقت الأر ... ضُ وضاءت بنورِكَ الأفُقُ

فنحن فى ذلك الضياء وفى النُّو ... رِ وسُبْلِ الرشاد نخترقُ

يا بردَ نار الخليل يا سببًا ... لعصمة النَّار وهى تحترق

(٤٦٨) كعب: هو كعب بن زهير صاحب البردة.

(٤٦٩) أجازه: كافاه، وذلك بإهدائه بردته الشريفة. وحسان: هو حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ.

٤٧١ - ومِنَ الصِّفاتِ المَعْنَوِيَّةِ حِلْمُهُ ... والصَّفْحُ عَنْ ذَنْبِ المُسِيءِ الجَانِي

٤٧٢ - لَقِيَ الأَذَىٰ مِنْ قَوْمِهِ ومُرادُهُ ... إِصلاحُهُمْ وهُمُ ذَوُو أَضْغانِ

٤٧٣ - سألُوهُ تَحْوِيلَ الصَّفَا ذَهَبًا لَهُمْ ... وزَوالَ شُمٍّ فِي الشِّعَابِ رِعَانِ

٤٧٤ - فَهُناكَ خُيِّرَ إِنْ يَشَأْ أُعْطُوا الذِي ... سَأَلُوا فإِنْ كَفَروا فَرِجْزٌ دَانِي

٤٧٥ - ولَقَدْ أَتَىٰ مَلَكُ الجِبالِ إِلَيْهِ مِنْ ... رَبِّ السَّماءِ القَاهِرِ السُّلْطَانِ

٤٧٦ - لَوْ شَاءَ طَبْقَ الأَخْشَبَيْنِ عَلَيْهِمُ ... لٰكِنْ تَرَبَّصُ رَأْفَةٍ وحَنَانِ

٤٧٧ - رَؤُفٌ بِأُمَّتِهِ رَحِيمٌ يَتْرُكُ الـ ... ـعَمَلَ الكَبِيرَ الأَجْرِ فِي المِيزانِ

٤٧٨ - لا رَغْبَةً عَنْهُ ولٰكِنْ يَقْصِدُ الـ ... ـتَّخْفِيفَ عَنْ ضُعَفَاءَ غَيْرِ مِتَانِ

٤٧٩ - ويُرِيدُ طُولَ صَلاتِهِ فَيُخَفِّفُها ... لِسَماعِ صَوْتِ الطِّفْلِ ذِي الأَشْجانِ

٤٨٠ - عِلْمًا بِحُرْقَةِ أُمِّهِ لِبُكَائِهِ ... هَذَا لَعَمْرُكَ مُصْطَفَىٰ الرَّحْمٰنِ

٤٨١ - ولَقَدْ بَكَىٰ ودَعَا لأُمَّتِهِ إِلَىٰ ... أَنْ جاءَهُ فِيهِمْ جَوابُ أَمَانِ

٤٨٢ - ولَهُ مِنَ الرَّحْمٰنِ عَهْدٌ أَنَّهُ ... مَنْ سَبَّ مِنْ أَصْحابِهِ بِلِسانِ

٤٨٣ - أو ظَلَّ يَجْلِدُهُ ويَلْعَنُهُ فَفِي ... هَذا لِذٰلِكَ أَعْظَمُ القُرْبانِ

٤٨٤ - ولَهُ التَّواضُعُ صَحَّ مِنْ شَرَفٍ لَهُ ... شَهِدَتْ لَهُ بِكَمالِهِ الدَّارانِ

٤٨٥ - قَدْ كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فِي بَيْتِهِ ... وكَذاكَ يَرْقَعُ مُخْلَقَ القُمْصانِ

٤٨٦ - ونَهَىٰ الصَّحابَةَ أَنْ يُقامَ لَهُ وأَنْ ... يُطْرَىٰ وأَنْ يُوطَىٰ لَهُ عَقِبانِ

---

(٤٧٣) الصفا: جبل بمكة. شم: جبال عالية. الشعاب: الطرق الجبلية. رعان: جمع أرعن، وهو الجبل المرتفع.

(٤٧٤) رجز: عذاب.

(٤٧٦) الأخشبين: الجبلين. تربص: انتظار.

(٤٧٨) رغب عن الشيء: انصرف عنه ولم يُرِدْه. يقول: إن النبى ﷺ كان يختار الأسهل فى كل الأمور، رغبة فى التخفيف على الضعفاء من أمته.

(٤٨٤) الداران: الأرض والسماء، أى سكانهما.

(٤٨٥) يخصف نعله: يصلحه. مُخلق: قديم ممزق.

(٤٨٦) نهى النبى ﷺ أصحابه أن يقوموا له، كما نهى عن المبالغة فى مدحه ﷺ. يوطى: يوطأ، فخفف الهمز لإقامة الوزن. ومعنى نهيه ﷺ أن يوطأ له عقبان: نهيه الناس أن يمشوا خلفه لحراسته أو كما يمشون خلف الملوك. جاء فى مسند أحمد عن: عبد الله بن عمرو عن أبيه قال: ما رأيت رسول الله ﷺ يأكل متكئًا قط، ولا يَطَأ عقبيه رجلان [مسند أحمد ١٠/ ٥٨ ، حديث رقم ٦٥٤٩ ، ٦٥٦٢].

٤٨٧ - رَكِبَ الحِمارَ بِغَيْرِ سِرْجٍ مُوكَفًا ... واللِّيفُ كَانَ لَهُ مِنَ الأَرْسَانِ

٤٨٨ - وقَضَىٰ اليَتامَىٰ والأَرامِلَ حَاجَهُمْ ... وكَذاكَ حَاجَةَ أَعْبُدٍ وَقِيَانِ

٤٨٩ - وأَجَابَ دَعْوَةَ مَنْ دَعَا ولَوَ انَّهُ ... عَبْدٌ يُبَاعُ بِأَحْقَرِ الأَثْمَانِ

٤٩٠ - وَرَآهُ إِنْسَانٌ فَأُرْعِدَ هَيْبَةً ... قَالَ الجَلِيلُ القَدْرِ لِلرَّعْبَانِ ٧٩/ب

٤٩١ - ولَقَدْ رَأَىٰ مَلَكًا فَخَيَّرَهُ عَلَىٰ ... مَا شَاءَ مِنْ أَمْرَيْنِ يُشْتَرَطَانِ:

٤٩٢ - إِنْ شَاءَ عَبْدًا مُرْسَلاً أَوْ إِنْ يَشَا ... مَلِكًا رَسُولاً كَانَ ذَا سُلْطَانِ

٤٩٣ - فَاخْتَارَ عَبْدًا مُرْسَلاً مُتَواضِعًا ... لله رَبِّ العِزَّةِ الدَّيَّانِ

٤٩٤ - وهُوَ الجَوادُ فَلَيْسَ يَمْنَعُ سَائِلاً ... مَا قَالَ لا فِي العُدْمِ والوُجْدَانِ

٤٩٥ - بَادِي البَشَاشَةِ بَاسِمٌ لِوُفُودِهِ ... يَهْتَزُّ مِنْهُ لِلنَّدَىٰ العِطْفَانِ

٤٩٦ - كَفَّاهُ أَسْخَىٰ بِالعَطَاءِ لِوَافِدٍ ... مِنْ وَابِلِ الجَوْدِ المُنِيفِ الدَّانِي

٤٩٧ - سَبْعِينَ أَلْفًا فَضَّهَا فِي مَجْلِسٍ ... لَمْ يَبْقَ مِنْهَا عِنْدَهُ فَلْسَانِ

٤٩٨ - وأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ الْتَمَسَ النَّدَىٰ ... أَعْطَاهُ شَاءً ضَمَّهَا جَبَلاَنِ

---

(٤٨٧) عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويجيب دعوة العبيد، وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف [الشفا ١ / ١٣١].

(٤٨٨) حاجهم: حاجاتهم. أعبد: عبيد. قيان: إماء.

(٤٨٩) سبق ذكر هذا المعنى فى (٤٨٧).

(٤٩٠) أرعد: ارتعد من هيبة النبى ﷺ. الرعبان: الخائف المرعوب، ومقول القول غير مذكور فلعل بيتا سقط سهوا من الناسخ. والمعروف أن النبى ﷺ قال للرجل الذى أصابته من هيبته رعدة: « هوّن عليك فإنى لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد [الشفا ١ / ١٣٣].

(٤٩٣) جاء فى مسند الإمام أحمد: جلس جبريل إلى النبى ﷺ فنظر إلى السماء فإذا مَلَكٌ ينزل فقال جبريل إن هذا الملك ما نزل منذ خُلِقَ قبلَ الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلنى إليك ربُّك قال: أفَمَلِكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدا رسولاً ؟ فقال جبريل: تواضع لربِّك يا محمد. قال: بل عبدا رسولاً [مسند أحمد ١٢ / ١٤٢ - ١٤٣، حديث رقم ٧١٦٠].

(٤٩٤) العُدم: الفقر. الوجدان: الغنى.

(٤٩٥) بادى: ظاهر. البشاشة: طلاقة الوجه. الندى: الكرم. العطفان: الجانبان، واهتزاز العطفين كناية عن السرور البالغ.

(٤٩٦) وابل: غزير. الجود: المطر. المنيف: العالى.

(٤٩٧) فضّها: فرقها، وفى الأصل: ضمها. وقد سبق ذكر هذا الخبر بلفظ (فضّها)، وهو هكذا فى نص الحديث.

(٤٩٨) شاء: جمع شاة. وسبق ذكر هذا الخبر أيضًا.

٤٩٩ - ولَكانَ أجْـودَ مَـا يَكُونُ يَمِـينُهُ ... بالخَيْـرِ والمَـعْـروفِ فى رَمَـضَـانِ

٥٠٠ - أيَّامَ يَنْزِلُ جِـبْـرَئِيلُ إلَيْـهِ مِنْ ... رَبِّ العُـلا لِـدراسَـةِ القُـرآنِ

٥٠١ - وهُوَ الوَفِىُّ الصَّـادِقُ الوَعْـدِ الَّذى ... مـا كَـانَ يَوْمًـا مُـخْلِفَ العُـهْـدَانِ

٥٠٢ - أوَمـا سَـمِـعْتَ بِصِـدْقِـهِ ووفَـائِهِ ... إذْ كَـانَ واعَـدَ صَـاحِـبًـا لِمَكانِ

٥٠٣ - فـأقـامَ يَرْقُـبُـهُ ثَلاثًا لَمْ يَرِمْ ... حَـتَّىٰ أتَاهُ الصَّـاحِبُ المُـتَـوانِى

٥٠٤ - وهُوَ الشُّـجـاعُ الفَـارِسُ الكَرَّارُ عِنْـ ... ـدَ تَقَـاعُسِ الشُّـجْـعانِ والفُـرْسَـانِ

٥٠٥ - والكُفْءُ يَوْمَ حُنَيْنٍ الثَّـبْـتُ الَّذى ... لَمَّـا تَولَّوْا كَـانَ غَـيْـرَ جَـبَـانِ

٥٠٦ - كـانُوا إذَا حَـمِىَ الوَطِيسُ وأُشْـرِعَتْ ... نَحْـوَ الصُّـدُورِ ذَوَابِلُ المِـرَّانِ

٥٠٧ - لَجَـأوا إلَيْـهِ وأيْقَنُوا بِصِـيَـالِهِ ... فَـحَـمَىٰ وذَبَّ بِمُـرْهَفٍ وسِنَانِ

٥٠٨ - يَغْشَىٰ عَـجـاجَـةَ كُلِّ حَـرْبٍ بَاسِلاً ... فى كُلِّ يَـوْمٍ لِـلخُـطُوبِ عَـوَانِ

٥٠٩ - فَـيَكُفُّ شِـرَّتَهـا ويَجْلُو نَقْـعَـهـا ... بِمُـهَنَّدٍ مَـاضِى الغِـرارِ يَمَـانِى

٥١٠ - وعَـرَا المَـدِينَةَ لَيْلَةً قَـرْعٌ فَلَمْ ... يَسْـبِـقْـهُ ذُو فَـرَسٍ مِنَ السُّـرْعَـانِ

٥١١ - ومَـضَىٰ يَؤُمُّ الصَّـوْتَ وهْوَ مُـقَلَّدٌ ... بالسَّـيْفِ فَـوقَ مُطَهَّمٍ عُـرْيَانِ ١/٨٠

---

(٥٠١) العهدان : العهود .

(٥٠٣) لم يرم : لم يغادر مكانه . المتوانى : المبطئ .

(٥٠٤) الكرّار : الذى يكرّ على أعدائه أى يقاتلهم مواجهة . التقاعس : التراخى والتخاذل . وكلمة (الشجعان) فى عجز البيت زيادة على الأصل يقتضيها الوزن .

(٥٠٥) الثبت : الشجاع الثابت . وسبق ذكر أخبار ثبات النبى ﷺ يوم حنين وقد فرَّ الفرسان من حوله إلا نفراً قليلين .

(٥٠٦) حمى الوطيس : اشتدت الحرب ، وأصل الوطيس : حجارة بيضاء مدورة تتقد عندما يشتد الحر ، فاستعير هذا للتعبير عن اشتداد الحرب . ذوابل : رماح . المرّان : القوية .

(٥٠٧) الصيال : الهجوم على العدو . ذبّ : دافع . المرهف : السيف . السنان : الرمح .

(٥٠٨) يغشى : يخوض . العجاجة : غبار المعركة . عوان : تكرر فيه القتال مرة بعد أخرى ، وهو صفة لـ (يوم) .

(٥٠٩) الشرّة : الحدّة والعنف . النقع : الغبار . المهند : السيف . ماضى الغرار : قاطع الحد . يمانى : منسوب إلى اليمن .

(٥١٠) عرا : أصاب . السرعان : السراع .

(٥١١) يؤم : يقصد . مطهّم : صفة لموصوف محذوف ، أى فرس مطهم ، وهو الحَسَن التامُّ الخَلْق .

٥١٢ - وأتَىٰ يُنادِى: لَنْ تُراعُوا، فَارْجِعوا ... بِأَتَمَّ مَنٌّ يُرْتَجَىٰ وأمَانِ

٥١٣ - هَلْ فى السُّيُوفِ كذِى الفَقارِ ومِخْذَمٍ ... ولَحِيفَ حَتْفٍ كَتَائِبِ الشُّجْعانِ؟

٥١٤ - ورَسُوبِ المَاضِى وبَتَّارِ الطُّلَىٰ ... أوْ فى القِسِىِّ كَقَوْسِهِ المِرْنانِ؟

٥١٥ - هَلْ فى الرِّماحِ الشَّارِعاتِ كَرُمْحِهِ الْـ ... ـخَطِّىِّ ذِى التَّثْقِيفِ والعَتَلانِ؟

٥١٦ - هَلْ فى الحِرابِ كَمِثْلِ حَرْبَتِهِ الَّتِى ... شَرُفَتْ بِهَا الجُمُعاتُ والعِيدانِ؟

٥١٧ - هَلْ فى الدُّروعِ السَّابِغاتِ كَدِرْعِهِ ... ذَاتِ الفُضُولِ مَظِنَّةِ الإحْصانِ؟

٥١٨ - ولَهُ اللواءُ الأبْيَضُ المَنْصُورُ ذُو الـ ... ـظِّلِّ الظَّلِيلِ الشَّامِلِ الفَيْنَانِ

٥١٩ - كُتِبَتْ عَلَيْهِ شَهَادَتانِ هُما لِمَنْ ... أوْلاهُما الإخْلاصَ مُنْجِيَتانِ

٥٢٠ - والرَّايَةُ السَّوْداءُ أشْرَفُ رَايَةٍ ... وهِىَ العُقَابُ عِقَابُ كُلِّ مُهانِ

٥٢١ - شَرُفَ القَضِيبُ الخَيْزُرانُ بِكَفِّهِ ... إذْ كانَ يُمْسِكُهُ بِخَيْرِ بَنانِ

---

(٥١٢) لن تراعوا: لن يصيبكم ما يروعكم. مَنّ: نعمة من الله. يشير فى الأبيات الثلاثة إلى ما روى فى الصحيحين عن أنس ﷺ قال: كان النبى ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبى ﷺ وكان قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا، وهو على فرس لأبى طلحة عُرْى ما عليه سرج، وفى عنقه سيف [الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء ١٠/ ٤٧٠، حديث ٦٠٣٣].

(٥١٣: ٥١٤) ذو الفقار، ومخذم ولَحيف والرسوب والبتار: أسماء سيوف للنبى ﷺ، أشهرها ذو الفقار وكان لا يفارقه فى حرب من الحروب. القسى: جمع قوس.
المرنان: اسم قوس للنبى ﷺ.

(٥١٥) الشارعات: الموجهة نحو أهدافها. الخَطِّىّ: المنسوب إلى خَطّ، وهى بلدة معروفة برماحها الجيدة. التثقيف: صقل الرمح صقلاً جيدا.
العتلان: الشدة.

(٥١٦) كان للنبى ﷺ حربة تسمَّى العنزة كانت توضع بين يديه ويصلى إليها.

(٥١٧) السابغات: التامة الطول. ذات الفضول: اسم درعه ﷺ. مظنة الإحصان: التى يُظنّ أنها تحصن صاحبها [راجع فى سلاح النبى ﷺ: السيرة الحلبية ٣/ ٤٦١ وما بعدها].

(٥١٨) اللواء: العلم الكبير. ذو الظل الظليل: كناية عن تنزل الرحمة والمدد الإلهى لمن استظل بظل الرسول ﷺ. الفينان: الظليل.

(٥٢٠) أخرج أصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض [سنن الترمذى، كتاب الجهاد، حديث رقم ١٦٠٤] اللواء العلم الكبير، والراية العلم الصغير.

(٥٢١) القضيب: العصا.

٥٢٢ - وعَصَاهُ لَمَّا مَسَّها بيَمينِه ... فَضَلَتْ عَصًا صَارَتْ إلَىٰ ثُعْبَانِ

٥٢٣ - وهُوَ الفَصيحُ اللَفْظِ ذُو الحِكَمِ الَّتِى ... أربَتْ بَلاغَتُها عَلىٰ لُقْمَانِ

٥٢٤ - جَمَعَ الفَوائِدَ باخْتِصارٍ مُحْكَمٍ ... لَفْظٌ يَسيرٌ فِى غَزيرِ مَعَانِى

٥٢٥ - وكَلامُهُ الفَصْلُ المُبينُ ونَثْرُهُ ... يَسْمُو عُقُودَ الدُّرِّ والمَرْجَانِ

٥٢٦ - حُلْوُ الحَديثِ إذا تَكَلَّمَ نَاطِقًا ... فالحَقُّ مَا فَاهَتْ بِه الشَّفَتَانِ

٥٢٧ - مَا كَانَ يَسْرُدُ بَلْ يَعُدُّ كَلامَهُ ... عَدًّا لِيَعْقِلَهُ ذَوُو الأذْهانِ

٥٢٨ - كَتَبَ ابْنُ عَمْرٍو مَا يَقُولُ لأجْلِه ... إذْ كَانَ حَقًّا وَاضِحَ البُرْهانِ

٥٢٩ - عَجِبَ الصَّحابَةُ مِنْ فَصاحَةِ لَفْظِه ... وبَلاغَةٍ فِيهِ وحُسْنِ بَيانِ

٥٣٠ - قَالوا: نَشَأتَ بأرْضِنا ولِسانُنَا ... عِنْدَ الفَصاحَةِ عَنْ لِسانِكَ وَانِى

٥٣١ - فأشارَ إنَّ لِسانَ إسْمَاعِيلَ قَدْ ... كَانَ انْطَوَىٰ حِينًا مِنَ الأزْمانِ

٥٣٢ - فَحَباهُ رَبُّ العَرْشِ باللُّغَةِ الَّتِى ... دَرَسَتْ وضَلَّتْ عَنْ بَنِى عَدْنانِ ٨٠/ب

٥٣٣ - واللهُ أدَّبَهُ فأحْسَنَ رَبُّهُ ... تأْدِيبَهُ فِى السِّرِّ والإعْلانِ

٥٣٤ - ولَهُ صَرِيحُ الزُّهْدِ صَحَّ لأنَّهُ ... عُرِضَتْ عَلَيْهِ أماكِنُ البُطْحانِ

---

(٥٢٢) فضلت: صارت أفضل من عصا موسى عليه الصلاة والسلام.

(٥٢٣) أربت: زادت. ولقمان هو الحكيم صاحب الوصايا المعروفة المذكورة فى سورة لقمان.

(٥٢٥) يسمو: يفوق، وعدَّاه بنفسه لتضمنه معنى (يعلو ويفوق).

(٥٢٦) فاهت: نطقت.

(٥٢٧) يسرد الكلام: يفصِّله ويبيِّنه. يعدُّ كلامه: يظهره إظهاراً لا مزيد عليه، فلو أراد السامع أن يَعُدَّ كلامه لأمكنه ذلك.

(٥٢٨) ابن عمرو: هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وكان يكتب الحديث عن رسول الله ﷺ.

(٥٣٠) وانى: بطىء لا يلحق ببلاغته ﷺ. وقد عقد القاضى عياض فصلاً فى (الشفا) لفصاحة النبى ﷺ، ومما جاء فى هذا الفصل: كان ﷺ يخاطب كل أمة بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله [الشفا ١ / ٧٠].

(٥٣١) انطوى: ذهب وانقرض.

(٥٣٢) حباه: وهبه. درست: انقرضت.

(٥٣٤) البطحان: الصحارى.

٥٣٥ ـ ذَهَبًا فَقَالَ: أكُونُ يَوْمًا جَائِعًا ... وإذا شَبِعْتُ أكُونُ ذَا شُكْرَانِ

٥٣٦ ـ كَمْ شَدَّ مِنْ سَغَبٍ بِأحْجَارٍ وكَمْ ... أضْحَىٰ عَلَىٰ اللَّزَبَاتِ ذَا إِدْمَانِ

٥٣٧ ـ مَا كَانَ مُدَّخِرًا مِنَ الأقْوَاتِ مَا ... قَدْ كَانَ فِي يَومٍ لِيَوْمٍ ثَانِي

٥٣٨ ـ مَا كَانَ يَنْخُلُ قُوتَهُ كَلاَّ ولا ... أكَلَ النَّبِيُّ مُرَقَّقَ الرُّغْفَانِ

٥٣٩ ـ واللِّيفُ حَشْوُ وِسَادِهِ وقَمِيصُهُ ... مِنْ أغْلَظِ المَنْسُوجِ فِي الأقْطَانِ

٥٤٠ ـ وقَضَىٰ بِلالٌ دَيْنَهُ ثُمَّ انْثَنَىٰ ... ولَدَيْهِ بَعْدَ الدَّيْنِ دِينَارَانِ

٥٤١ ـ فَثَوَىٰ بِمَسْجِدِهِ إِلَىٰ أنْ فُرِّقَا ... يَوْمَيْنِ لا يَأوِي إِلَىٰ جُدْرَانِ

٥٤٢ ـ وهُوَ الكَرِيمُ الطَّاهِرُ المَحْفُوظُ مِنْ ... مِيلادِهِ مِنْ نَظْرَةِ الخَتَّانِ

٥٤٣ ـ وإِذَا تَخَلَّىٰ لا يُرَىٰ مِنْ بَعْدِهِ ... أثَرٌ لِمَا يَبْدُو مِنَ الإِنْسَانِ

٥٤٤ ـ كَانَ الوُضُوءُ لِكُلِّ وَقْتٍ دأْبَهُ ... لَمْ يَجْتَمِعْ لِوُضُوئِهِ وَقْتَانِ

---

(٥٣٥) قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: لقد مات ـ أى النبي ﷺ ـ وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى، وقال لى: «إنى عُرض علىّ أن يُجعَل لى بطحاءُ مكة ذهبًا فقلت: لا يارب، أجوع يوما وأشبع يوما، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذى أشبع فيه أحمدك وأثنى عليك» [سنن الترمذى، ك الزهد، حديث رقم ٢٢٧٠].

(٥٣٦) سغب: جوع شديد. اللزبات: الشدائد.

(٥٣٨) جاء فى صحيح البخارى عن قتادة قال: كنّا نأتى أنس بن مالك وخبازه قائم وقال: كُلوا فما أعلم النبيّ ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله [الفتح، ك الرقاق، باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١ / ٢٨٧ ، حديث رقم ٦٤٥٧ ، وانظر بقية أحاديث الباب].

(٥٤١) ثوى: أقام.

(٥٤٣) تخلّى: ذهب إلى الخلاء لقضاء الحاجة. ومن خصائص النبى ﷺ أن الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه. روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الغائط دخلت فى إثره فلا أرى شيئًا إلا أنّى كنت أشم رائحة الطيب، فذكرت ذلك له فقال ﷺ: «يا عائشة، أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة، وما خرج منها من شىء ابتلعته الأرض» وعلّق البيهقى على هذا الحديث بقوله: هذا من موضوعات الحسين ابن علوان، لا ينبغى ذكره ففى الأحاديث الصحيحة والمشهورة فى معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان [دلائل النبوة ٦ / ٧٠]. قال فى اللفظ المكرم: سئل الحافظ المقدسى عما كان يخرج منه ﷺ تبلعه الأرض، فقال: قد روى ذلك من وجه غريب، والظاهر يؤيده فلم يذكر عن أحد من الصحابة أنه رآه ولا ذكره [اللفظ المكرم ٢ / ٥٦٦].

(٥٤٤) دأبه: عادته المستمرة.

٥٤٥ - رَغَبًا إلىٰ نُورٍ عَلَىٰ نُورٍ، سِوىٰ ... صَلَوَاتِ يَومِ الفَتْحِ والإِمْكَانِ

٥٤٦ - وبِقَبْرِهِ المَلَكُ الشَّرِيفُ مُوَكَّلٌ ... لِيُبَلِّغَ التَّسْلِيمَ لِلبُعْدَانِ

٥٤٧ - لَكِنْ إذا مَا المَرْءُ قَامَ تِجَاهَهُ ... رَدَّ السَّلامَ عَلَىٰ القَرِيبِ الدَّانِي

٥٤٨ - وهُوَ الطَّرِيُّ بِقَبْرِهِ مَا لِلْبِلَىٰ ... والحَادِثَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٥٤٩ - وإذا الفَتَىٰ صَلَّىٰ عَلَيْهِ مَرَّةً ... مِنْ سَائِرِ الآفَاقِ والبُلْدَانِ

٥٥٠ - صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ عَشْرًا فَلْيَزِدْ ... عَبْدٌ ولا يَجْنَحْ إلىٰ نُقْصَانِ

٥٥١ - مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ إنْ ذُكِرَ اسْمُهُ ... فَهُوَ البَخِيلُ، وزِدْهُ وَصْفَ جَبَانِ

٥٥٢ - ومَنْ رآهُ فِي المَنَامِ فَإِنَّهُ ... فِي صِحَّةِ الرُّؤْيَا كَاليَقْظَانِ

٥٥٣ - ولَقَدْ أَتَىٰ مَعْنَىٰ حَدِيثِ: أَيُّمَا ... عَبْدٍ رآنِي فِي المَنَامِ رآنِي ١/٨١

٥٥٤ - لا يَسْتَطِيعُ تَمَثُّلاً أَبَدًا بِهِ ... مَنْ رَامَ هَذَا الأَمْرَ مِنْ شَيْطَانِ

٥٥٥ - بَلْ مَنْ رآهُ فَقَدْ رَأَىٰ الحَقَّ الذِي ... لا شَكَّ فِيهِ عِنْدَ ذِي الإِتْقَانِ

٥٥٦ - وهُوَ الَّذِي يَنْشَقُّ عَنْهُ ضَرِيحُهُ ... قَبْلَ الأَنَامِ وبَعْدَهُ العُمَرَانِ

٥٥٧ - وهُوَ الكَثِيرُ التَّابِعِينَ إذا أَتَىٰ ... تَبَعُ النَّبِيِّ النَّفْسُ والنَّفْسَانِ

٥٥٨ - يَرِدُ المَعَادَ عَلَىٰ البُرَاقِ وغَيْرُهُ ... تَسْعَىٰ بِهِ لِلمَوْقِفِ الرِّجْلانِ

---

(٥٤٥) رغبًا إلى...: حُبًّا فى ذلك. الإمكان: تمكين الله عز وجل لنبيه ﷺ. يقول إن النبى ﷺ كان يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم الفتح صلّى الصلوات كلها بوضوء واحد.

(٥٤٧) المرء: فى الأصل: القبر. ولا معنى له، فلعل ما أثبته هو الصواب.

(٥٤٨) الطرى: يريد: الذى يبقى جسمه نديًّا فلا يبلى.

(٥٥٠) يجنح: يميل.

(٥٥١) نظم هنا معنى قوله ﷺ: «البخيل الذى إن ذكرت عنده فلم يُصَلِّ علىَّ» [سنن الترمذى، ك الدعوات، حديث رقم ٣٤٦٩] وزاد الناظم أنه يستحق وصفه بالجبان.

(٥٥٢) عجز هذا البيت مكسور الوزن، ولعله: فى صحّة رُؤْياهُ كاليَقْظَانِ.

(٥٥٤) رام: أراد. و(من) زائدة.

(٥٥٥) الحديث المشار إليه هو قوله ﷺ: «من رآنى فى المنام فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتمثل بى» [رواه الستة وغيرهم، انظر: البخارى، كتاب التعبير رقم ٦٤٧٨، مسلم: كتاب الرؤيا، رقم ٤٢٠٦].

(٥٥٦) جاء فى الحديث الصحيح أنه ﷺ: أول من ينشق عنه القبر [مسلم، كتاب الفضائل، ١٥/ ٢٧]. العمران: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق رضى الله عنهما.

٥٥٩ - وبِلالٌ بَيْنَ يَدَيْهِ راكِبُ نَاقَةٍ ... حَمْرَاءَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِأَذَانِ

٥٦٠ - ويَزُفُّهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مُقَرَّبٍ ... والنَّاسُ مِنْ مَثْنًى ومِنْ وُحْدَانِ

٥٦١ - والخَلْقُ تَحْتَ لِوائِهِ مِنْ آدَمَ الـ ... أَعْلَىٰ إِلَىٰ عِيسَىٰ هُمَا الرُّوحَانِ

٥٦٢ - هُوَ صَاحِبُ الحَوْضِ الَّذِي مِنْ جَنَّةِ الـ ... فِرْدَوْسِ يَسْكُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ

٥٦٣ - مِقْدارُ شَهْرٍ عَرْضُهُ مِنْ أَيْلَةَ الـ ... قُصْوَىٰ كَذا يُرْوَىٰ إلى عَمَّانِ

٥٦٤ - أَكْوابُهُ ذَهَبٌ تَلُوحُ وفِضَّةٍ ... بَيْضَاءَ هُنَّ لَدَيْهِ خَيْرُ أَوَانِي

٥٦٥ - عَدَدَ النُّجُومِ الزُّهْرِ قَدْ صُفَّتْ عَلَىٰ ... أَرْجَائِهِ مِنْ أَشْرَفِ الكِيزَانِ

٥٦٦ - أَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ المُصَفَّىٰ مَاؤُهُ ... وبَيَاضُهُ أَنْقَىٰ مِنَ الأَلْبَانِ

٥٦٧ - يُرْبِي عَلَىٰ مِسْكٍ تَضَوَّعَ رِيحُهُ ... مَنْ ذَاقَهُ لَمْ يُلْفَ بِالظَّمْآنِ

٥٦٨ - ولَهُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ يُحْتَبَسُ الوَرَىٰ ... فِي الكَرْبِ مِنْ عَرَقٍ إِلَىٰ الأَذْقَانِ

٥٦٩ - وهُوَ المُجِيزُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ وإِنَّهُ ... فَرَطٌ لِعِنْدِ الحَوْضِ والمِيزَانِ

٥٧٠ - وهُوَ المُبَادِرُ قَرْعَ بَابِ الجَنَّةِ الـ ... فَيْحَاءِ ذَاتِ النَّخْلِ والرُّمَّانِ

٥٧١ - فَيُقَالُ: مَنْ هذا؟ يقولُ: مُحَمَّدٌ ... واللهُ قَدْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ رِضْوَانِ

٥٧٢ - أَنْ لَيْسَ يَفْتَحُهَا لِخَلْقٍ قَبْلَهُ ... أو قَبْلَ أُمَّتِهِ ذَوِي الرُّجْحَانِ

---

(٥٦١) آدم وعيسى عليهما السلام هما الروحان، فسيدنا عيسى عليه السلام وصف فى القرآن الكريم بقوله عز وجل:
﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ النساء ١٧١ .
وسيدنا آدم هو أول من نفخ فيه الروح من البشر. وفى الأصل: هم الروحان، ولا يجوز نحويًا لأن الضمير يعود على اثنين (عيسى وآدم).

(٥٦٢) ميزابان: نهران من أنهار الجنة.

(٥٦٣) روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى ذر ر قال فى صفة الحوض: عرضه مثل طوله ما بين عمّان إلى أيلة [مسلم بشرح النووى ١٥ / ٦٢].

(٥٦٧) فى الأبيات السابقة يذكر الناظم بقية صفات الحوض كما وردت فى الحديث المذكور وغيره من أحاديث صحيحة متواترة عن عدد من الصحابة رضى الله عنهم.

(٥٦٩) المجيز: الذى يسبق الناس ويتقدمهم ليهيئ لهم عبوره وييسره لهم، ومثله (فَرَط).

(٥٧٠) المبادر: السابق.

(٥٧٢) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «آتى بابَ الجنَّة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرتُ ألا أفتح لأحد قبلك»
[الشفا ١ / ٢٠٩].

٥٧٣ - ولَهُ مَـزِيدٌ لا انْتِـهـاءَ لَهُ كَـمَـا ... لا مُنْتَـهَىٰ لِمـواهِبِ الرَّحْـمٰـنِ

٥٧٤ - صَلَّىٰ عَلَيْـهِ ذُو المَـعـارِجِ رَبُّهُ ... أزْكَى صَلاةٍ مَا رَسَا الحَسَنَانِ ٨١/ب

٥٧٥ - وعَلَىٰ صَـحـابَتِـهِ الكِرامِ وأهْلِهِ الْـ ... أطْـهـارِ والأزْواجِ والوِلْـدَانِ

٥٧٦ - هَذَا الَّذِى أدَّتْ إلَيْـهِ قَـرِيحَـتِى ... وأعَـانَهـا بالصِّـدْقِ فِـيـهِ لِسـانِى

٥٧٧ - بِمَـدِيحِـهِ العَطِرِ المُنِيفِ تَعطَّرَتْ ... وتَـطـهَّـرَتْ وتَـنَـوَّرَتْ أوْزانِـى

٥٧٨ - يُعْطِى القَـرِيضَ نَضـارَةً وغَـضَـارَةً ... وفَـصـاحَـةً تُرْبِى عَلَىٰ سَـحْـبـانِ

٥٧٩ - هَذا وأعْلَمُ أنَّنِى لَمُـقَـصِّـرٌ ... ولَوِ انْبَـرَىٰ لِمـدادِىَ البَـحْـرانِ

٥٨٠ - يا خَـيْـرَ مَنْ وَخَـدَتْ إلَيْـهِ مَطِيَّـةٌ ... مِنْ كُـلِّ مَـرْمًـى نَـازِحِ الأوْطـانِ

٥٨١ - أشْكُو إلَيْكَ تَخلُّفِى عَنْ رُفْـقَـةٍ ... كَـانُوا عَلَىٰ الطَّاعـاتِ مِنْ أعْـوانِى

٥٨٢ - رَحَلُوا وصَـدَّتْنِى العَـوائِقُ عَنْهُمُ ... فَنَكِرْتُ قَلْبِى بَعْـدَهُمْ وزَمَـانِى

٥٨٣ - أصْبَحْتُ فى وَقْتٍ كَـثِـيرٍ هَرْجُـهُ ... مُـتَـدَارِكِ الآفـاتِ والخُـسْـرانِ

٥٨٤ - يُمْـسِى الفَـتَىٰ فِـيـهِ يَرومُ زِيادَةً ... تُرْضَىٰ فَـيُـصْـبِحُ وهْوَ فِى نُقْـصـانِ

٥٨٥ - فَـبِـمَنْ كَسَـا عِطْفَـيْكَ أفْـخَـرَ حُلَّةٍ ... لَيْـسَـتْ عَلَىٰ مَلَكٍ ولا إنْـسـانِ

٥٨٦ - سَلْ لِـى إلٰـهَـكَ أنْ يُـوَفِّـقَ بَـاطِـنِـى ... لِرِضَـاهُ فِـى سِـرٍّ وفِـى إعْـلانِ

٥٨٧ - فَـلأنْـتَ أكْـرَمُ شَـافِعٍ عَلِقَتْ بِهِ ... لِمُـرَوَّعٍ يَرجُـو الخَـلاصَ يَدانِ

*****

---

(٥٧٤) الحسنان : جبلان، والتعبير يفيد الدوام والاستمرار.

(٥٧٦) القريحة : الفطرة، وأراد بها : الملكة الشعرية.

(٥٧٧) المنيف : العالى القدر.

(٥٧٨) القريض : الشعر. النضارة والغضارة مترادفان. سحبان : خطيب جاهلى مشهور يضرب به المثل فى البلاغة.

(٥٧٩) يقول : لو كان البحران مداداً لى أكتب به مديح النبى ﷺ لما كفاه هذا المداد.

(٥٨٠) وخدت : سارت. مرمى : مكان. نازح : بعيد.

(٥٨٣) الهرج : الفتن المهلكة.

(٥٨٦) سَلْ لِى إلٰهَكَ : فى الأصل : سل لى ربك، ووزنه مكسور فهو سهو من الناسخ.

(٥٨٧) مروع : خائف.

قافية الواو

يلاحظ أن الواو تسبق الهاء فى الترتيب الهجائى عند بعض القدماء.

تضم هذه القافية قصيدتين.

الواوية الأولى

(عدتها ٥٠ ـ الطويل الثانى)

تبدأ القصيدة بالنسيب وشرح الأشواق والحنين إلى دار المنى : الربوع المقدسة، ويحمل الشاعر رسالة إلى الكعبة المشرفة، كلها حب وأسىً على البعد وتوقٌ إلى معاهد الإيمان ديار النبى ﷺ، ثم تثنى عليه ﷺ وعلى من اتبع هداه فى كل عصر، وتدعو إلى التمسك بسنته.

وتختتم القصيدة بالاستغاثة بجاهه ﷺ والتوسل به إلى الله عز وجلَّ.

تضمنت القصيدة ثلاثة عناصر :

- حنين وأشواق.
- ثناء على النبى ﷺ ومن اتبعه.
- استغاثة وتوسل به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هُوَ البَـرْقُ إلاَّ أنَّ فِي طَيِّ خَـفْـوِهِ ... لِذِي الشَّجْوِ نَارًا تَقْتَضِي نَشْرَ شَجْوِهِ

٢ - وهَذا الحَـمَـامُ المُـدَّعِي وهْوَ كَـاذِبٌ ... يَشِيـدُ اشْـتِـيـاقَ الصَّادِقِـينَ بِشَـدْوِهِ

٣ - وكَـمْ بَيْنَ عَـــانٍ لا يَرِيـمُ ومُطْلَقٍ ... وبَيْنَ شَـجِي القَلْبِ المُـعَنَّى وخِلْوِهِ

٤ - وبَيْنَ قَـرِيرٍ حَـاضِـرِ الإلْفِ نَاعِمٍ ... وفَـاقِـدِ إلْفٍ نَاحِلِ الجِـسْمِ نِضْـوِهِ

٥ - عَـجِبْتُ لِمـأسُورِ الهَـوَى لا فِكاكُـهُ ... يُرَجَّى ولا يَحْظَى بِوَصْلٍ جَـفُـوِّهِ

٦ - تَمَلَّكَ دَاعِي الحُبِّ حَـبَّـةَ قَلْبِـهِ ... فَـقَـدْ أَيِسَ اللاحِي لَهُ مِنْ سُلُوِّهِ

٧ - يَرَى حُكْمَ مَنْ يَهْوَى عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... هُوَ العَدْلُ فِي مُرِّ الغَرامِ وحُلْوِهِ ١/٨٢

٨ - كَسَتْ عِطْفَهُ كَأْسُ المَحَبَّةِ سَكْرَةً ... فَمَا الغَبْنُ مِنْهَا عِنْدَهُ غَيْرُ صَحْوِهِ

٩ - يَرَى مَحْوَهُ فِي سُكْرِهِ عَيْنَ وَجْدِهِ ... كَمَا وَجْدُهُ فِي صَحْوِهِ عَيْنُ مَحْوِهِ

---

(١) خفو البرق : لمعانه . الشجو : الحزن والهم .

(٢) يشيد : يبنى . الشدو : الغناء .

(٣) عان : أسير . لا يريم : لا يفارق مكانه . المعنَّى : الحزين الذى يلقى العناء . والخلو : ضد الشجى ، أى الخالى من الهم .

(٤) قرير : سعيد مطمئن . الإلف : الرفيق . ناعم : راض سعيد . نضو : هزيل مرهق .

(٥) الفكاك : الإفلات من القيد . جفوه : من يجفوه ، أى يهجره ، وأراد حبيبه الذى قد هجره .

(٦) أيس : يئس . اللاحى : اللائم . السلو : النسيان .

(٨) الغبن : الظلم . الصحو : ضد السكر . وهذا البيت زيادة من (ب) ، وتاليه ورد فى (أ) متأخرًا عن موقعه ببيتين ، وقد آثرتُ ما فى (ب) لملائمته السياق . والصرصرى فى هذا البيت متأثر بقول أبى نواس :

فـمـا الغـبـن إلا أن تـرانى صـاحـيًـا ... ومـا الغُـنـم إلا أن يـتـعـتـعـنى السُّكْرُ

إلا أن الصرصرى خلع على الصحو والسكر هنا معنى صوفيًا ، فالسُّكر : دهشة مفاجئة تلحق سر المحب فى مشاهدة جمال المحبوب ، وتسمى هذه الحالة سكرًا لمشاركتها السُّكْرَ الظاهر فى أوصاف الذهول والفرح والنشاط والانبساط والوله . إلا أن السكر الصوفى سببه غلبة نور المشاهدة ، بينما السكر الظاهر من غشيان ظلمة الطبيعة [راجع معجم مصطلحات الصوفية ، د . عبد المنعم الحفنى ، ص ١٣١ - ١٣٢] والصحو : رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه [السابق ، ص ١٤٩] .

(٩) المحو عند الصوفية : إزالة العلل والآفات ، وذلك برفع أوصاف العباد وأفعالهم بتجليات صفات الحق وأفعاله ، وأعلى درجات المحو : فناء الكثرة فى الوحدة . وذلك كما فى الحديث القدسى : فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به [انظر : اصطلاحات الصوفية ، للقاشانى ، ص ٧٩] والوجد عندهم : خشوع الروح عند مطالعة سر =

١٠ - يَحُومُ عَلَىٰ وِرْدٍ مَصُونٍ مِنَ القَذَىٰ ... حُدودُ العَوالِي والظُّبَا دُونَ صَفْوِهِ

١١ - ومَرْمَىٰ بَعِيدٍ لَوْ تَعَمَّدَهُ السُّهَا ... لَيُدْرِكَهُ صَدَّتْهُ حَيْرَةُ سَهْوِهِ

١٢ - فإنْ مَاتَ دونَ القَصْدِ ماتَ عَلَىٰ ظَمَا ... وإمَّا يَرِدْ ذَاكَ المَعِينَ يُرَوِّهِ

١٣ - مَتَىٰ يَقْتَضِي القَلْبُ المُلَوَّىٰ دُيونَهُ ... ويُنْصِتُ سُلْطانُ الجَمَالِ لِشَكْوِهِ

١٤ - ويأْذَنُ فِي رَفْعِ الحِجَابِ فَيَنْجَلِي ... أسًى ما لَهُ شَافٍ سِوىٰ حُسْنِ أَسْوِهِ

١٥ - أحِنُّ إِلَىٰ دَارِ المُنَىٰ ويَشُوقُنِي ... بِهَا بَارِقٌ يَنْزُو فُؤادِي لِنَزْوِهِ

١٦ - ويُطْرِبُنِي حَادِي الرِّكَابِ إذا حَدَا ... ولَوْلا هَوَاهُ مَا شَجَانِي بِحَدْوِهِ

١٧ - وكَمْ شَيِّقٍ مِثْلِي إِلَىٰ ذَلِكَ الحِمَىٰ ... يَمِيلُ إِلَىٰ صَوْتِ الحُدَاةِ بِصَغْوِهِ

١٨ - ويُصْبِيهِ خَفَّاقُ النَّسِيمِ إذا هَفَا ... فأَذْكَىٰ غَرامَ العَاشِقِينَ بِهَفْوِهِ

١٩ - فيا أيُّها السَّارِي عَلَىٰ ظَهْرِ جَلْعَدٍ ... أَمُونِ السُّرَىٰ فِي سَفْلِهِ وعُلُوِّهِ

= الحق، والوجد يرد عقب الفقد فمن لا فَقْدَ له فلا وَجْدَ له [معجم مصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٢٦٤]. يقول الصرصرى فى البيتين السابقين: إن المُحبَّ إذا شرب كأس المحبة أسكرته سكراً لا يريد أن يفيق منه لأن الإفاقة من هذا السكر تأخذه بعيداً عن الفناء فى ذات المحبوب. والمحب يرى أن المحو هو الوجود الحق لأنه محو للأوصاف البشرية وتجلٍّ للصفات الإلهية، أما المحو الذى لا يريده المحب فهو المحو فى حال الصحو، أى بقاؤه على الحالة البشرية. والصوفى لا يريد أن يبقى على حالته البشرية بل يريد أن يكون دائماً مع الله عز وجل.

(١٠) يحوم: يدور كما يدور الطائر الظامئ حول الماء. مصون: محفوظ. القذى: كل ما يلوث الماء الصافى. العوالى: الرماح. الظبا: السيوف.

(١١) مرمى: هدف. تعمده: قصد الوصول إليه. السها: نجم بعيد، يقول: إن هدف المحب أبعد من السها فلا يمكن بلوغه، ودون ذلك المرمى أن يموت الإنسان.

(١٢) وإمَّا: وإنْ + ما، وما زائدة للتوكيد، أى: وإنْ. المعين: المنهل العذب الصافى، يرده: يشرب منه.

(١٣) يقتضى: يقضى. المُلوَّى: من لَوَاه دَيْنَه، أى ماطله ولم يعطه حقه. يقول: متى يحصل لقلبى ما يريده من مشاهدة جمال المحبوب؟

(١٤) شاف: من الشفاء. الأسْو: الدواء.

(١٥) بارقٌ: برق. ينزو: يتحرك ويقفز.

(١٦) حدا: غنَّى للإبل وهو يسوقها.

(١٧) شيِّق: مشتاق. الصغو: الإصغاء.

(١٨) يصبيه: يثير اشتياقه وحنينه. هفا: تحرك. أذكى: أشعل.

(١٩) جلعد: جمل قوى صلب. أمون السُّرى: يؤمن فى سيره فلا يسقط ولا يضعف.

٢٠ - يَرىٰ قَطْعَهُ البَيْدَاءَ فى طَلَبِ العُلا ... هُوَ الغُنْمَ فى آصَالِهِ وغُدُوِّهِ

٢١ - يَجُوبُ فِجَاجَ الأرْضِ يخْتَرِقُ الفَلا ... يُواصِلُ سَهْلَ البَرِّ طَيًّا بِدَوِّهِ

٢٢ - إلى حَرَمٍ مَنْ أمَّهُ مُتَوَسِّلاً ... مَحَا خِطْأَه فيه تَتَابُعُ خَطْوِهِ

٢٣ - تَحَمَّلْ إلىٰ ذَاتِ السُّتُورِ رِسالَةً ... ومَنْ يُؤْتَمَنْ يَومًا عَلَىٰ القَوْلِ يَرْوِهِ

٢٤ - لَعَلَّ بَلاغًا جَالِبٌ رَوْحَ نَازِحٍ ... وإنْ كانَ لا يَشْفِيهِ غَيْرُ دُنُوِّهِ

٢٥ - سَقَاكَ فَرَوَّاكَ المُلثُّ منَ الحَيَا ... فَبَثَّ عَلَيْكَ الزَّهْرُ ألْوانَ زَهْوِهِ

٢٦ - أبِينِي لَنا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لَنا إلىٰ ... ظِلالِكِ فى خَفْضٍ منَ العَيْشِ رَخْوِهِ

٢٧ - وعَرِّجْ عَلَىٰ رَبْعٍ مُنِيرٍ مُعَطَّرٍ ... عُيونُ المَعالِى عَاكِفاتٌ بِجَوِّهِ

٢٨ - مَنارُ العُلا مَأوَىٰ الهُدَىٰ ومَقَرُّهُ ... ومَنْشَؤُهُ بَيْنَ الوَرَىٰ لِسُمُوِّهِ

٢٩ - فَحَيٌّ حَبِيبًا فيهِ عَنِّى تَحِيَّةً ... تَزِيدُ ويَنْمِى فَضْلُها بِنُمُوِّهِ

٣٠ - بِهِ أصْبَحَتْ أرْضُ المَدِينَةِ مَعْقِلاً ... مَنِيعًا لِمَنْ يَخْشَىٰ ثُبَاتِ عَدُوِّهِ ٨٢/ب

٣١ - هُوَ الفَاتِحُ السَّبَّاقُ والخَاتَمُ الَّذِى ... قَضَىٰ رَبُّهُ أنْ لا مَنالَ لِشَأوِهِ

٣٢ - هُوَ المُجْتَبَىٰ مِنْ هَاشِمٍ وبِهِ سَمَتْ ... فَخَارًا عَلَىٰ حُضْرِ الزَّمانِ وبَدْوِهِ

٣٣ - مُحَمَّدٌ الهَادِى إلىٰ خَيْرِ مَنْهَجٍ ... فَقَدْ فَازَ فَوْزًا مَنْ نَحَا حُسْنَ نَحْوِهِ

---

(٢٠) الغنم: الغنيمة والفوز. الآصال: جمع أصيل، وهو الثلث الأخير من النهار. الغدو: أول النهار.

(٢١) يجوب: يقطع. فجاج: طرق، جمع فَجّ. وطىٌّ السهل: قطعه وعبوره. الدوِّ: الجبل.

(٢٢) أمَّه: قصده. خِطْأَه: خَطَأه وذنبه.

(٢٣) تحمل: بَلِّغ.

(٢٤) روح: راحة وطمأنينة. نازح: بعيد.

(٢٥) المُلثُّ: الغزير.

(٢٦) خفض العيش: رخاؤه ونعمته، ومثله الرخو.

(٢٧) عرِّج: مُرّ. المعالى: الفضائل، وعيونها: أوائلها، أى أعظمها فضلاً. عاكفات: مقيمة.

(٢٨) اللام فى (لسموه) للتعليل، أى هذا الحرم هو منار العلا ومأوى الهدى... بسبب ارتفاع قدره عند الله عز وجل.

(٣٠) المعقل: الحصن. ثبات: جمع ثبة، وهى الجماعة. وذلك لأن رسول الله ﷺ حَرَّم المدينة، فصارت ملجأ آمنا لكل خائف.

(٣١) شأوه: قدره وغايته.

(٣٢) المجتبى: المختار.

(٣٣) نحا: اتَّبع. نحوه: طريقته ومنهجه.

٣٤ - أتىٰ بكتابٍ قيِّمٍ بهرَ العِدا ... تقدَّسَ عن هُجْرِ الكلامِ ولغْوِهِ

٣٥ - فوافىٰ البرايا راغبينَ عنِ الهُدىٰ ... بما زخرفَ الشَّيْطانُ من زُورِ لهْوِهِ

٣٦ - فأنقذَ منهُمْ مَنْ أجابَ دُعاءَهُ ... ودمَّرَ منهُمْ مَنْ مضىٰ فى عُتُوِّهِ

٣٧ - فأضْحَىٰ بهِ الدِّينُ القويمُ مُشَيَّدَ الـ ... ـقواعدِ هامُ النَّجْمِ دُونَ عُلوِّهِ

٣٨ - تَزُولُ الجِبالُ الرَّاسياتُ وحُكْمُهُ ... رفيعُ المَبانى ثابتٌ فى رُسُوِّهِ

٣٩ - وفى كُلِّ عَصْرٍ لا تَزالُ عِصابَةٌ ... بسُنَّتِهِ البَيْضاءِ تَحذُو كَحَذْوِهِ

٤٠ - إلىٰ أنْ يَحِقَّ الوَعْدُ لَيْسَ يُضيرُهُمْ ... مُخالفُهُمْ فى زَيْغِهِ وغُلُوِّهِ

٤١ - حَوىٰ الخَيْرَ مَنْ أمْسَىٰ بها مُتَمَسِّكًا ... ومَنْ يَتَتَبَّعْ شارِدَ الخَيْرِ يَحْوِهِ

٤٢ - ومَنْ يطَّرِحْها مُسْتَهينًا ويتَّبِعْ ... هَواهُ يُزِغْهُ عَنْ هُداهُ ويُغْوِهِ

٤٣ - لَقَدْ كانَ بَرًّا بالصَّحابَةِ كالأبِ الـ ... ـمُعاضِدِ فى إشْفاقِهِ وحُنُوِّهِ

٤٤ - حَليمًا عَنِ الجانى ولكنْ إذَا انْبَرىٰ ... لحَرْبِ الأعادِى لا يُقامُ لسَطْوِهِ

٤٥ - لَهُ مَوْرِدٌ يَرْوِى الصَّدَىٰ يَوْمَ سِلْمِهِ ... وحَوْضُ المَنايا لِلعِدا يَوْمَ غَزْوِهِ

٤٦ - لَجأتُ إلىٰ الرَّحْمٰنِ مُسْتَشْفِعًا بِهِ ... إليْهِ ومَنْ يلْجأْ إلى اللهِ يُؤْوِهِ

---

(٣٤) تقدس: تنزَّه. هجر الكلام: فاحشه. اللغو: ما لا فائدة منه من الكلام.

(٣٥) وافى: جاء. البرايا: الناس. راغبين عن الهدى: منصرفين عنه.

(٣٦) العتوّ: الظلم والطغيان.

(٣٧) هام: رأس.

(٣٨) الراسيات: الراسخة الثابتة. الرسُوّ: الثبات.

(٣٩) عصابة: جماعة. تحذو كحذوه: تنهج نهجه وتتبع سنته ﷺ.

(٤٠) يضيرهم: يضرهم. الزيغ: الانحراف. الغُلُوّ: التعمق فى كل شىء، وأراد به: التطرف والتزمت. يشير فى هذا البيت وسابقه إلى قوله ﷺ: «لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» [البخارى: ك المناقب، باب علامات النبوة ٦ / ٧٣١ ، حديث رقم ٣٦٤١].

(٤١) الشارد: البعيد. يَحْوِه: يحصل عليه ويحوزه.

(٤٢) يطرحها: يتركها.

(٤٣) المعاضد: المعين. الحنوّ: الرحمة والعطف.

(٤٤) انبرى: تهيأ. سطوه: بطشه وقوته.

(٤٥) الصدى: الظمأ. المنايا: الموت.

(٤٦) يُؤْوِه: يقربه ويغيثه.

٤٧ - رَضِـيتُ بِه فى كُلِّ خَطْبٍ وَسِـيلَةً ... ومَنْ يَكُ ذَا جَـاهٍ عَظِيمٍ يُجَـوَّهِ

٤٨ - وَعَـوْنًا عَلىٰ نَفْسٍ لَوَتْنِى دُيُونَهـا ... ومَنْ يَكُ ذَا دَيْنٍ عَلَىٰ النَّفْسِ تَلْوِهِ

٤٩ - بِمَـدْحِى لَهُ أَرْجُـو مِنَ اللهِ لُطْفَـهُ ... لِضَعْفِى وحُسْنَ الصَّفْحِ عَنِّى بِعَفْوِهِ

٥٠ - رَوِيتُ بِنَظْمِ المَـدْحِ فِـيهِ ومَنْ يَرِدْ ... عَلىٰ المَنْهَلِ العَـذْبِ المُـبَـرَّدِ يَرْوِهِ

*****

---

(٤٧) يجوّه: يؤمل جاهه ويُعَظِّمِ.

(٤٨) تلوه: تماطله فلا تقضى دينه.

(٥٠) رويت: ارتويت.

الواوية الثانية

(عدتها ٢٥ ـ الوافر الأول)

تبدأ هذه القصيدة بالحنين إلى الديار المباركة، والدعاء لها بالخصب والخير، والتشوق إلى زيارتها، ثم تثنى على النبى ﷺ، وتختم برجاء شفاعته يوم القيامة.

تضمنت القصيدة ثلاثة عناصر :

- حنين وأشواق.
- ثناء على النبى ﷺ.
- رجاء شفاعته ﷺ يوم القيامة.

وقال يمدحه ﷺ ١/٨٣ (الوافر الأول):

١ - غَرامٌ فى البِعادِ وفى الدُّنُوِّ ... فأنّىٰ لِلمُتَيَّمِ بالسُّلُوِّ

٢ - مَشُوقٌ بالأصيلِ لَهُ حَنينٌ ... إلىٰ أرْضِ الحِجازِ وبالغُدُوِّ

٣ - يُراعُ إذا انْتَضىٰ البَرْقُ اليَمانى ... حُسامَ وَميضِهِ بَعْدَ الهُدُوِّ

٤ - لَقَدْ أعْيا عِلاجَ الطِّبِّ صَبٌّ ... يُؤَرِّقُهُ سَنا البَرْقِ الخَفُوِّ

٥ - سَقَىٰ سُبُلاً إلىٰ الحَرَمَيْنِ تَهْدى ... ذَوِى الأشْواقِ مِنْ سَهْلٍ ودَوِّ

٦ - سَحائِبُ دائِماتُ الوَدْقِ تَهْمى ... بِكُلِّ مُجَلْجِلٍ غَدِقٍ تُرَوِّى

٧ - وَعاجَتْ نَحْوَ أكْنافِ المُصلَّى ... فَبَثَّتْ وَشْيَها فى كُلِّ جَوِّ

٨ - وصَبَّحَتِ العَقيقَ وسَفْحَ سَلْعٍ ... بِأنْواءِ السَّعادَةِ والسُّمُوِّ

٩ - مَواقِفُ كُلَّما غالَبْتُ فيها ... أمِنْتُ عَلىٰ هُداىَ مِنَ الغُلُوِّ

١٠ - رِحابُ قِبابِها بالأُنْسِ مَلأىٰ ... ومِنْ كَدرِ الشَّوائِبِ فى خُلُوِّ

١١ - لَئِنْ حَبَسَ المَطِىَّ العُذْرُ حَتَّى ... تَجافَتَها فَمَا أنَا بالجَفُوِّ

١٢ - وكَمْ حَنَّتْ إلَيْها النَّفْسُ لٰكِنْ ... أُعَلِّلُها بِلَيْتٍ أوْ بِلَوِّ

١٣ - فَهَلْ لِى والأمانِى خادِعاتٌ ... إلَيْها - بَعْدَ نَأْىٍ - مِنْ دُنُوِّ؟!

---

(١) البعاد: البعد. الدنو: القرب. أنّى: كيف. المتيم: المحب الهائم. السلو: النسيان.

(٣) يُراع: يفزع. انْتَضىٰ السيف: أخرجه من غمده، شبه لمعان البرق بسيف يلمع. الوميض: لمعان البرق. الهُدُوّ: أول الليل.

(٤) أعيا: أعجز. صب: عاشق. الخَفُوّ: اللامع.

(٥) دوّ: جبل.

(٦) سحائب: فاعل (سقى) فى البيت السابق. دائمات: فى (أ) دانيات، وما أثبته من (ب). الودق: المطر. تهمى: تسيل. مجلجل: مطر يصحبه صوت شديد. غَدق: كثير غزير، وفى (أ) رعد، وما أثبته من (ب) أصح لأن المجلجل هو الرعد فلا يوصف الشىء بنفسه.

(٧) عاجت: مرت. بثت: نشرت. الوشى: النسيج المزركش، أراد به النبات والزهر.

(٨) الأنواء: الأمطار. وهذا البيت وسابقه زيادة من (ب).

(٩) غاليت: تعمقت وتشددت. الغلو: التشدد الذى يبعد بصاحبه عن روح الدين وسماحته. يقول: هذه الذكريات أثيرة عندى فأنا متمسك بها أشد التمسك حتى يمكن وصفى بالمغالاة والتطرف، ولكنه تطرف محمود، وليس كالتطرف الذميم.

(١١) تجافتها: تباعدت عنها. الجَفُوّ: المتباعد الكاره. وهذا البيت زيادة من (ب).

(١٢) أعلّلها: أصبّرها وألهيها. ليت ولو: كلمتان للتمنّى، وجُرّ لفظهما لإقامتهما مقام الإسم.

(١٣) يقول: فهل أكون قريبا من هذه الرحاب بعد نأيى عنها، ويستدرك معترضا: =

١٤ - فَأَشْفِيَ غُلَّةً فِي الصَّدْرِ مِنْهَا ... وَتَسْكُنَ عِلَّةُ القَلْبِ الهَفُوِّ

١٥ - أَحِنُّ إِلَىٰ مَعَالِمِهَا وَتَحْنُو ... عَلَيْهَا أَضْلُعِي أَعْلَىٰ حُنُوِّ

١٦ - مَعَالِمُ أَحْرَزَتْ شَرَفًا وَعِزًّا ... كَفِيلاً بِالمَزِيدِ وَبِالنُّمُوِّ

١٧ - بِمَنْ أَرْسَى المَكَارِمَ فِي ذُرَاهَا ... وَمَنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ فِي العُلُوِّ

١٨ - بِأَحْمَدَ سَيِّدٍ هَادٍ بَشِيرٍ ... نَذِيرٍ شَاهِدٍ بَرٍّ عَفُوِّ

١٩ - نَبِيٍّ جَلَّلَ الأَعْدَاءَ ذُلاً ... بِسَيْفٍ جَلَّ حَدًّا عَنْ نُبُوِّ

٢٠ - جَلا ظُلَمَ الضَّلالِ بِنُورِ شَرْعٍ ... لِمَا أَوْهَتْ يَدُ العَدْوَىٰ مُسَوِّ

٢١ - وَأَيَّدَهُ الإِلٰهُ بِعِزِّ نَصْرٍ ... عَلَىٰ حِزْبِ الطُّغَاةِ لَهُ مُقَوِّ

٢٢ - وَأَرْسَلَهُ وَرَسْمُ الدِّينِ عَافٍ ... فَجَدَّدَهُ بِدَرْسِ أُولِي العُتُوِّ

٢٣ - وَدَلَّ قُلُوبَنَا حَتَّىٰ عَرَفْنَا ... بِهَا الإِلْهَامَ مِنْ نَفْثِ العَدُوِّ

٢٤ - وَقَلَّدْنَا بِسُنَّتِهِ سُيُوفًا ... نَصُولُ بِهَا عَلَى أَهْلِ العُتُوِّ

٢٥ - وَإِنَّا فِي مَعَادِ النَّاسِ نَرْجُو ... شَفَاعَتَهُ إِلَىٰ الرَّبِّ العَفُوِّ ٨٣/ب

*****

= والأمانى خادعات.

(١٤) الغُلة: الظمأ. الهفُوّ: المتحرك، أى المشتاق كأنه يتحرك شوقًا وقلقًا.

(١٧) أرسى: ثبّت، وفى (أ) بمن حلَّ، وفيه خطأ نحوى صرفى؛ لأن (حلَّ) لا يتعدى بنفسه، وما أثبته من (ب) هو الصواب.

(١٩) جلَّلهم: ألبسهم. جلَّ: عظُم قدره. النبوّ: عدم الإصابة، يصف سيف النبى ﷺ بأنه سيف قاطع يقضى على الأعداء.

(٢٠) جلا: كشف وأزال. ظُلم: جمع ظُلمة. أوهت: أضعفت. مسوّ: مقيم لما مال.

(٢٢) الرسم: المعالم. عاف: زائل. درس: إبادة. العتوّ: الظلم والطغيان.

(٢٣) الإلهام من الله سبحانه وتعالى، والنفث من الشيطان، وهو الوسوسة.

(٢٤) نصول: نعلو ونتفوق. وهذا البيت زيادة من (ب) ولعله مقحم هنا؛ لأن كلمة القافية تكررت فى البيت (٢٢)، وتكرار القافية قبل سبعة أبيات عيب من عيوب القافية يسمى الإيطاء، ولا أظن الصرصرى يقع فى مثل هذا الخطأ.

قافية الهاء

تضم هذه القافية قصيدتين متوسطتى الطول، كلتا القصيدتين تعج بالمحسنات البديعية، خاصة الجناس التام فى أولاهما، والجناس المقلوب وردّ الصدر على العجز فى ثانيتهما.

الهائية الأولى

(عدتها ٦٠ ـ الطويل الثالث)

تتكرر كلمة القافية عينها فى كل بيتين من أبيات هذه القصيدة، ولكن بدلالتين مختلفتين، وقد اضطر الناسخ أن يضع بجوار كل قافية معناها. بيد أن هذا الصنيع من الشاعر قد أفسد القصيدة وجعلها مجرد لعب بالألفاظ لا يلتفت إلى المعنى والعاطفة كثيراً.

تبدأ القصيدة بمقدمة طللية تصف رسوم الديار وقد رحل عنها أهلها، ثم تصف رحلة ركب الحجيج إلى الأرض المباركة وما أثاره بقلبه من أشواق، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ، وتختتم بمحاولة لتعزية النفس فى بعدها عن محبوبها، وتمنّى القرب منه، ثم بالسلام عليه ﷺ.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- حنين إلى الديار المباركة.
- رسالة شوق.
- فى مدح النبى ﷺ.
- أمنيات بقرب الزيارة.

وقال يمدحه ﷺ (*):

١ - لِمَنْ دِمَنٌ بالرَّقْمَتَيْنِ أراهَا ... مَحَا رَسْمَها طُولُ البِلىٰ وعَفَاها

٢ - تَحَمَّلَ عَنْها كُلُّ أغْيَدَ آنِسٍ ... ولَمْ يَبْقَ إلا عُفْرُها وعُفَاها

٣ - فَأَضْحَتْ قَواءً بَعدَ طُولِ غَنَائِها ... يُنَعَّمُ فِيها رِيمُها وطَلاها

٤ - علَىٰ أنَّ فِيها نَفْحَةً مِنْ أرِيجِهِمْ ... كَأَنَّ بَنانًا بالعَبِيرِ طَلاها

٥ - خَلِيلَيَّ إنْ مَارَيْتُما فِي صَبابَتِي ... بِها فَقِفَا فِي رَبْعِها فَسَلاها

٦ - أعَيَّتْ رُبَاها أمْ أرَبَّتْ بِجَوْها ... دُمُوعُ فَتًى مَا مَلَّها فَسَلاها

٧ - عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنِّي أنْ أرَىٰ جَنَباتِها ... يُجاوِبُ فِيها الهاتِفاتِ صَدَاها

٨ - فَهَلْ لِنُفُوسٍ حُلِّئَتْ عَنْ مِياهِها ... سَبِيلٌ إلى وِرْدٍ يَبُلُّ صَدَاها

٩ - أحِنُّ إلىٰ جَرْعاءِ مُنْعَرَجِ اللوىٰ ... ويُذْكِي غَرامِي كَهْلُها وفَتَاها

١٠ - ولَسْتُ وإنْ أطْنَبْتُ أوَّلَ عاشِقٍ ... سَبَىٰ لُبَّهُ حُبُّ الدِّيارِ فَتَاها

(*) جاء فى هامش المخطوط شرح لكلمات القوافى، حيث تتكرر كلمة القافية فى كل بيتين ولكن بمعنيين مختلفين، ففى البيتين الأول والثانى مثلاً كانت كلمة القافية (عفاها). كتب الناسخ بجانب الأولى: زال، وبجانب الثانية: نوع من الوحش. وسأكتفى بشرح الناسخ لكلمات القوافى دونما تعليق إلا إن جانبه الصواب، مع وضع تفسير الناسخ بين قوسين.

(١) الدمن: بقايا الديار التى رحل عنها أصحابها. الرقمتان: توجد عدة مواضع بهذا الاسم، ولعل المراد بالرقمتين هنا: قريتان بين البصرة ومكة المكرمة. أو الموضع المسمى بهذا الاسم قرب المدينة المنورة [انظر: ياقوت ٣ / ٦٦ - ٦٧]. البلى: القدم. عفاها: طمس أثرها ومحاه، والمعنى الذى أورده الناسخ للكلمة (زال) لا يصح هنا لأن الفعل متعدٍّ، فلا بُدَّ أن يكون معناه: أزال أثرها.

(٢) تحمَّل: رحل. أغيد: كل ما يتمايل فى مشيته، ومؤنثه غيداء وهى الفتاة الناعمة اللينة وهو المراد هنا. آنس: مؤنس. العفر: الظباء البيض. عفاها: (نوع من الوحش).

(٣) قواء: مقفرة خالية. الغناء: الإقامة فيها. الريم: الغزال الأبيض. الطَّلا: (ولد الظبية).

(٤) نفحة: رائحة طيبة، ومثله الأريج. البنان: أطراف الأصابع. العبير: العطر. طلاها: (من الطلى) أى الطلاء.

(٥) ماريتما: شككتما. الصبابة: العشق. سلاها: (من السؤال).

(٦) عيَّت: عجزت فلم ترجع جوابا. أربَّت: أقامت. سلاها: (من السلوّ) أى النسيان.

(٧) الهاتفات: الحمائم المغنية. صداها: رجع (الصوت).

(٨) حُلِّئت: منعت من ورود الماء. صداها: (العطش).

(٩) الجرعاء: الأرض الرملية المستوية. منعرج: منعطف. اللوى: منعطف الرمل. يذكى: يشعل. الكهل: الرجل بين الثلاثين والأربعين. فتاها: (من حداثة السن).

(١٠) أطنبت: أطالت الكلام وأكثرت. سبى: أسر. لبه: عقله. فتاها: (من التيه).

١١ - وخُوصٍ نَواجٍ ضُمَّرٍ خَاضَتِ الفَلا ... فَمَا صَدَّها عَمَّا تَرُومُ وَجَاها

١٢ - بأكْوارِها شُعْثُ النَّواصِي مِنَ السُّرَىٰ ... تُحَاوِلُ عِزًّا لا يَبِيدُ وَجَاها

١٣ - غَطارِفَةٌ مِنْ كُلِّ قَيْلٍ تُقِلُّهُ ... مُضَبَّرَةٌ أحْنَاؤها فَقَراها

١٤ - إذا ما حِياضُ المَجْدِ غَاضَتْ قَرَىٰ بِها ... وإن مَاحِلٌ خَانَ الضُّيوفَ قَراها

١٥ - سَأَلْتُكُمُ إنْ جُزْتُمُ بِلِوَىٰ النَّقَا ... فَحَيُّوا بِهِ الحَيَّ الحُلُولَ شِفَاها

١٦ - وقُولوا: أخُو شَجْوٍ يُقَبِّلُ تُرْبَكُمْ ... يُجِلُّ أكُفًّا مِنْكُمُ وشِفَاها

١٧ - ويا حَادِيَيْ رَكْبِ الحِجَازِ إذا النَّوَىٰ ... تَخَلَّتْ وألْقَتْ لِلإيَابِ عَصَاها

١٨ - فَعَطْفًا عَلَىٰ صَبٍّ أطَاعَ غَرامَهُ ... وإنْ أنَّبَتْهُ العَاذِلاتُ عَصَاها

١٩ - وبُثَّا إلىٰ أعْلامِ مَكَّةَ لَوْعَتِي ... وشَوْقِي إلىٰ بَطْحائِها وصَفَاها

٢٠ - فَقَدْ هَاجَ وجْدِي شَادِيانِ تَرَنَّما ... كأنَّهُما لِلقَلْبِ قَدْ وَصَفَاها ١/٨٤

٢١ - ومِيلا إلىٰ وادِي العَقِيقِ وقِيتُما ... كَلالَ المَطايا فِي السُّرَىٰ ورَدَاها

٢٢ - فَثَمَّ رِياضُ العَيْنِ والقَلْبِ عِنْدَها ... مَناهِلُ رِيٍّ آهِ لَو وَرَدَاها

---

(١١) وخوص: ورُبَّ إبل غارت عيونها من العطش وطول المسير. نواج: مسرعات. ضُمَّر: هزيلات. تروم: تريد. وجاها: (التعب).

(١٢) الأكوار: الرحال. شعث النواصي: رجال غير مرجَّلي الشعور. لا يبيد: لا يفنى ولا يهلك. جاها: (القَدْر).

(١٣) غطارفة: سادة كرام. القَيْل: الملك. تقلُّه: تحمله. مضبَّرة: قوية مكتنزة اللحم. أحناؤها: ضلوعها. قراها: (الظهر).

(١٤) غاضت: جفَّ ماؤها. قرى: جمع الماء في الحوض. ماحلٌ: عام جدب. قراها: (أكرمها).

(١٥) جُزْتم: مررتم، من جازَ يجوز. النقا: التل الرملي. الحلول: المقيمون. شفاها: (مشافهة).

(١٦) شجو: حزن. يجلُّ: يعظِّم. شفاها: (جمع شفة).

(١٧) النوى: البُعد. تخلَّت: فارقت، أنث الفعل مع (النوى) لأن هذه الكلمة تؤنث وتذكر. الإياب: الرجوع. ألقت عصاها: كناية عن الإقامة والاستقرار. العصا: (الآلة المعروفة).

(١٨) أنَّبته: من التأنيب وهو اللوم العنيف. عصاها: (من العصيان).

(١٩) بُثَّا: من البث وهو الشكوى. أعلام: جبال. صفاها: (مكان بمكة) وهو جبل الصفا المعروف.

(٢٠) هاج: أثار. الوجد: شدة الحزن. شاديان: طائران مغنيان. ترنَّما: غنيَّا. وصفاها: (من الوصف).

(٢١) كلال: تعب. المطايا: الإبل. رداها: (الهلاك).

(٢٢) ثَمَّ: هناك. مناهل: موارد. وَرَداها: (من الورود).

٢٣ - وحُثَّا إلَيْها العِيسَ حَثًّا وإن وَنَتْ ... فبالمَرْبَعِ الرَّحْبِ الخَصيبِ عِداها

٢٤ - عِداها بأوْطانٍ سَمَتْ أوْلياؤها ... وعَزَّتْ وباءَتْ بالصَّغارِ عِداها

٢٥ - مَنازِلُ راقَتْ بَهْجَةً ونَضارَةً ... ورَقَّتْ حَواشيها وطابَ جَناها

٢٦ - إذا حَلَّها الجانى كَفَتْهُ حُماتُها ... أذًى تَبِعاتٍ حَرُّها وجَناها

٢٧ - تَحِنُّ إلَيْها والمَهامَهُ دُونَها ... رِجالٌ حَناها شَوْقُها وبَراها

٢٨ - تُقَبِّلُ إجْلالاً لِمَنْ حَلَّ أرْضَها ... بأجْفانِها حَصْباءَها وبُراها

٢٩ - يَهُونُ عَلَيْهِ فى هَواهُ عَناؤها ... ويَصْغُرُ فيهِ وَجْدُها وأساها

٣٠ - إذا هِىَ بالتَّهْجيرِ عَنَّتْ جِراحُها ... تَلافَىٰ بِلُطْفٍ داءَها وأساها

٣١ - تَوَدُّ مِنَ التَّعْظيمِ لَوْ بَذَلَتْ لَهُ ... لِيَرْضَىٰ فِداءً أُمَّها وأباها

٣٢ - نَبِىٌّ أطاعَتْهُ الكُنوزُ فَلَمْ يَكُنْ ... لَها قابِلاً بَلْ رَدَّها وأباها

٣٣ - فَصَحَّ لَهُ الزُّهْدُ الصَّريحُ تَقَدَّسَتْ ... لَهُ كَبِدٌ عَفَّتْ وطالَ طَواها

٣٤ - كَريمٌ عَظيمُ الصَّفْحِ لَمْ تَبْقَ رُتْبَةٌ ... مِنَ المَجْدِ إلاَّ نالَها وطَواها

٣٥ - عَزُوفٌ عَنِ الدُّنيا فَسِيَّانِ عِنْدَهُ ... لِفَرْطِ احْتِقارٍ أرْيُها وألاها

---

(٢٣) الحث: السَّوْق السريع. العيس: الإبل البيضاء. ونت: أبطأت. عداها: (من الوعد).

(٢٤) سمت: علا قدرها. أولياؤها: محبُّوها. باءت: رجعت. الصَّغار: الذل. عداها: (الأعادى).

(٢٥) راقت: حَسُنت، وفى الأصل: رقَّت، والتصحيح من النبهانية. البهجة والنضارة: الحسن والجمال. حواشيها: أطرافها. جَناها: (الثمر)

(٢٦) تبعات: مسئوليات. جرُّها: سببُها. جناها: (من الجناية).

(٢٧) المهامه: الصحارى المقفرة. حَناها: جعلها محنيَّة من شدة الضعف. براها: (أسقمها) وأهزلها.

(٢٨) الحصباء: الحجارة. براها: (التراب).

(٢٩) عناؤها: تعبها. أساها: (الحزن).

(٣٠) التهجير: السير وقت الهجير، أى فى الظهيرة. عَنَّت: ظهرت. وفى الأصل: إذا هى بالهجران عفَّتْ، وهو تصحيف، والتصحيح من النبهانية. تلافى: أدرك. وفى الأصل: يُلاقى، وهو تصحيف، والتصحيح من النبهانية أيضا. أساها: (طبَّبها) أى شفاها.

(٣١) (الأب معروف). (٣٢) أباها: (ردَّها) وامتنع من قبولها.

(٣٣) تقدست: تطهرت. عفت: من العفَّة. طواها: (الجوع).

(٣٤) طواها: (من الطىّ) أى تجاوزها ووصل إلى ما فوقها.

(٣٥) عزوف: متباعد زاهد. سيان: متماثلان. فرط: شدة. الأرى: العسل. ألاها: (الصبر) وفى اللسان: الألاء بالفتح: شجر حسن المنظر مر الطعم، .... وربما قصر: الألا.

٣٦ - حَبَا بِعَظِيمِ الفَضْلِ أُمَّتَهُ فَلَمْ ... يَلِتْهَا ولا النُّصْحَ المُبِينَ أَلاها

٣٧ - فَلَمْ تَأْلُهُ صِدْقَ القُلوبِ وأعْمَلَتْ ... صَوارِمَهَا فِي نَصْرِهِ وقَنَاها

٣٨ - وكُلٌّ لَهُ فِي الحَرْبِ جَادَ بِنَفْسِهِ ... وأمْوالِهِ اللاتِي حَوَىٰ وقَنَاها

٣٩ - هُوَ السَّابِقُ الرُّسْلِ الكِرامِ بِفَضْلِهِ ... وإنْ كَانَ فِي حُكْمِ البَلاغِ تَلاها

٤٠ - لَقَدْ خُصَّ بالآياتِ والسُّوَرِ الَّتِي ... عَلَىٰ النَّاسِ بالحَقِّ المُبِينِ تَلاها

٤١ - فَعالَجَ أمْراضَ القُلوبِ بِنُورِها ... وأنْقَذَها مِنْ سُقْمِها وشَفَاها ٨٤/ب

٤٢ - وكانَتْ مِنَ الكُفْرِ المُبِينِ عَلَىٰ شَفَا ... فَزَحْزَحَها عَنْ مُوبِقَاتِ شَفَاها

٤٣ - فَأَوْرَثَها عِلْمًا وحِلْمًا وحِكْمَةً ... وأبْعَدَ عَنْها غِرَّةً وسَفَاها

٤٤ - فَمَنْ قَبِلَ احْتَلَّ السَّلامَةَ مَعْقِلاً ... ومَنْ رَدَّ أعْطَتْهُ الرِّماحُ سَفَاها

٤٥ - فأَضْحَتْ بِهِ الأعْلامُ مِنْ أرْضِ يَثْرِبٍ ... تُطِيعُ إلَيْها اليَعْمُلاتُ بُرَاها

٤٦ - تُقِلُّ رِجالاً أوْ نِساءً تَقَرَّبَتْ ... بِدُمْلُوجِها مِنْ حُبِّهِ وبُرَاها

٤٧ - وكَمْ مِنْ فَتاةٍ آمَنَتْ ثُمَّ هَاجَرَتْ ... إلَيْهِ وأقْصَتْ بَعْلَها وحَمَاها

٤٨ - فأَبْدَىٰ لَها حُسْنَ الجِوارِ وصَانَها ... وذَبَّ الأذَىٰ عَنْ رَبْعِها وحَمَاها

---

(٣٦) حبا: أعطى وأكرم. لم يلتها: لم ينقصها. ألاها: (من الألْو، وهو التقصير).

(٣٧) لم تأله: لم تقصر. وفى (أ): فلم يألُه، والتصحيح من النبهانية. أعملت سيوفها: عملت بها. صوارمها: سيوفها. قناها: (الرماح).

(٣٨) قناها: (من القُنْيَة)، أى اكتسبها.

(٣٩) تلاها: (من الاتِّباع)، أى تبعها.

(٤٠) تلاها: (من التلاوة).

(٤١) السقم: المرض. شفاها: (من الشفاء).

(٤٢) شفا الحفرة: حدُّها. موبقات: مهلكات. شَفَاها: (الهلاك).

(٤٣) غرة: غفلة. سفاها: (السفه) والجهل والحماقة.

(٤٤) سَفَاها: (أطرافها).

(٤٥) اليعملات: الإبل المدربة على السير. براها: (جمع برة فى أنف البعير) وهى حلقة توضع فى أنف البعير.

(٤٦) تقلّ: تحمل. الدملوج: سوار يوضع فى أعلى الذراع. بُرَاها: (الخلاخيل)، والبُرى: جمع بُرَة أيضًا.

(٤٧) أقصت: أبعدت. بعلها: زوجها، وفى الأصل: بعدها، وهو سهو من الناسخ والصواب ما أثبته كما فى النبهانية. حماها: (قريب الزوج).

(٤٨) ذبّ: دفع ومنع. حماها: (من الحماية).

٤٩ - يَعِزُّ عَلىٰ أجْسامِنا وقُلوبِنا ... تَباعُدُها عَنْهُ وطُولُ نَواها

٥٠ - فَلَمْ يَبْقَ إلا حَنَّةٌ وتَأسُّفٌ ... ونِيَّةُ صِدْقٍ لِلمُحِبِّ نَواها

٥١ - فَلَيْتَ المَطايا زُرْنَ أكْنافَهُ بِنا ... ولَوْ شَفَّها طُولُ السُّرَىٰ وحَنَاها

٥٢ - فَتَرْوَىٰ نُفُوسٌ حائِماتٌ هَفَا بِها ... إلىٰ رَبْعِهِ وَجْدٌ عَلَيْهِ حَنَاها

٥٣ - خَلِيلَيَّ إنْ لَمْ تَعْذُراها فأقْصِرا ... دَعَاها وأثْقَالَ الغَرامِ دَعَاها

٥٤ - وأكْثَرُ مَا تَخْتارُ لَوْ أنَّ داعِيًا ... إلَيْهِ علَىٰ بُعْدِ المَزارِ دَعَاها

٥٥ - عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ مَا لاحَ بَارِقٌ ... ورَوَّىٰ الرِّياضَ النَّاعِماتِ نَدَاها

٥٦ - وما بَقِيَتْ مِنْ تابِعِيهِ عِصابَةٌ ... يُمِيتُ ويُحْيِي بأْسُها ونَدَاها

٥٧ - يُعَطِّرُ نَظْمِي مَدْحُهُ وقَصائِدِي ... كأنْ ذِكْرُهُ بالمِسْكِ مِنْهُ حَشَاها

٥٨ - إذا وَعَتِ المَعْنَىٰ بِها نَفْسُ مُؤْمِنٍ ... أصَاخَتْ وقَرَّتْ بالسُّرورِ حَشَاها

٥٩ - وقَالَ لِسَانُ العِلْمِ والفَهْمِ، لا وَهَىٰ ... جَنَانُ لِسَانٍ بالبَيَانِ فَرَاها

٦٠ - لَقَدْ جَرَسَتْ مِنْ أطْيَبِ النَّخْلِ نَحْلُها ... وحَلَّ جَمِيعُ الصَّيْدِ جَوْفَ فَرَاها

*****

---

(٤٩) تباعدها : فى الأصل : تباعد ، دون ذكر الضمير، وهو سهو من الناسخ . نواها : النَّوى (البعد) .

(٥٠) حنَّة : اسم مرة من الحنين وهو الشوق . نواها : (من النية) .

(٥١) حناها : (من الانحناء) .

(٥٢) تروى : ترتوى . حائمات : ظامئات . هفا : مال وجذب . حناها : (من الحُنُوّ) وهو العطف .

(٥٣) أقصرا : كُفَّا . دعاها : (من التَّرك) .

(٥٤) دعاها : (من الدعاء) أى النداء، أو من الدعوة .

(٥٥) لاح : ظهر . بارق : برق . وروَّى : فى الأصل : يُروِّى، وهو خطأ، والتصحيح من النبهانية . نداها : (المطر الخفيف) .

(٥٦) البأس : الشدة . نداها : (الكرم) .

(٥٧) حشاها : (من الحشو) أى ملأها .

(٥٨) أصاخت : استمعت . حشاها : (القلب) .

(٥٩) لا وَهَى : لا ضعف، وهى جملة دعائية . جنان : قلب . البيان : البلاغة والفصاحة . فَرَاها : (أجاد صنعتها) .

(٦٠) جرست النحل : امتصت رحيق الثمار والأزهار . النخل : فى (أ) : التمر، وهما متقاربان، واخترت (النخل) كما فى النبهانية لميل الصرصرى فى هذه القصيدة إلى المجانسة . فَرَاها : (حمار الوحش) مأخوذ من المثل القائل : كل الصيد فى جوف الفرا . يضرب للصيد أو الكسب الكبير الذى يغنى عما سواه .

الهائية الثانية

(عدتها ٥٦ ـ الطويل الثالث)

يكثر الجناس بأنواعه المختلفة ـ خاصة الجناس التام ـ فى هذه القصيدة، كما فى: (بَرَاها ـ بُراها)، (يُجار ـ جار)، والجناس المقلوب كما فى (جواها ـ وجاها).

إلا أن ألوان البديع هنا لم تسيطر على القصيدة بحيث تفسد المعنى أو تشوش على العاطفة كما فى الهائية السابقة، لأنها جاءت بنسبة أقل بكثير، كما أنها غير مفتعلة ولا متكلفة إلا فيما ندر من أبيات هذه القصيدة.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية:

- وصف رحلة الحج والمشاعر المصاحبة لها.
- فى تعظيم الأرض المباركة.
- فى مدح النبى ﷺ.
- دعاء واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - ذَرَاها تَجُبْ عُرْضَ الفَلاةِ ذَراها ... فإمَّا المَنَايَا أوْ بُلوغُ مُنَاها ٨٥/أ

٢ - ولا تَخْدَعَاها بالقُصورِ عَنِ الرُّبَا ... بِنَجْدٍ فَما قَصْدُ المَطِيِّ سِوَاها

٣ - بَرَاها التَّغالِي فى بُرَاها وإنَّها ... لِفَرْطِ جَوَاها لا تَخافُ وَجَاها

٤ - تَجِدُّ بِهَا الأشْواقُ حَسْرَىٰ كأنَّها ... حَنَايا قِسِيٍّ والسِّهامُ خُطاها

٥ - ولولا ادِّكارُ العَهْدِ لَمْ يَلْوِ عِطْفَها ... زَرودٌ عَلىٰ بُعْدِ المَدىٰ ولِوَاها

٦ - يُمِلُّ عَلَيْها سُحْرَةً نَفَسُ الصَّبَا ... رَسَائِلَ عَنْ بَانِ الحِجَازِ رَواها

٧ - فَيُطْرِبُها مَرُّ النَّسِيمِ فَتَنْثَنِي ... مِرَاحًا نَشاوَىٰ لا تَمَلُّ سُراها

٨ - فيا حَادِيَيْها أعْفِيَاها هُدِيتُما ... عَنِ الزَّجْرِ إنْ حَادِي الغَرامِ حَداها

٩ - فإنَّ لَها بَيْنَ الجَوانِحِ والحَشَا ... حَنِينًا بِهِ تَطْوِي بَعِيدَ مَداها

١٠ - مَتَىٰ تَحْمَدُ الهِيمُ الخِماصُ مَقِيلَها ... وَتُمْسِي عَلىٰ وِرْدٍ يَبُلُّ صَداها؟

١١ - ويُسْفِرُ عَنْ وَجْهِ النَّجاحِ سِفَارُها ... وتُلْقِي بِسَلْعٍ لِلإيابِ عَصَاها؟

---

(١) ذراها: اتركاها. يخاطب صاحبين متخيَّلين على عادة الشاعر العربى القديم فى مطالع القصائد. تجب: تقطع، مجزوم فى جواب الطلب، وأصله: تجوب. المنايا: الموت.

(٢) عن الربا: فى الأصل: على الربا، والتصحيح من النبهانية. وقوله: لا تخدعاها بالقصور عن الربا بنجد، أى: لا تخدعاها فتغتر بالقصور وتتلهَّى عن ربا نجد حيث ديار الأحباب.

(٣) براها: أهزلها وأضعفها. التغالى: المغالاة ومجاوزة الحدّ. بُراها: البُرَى جمع بُرَة وهى حلقة توضع فى أنف البعير يُشَدُّ بها زمامه. الجوى: الحزن الناشئ عن العشق. الوجىٰ: داء يصيب أخفاف الإبل من طول سيرها.

(٤) تجدُّ: تجتهد، والمراد: تجعلها تجتهد فى سيرها. حسرى: متعبة. حنايا: أطراف الأقواس.

(٥) ادِّكار: تذكر. لم يَلْوِ عطفها: أى لم يجذبها. زرود: موضع على طريق حجاج الكوفة نحو مكة المكرمة [ياقوت ٣/١٥٦].

(٦) يُملّ: يملى. سحرة: فى وقت السحر. البان: شجر طويل أملس.

(٧) تنثنى: تميل. مراحا: نشيطات. نشاوَى: جمع نشوى، من النشوة وهى السُّكْر.

(٨) أعفياها: سامحاها. الزجر: العنف، وجملة (هديتما) اعتراضية دعائية.

(٩) الجوانح: الضلوع.

(١٠) الهيم: الإبل العطاش. الخماص: الجائعات. مقيلها: مكان القيلولة والراحة. الصدى: العطش.

(١١) يسفر: ينكشف. سفارها: سفرها. الإياب: الرجوع. وإلقاء العصا: كناية عن الإقامة والاستقرار فى الوطن بعد طول سفر.

١٢ - سَقَىٰ اللهُ تِلْكَ الأَرْضَ ما طَابَ مِنْ حَيًا ... وشَاعَ فأَحْيَا وَهْدَها ورُبَاهَا

١٣ - فَلَمْ يَبْقَ مَيَّاسٌ مِنَ النَّبْتِ أَخْضَرُ الـ ... ـخَمائِلِ إلاَّ زَانَهَا وكَسَاها

١٤ - فَتِلْكَ مِنَ الأَوْطَانِ أَشْرَفُ مَطْلَبٍ ... وأَقْصَىٰ أَمَانِي مُهْجَتِي ورِضَاها

١٥ - فَهَلْ لِلَيَالٍ أَقْمَرَتْ فِي عِرَاصِهَا ... بِنُورِ التَّلاقِي أَوْبَةٌ فَنَرَاها

١٦ - فَيُورِقَ فِيهَا مَا عَسَا مِنْ وِصَالِنا ... وتَغْنَىٰ المُنَىٰ عَنْ عَلِّها وعَسَاهَا!

١٧ - لَعَمْرُكَ ما أَشْجَانُ قَلْبِي رَهِينَةٌ ... بِنَجْدٍ ولا أَسْحَارِها وصَبَاها

١٨ - ولَكِنْ بِمَأْوَىٰ الفَضْلِ مُجْتَمَعِ النَّدَىٰ ... مَنَارِ الهُدَىٰ رَبْعِ العُلا وحِمَاها

١٩ - مَوَاطِنُ آبائِي ودارُ عَشِيرَتِي ... ومَفْخَرُها بَيْنَ الوَرَىٰ وسَنَاها

٢٠ - ألا تِلْكَ كَنْزُ الفَضلِ طَيْبَةُ مَعْدِنُ الـ ... ـحَقائِقِ أَسْبابُ الهُدَىٰ وعُرَاها

٢١ - تَنالُ النُّفوسُ الخَائِفاتُ أَمانَها ... بِها والقُلوبُ الحَائِماتُ مُنَاها

٢٢ - هِيَ القَلْبُ لِلإِيمانِ والقُبَّةُ الَّتِي ... لِعِزَّتِها الإِسْلامُ حَلَّ ذُرَاهَا

٢٣ - يُجارُ مِنَ الدَّجَّالِ ذِي الجَوْرِ جَارُها ... ويُبْرِئُ مِنْ دَاءِ الجُذامِ بَرَاها

---

(١٢) حيا: مطر. الوهد: الأرض المنخفضة. ورباها: في (أ): ورواها، والتصويب من النبهانية، وهو أقرب لمراد الناظم لقصد المقابلة بين المنخفض والمرتفع من الأرض.

(١٣) مياس: متمايل. الخمائل: الأشجار الكثيرة الغصون.

(١٤) المهجة: القلب.

(١٥) عراصها: ساحاتها. أوبة: عودة. وهذا البيت وتاليه زيادة من النبهانية.

(١٦) عسا: يبس وجفت أوراقه. علّ وعسى: من أدوات الترجي، وعوملتا معاملة الأسماء فصحّ جرهما بعن.

(١٨) مأوى: منزل وموضع. الندى: الكرم. الحمى: المكان المَحْمِيُّ فلا يجرؤ أحد على النَّيل منه أو ارتكاب جرم فيه. وجاء هذا البيت في (أ) هكذا:

ولكن بمأوى الفضلِ مجتمعِ الهُدى ... منارِ العلا ربعِ الصفاتِ حِماها

وما أثبتُّه من النبهانية أصح.

(١٩) الورى: الناس.

(٢٠) معدن الحقائق: موضع ثبوتها. العرى: ما يمسك به كل شيء.

(٢١) الحائمات: الظمأى. وأصله من: حامَ الطائر على الماء، إذا دار حوله ورفرف بجناحيه يريد الشرب.

(٢٢) لعزتها: لأجل عزتها، فاللام للتعليل. ذارها: جمع ذروة، وهي القمة. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٢٣) يجار: يغاث ويُخَلَّص. جارها: ساكنُها. يبرئ: يشفي. بَراها: ترابها. جاء في فضل المدينة المنورة قوله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» =

٢٤ - تُحَثُّ إليْها العِيسُ شَرْعًا ولوْ سَطَتْ ... بِها فى الفَلا أنْساعُها وبُرَاها

٢٥ - لَقَدْ فَضَلَتْ فى الأرْضِ شَرْقًا ومَغْرِبًا ... عَلَىٰ مُدُنِ الدُّنْيا وريفِ قُرَاها ٨٥/ب

٢٦ - بِمَنْ أشْرَقَتْ مِنْ نُورِهِ جَنَباتُها ... ومَنْ طَابَ مِنْ رَيَّاهُ طِيبُ شَذَاها

٢٧ - مُحَمَّدٍ الماحِي بِنُورِ رَشادِهِ ... عَنِ الأمَّةِ الحَيْرَىٰ ظَلامَ هَوَاها

٢٨ - وكَانَتْ مِنَ الكُفْرِ المُبِينِ عَلَىٰ عَمىً ... فَبَصَّرَها مِنْ بَعْدِ طُولِ عَمَاها

٢٩ - فَأضْحَتْ عَلَىٰ بَيْضَاءَ مِنْهُ نَقِيَّةٍ ... ولَوْلاهُ لَمْ تَسْلُكْ سَبِيلَ سُوَاهَا

٣٠ - هُوَ الفَاتِحُ السَّبَّاقُ والخَاتَمُ الَّذِى ... مَناقِبُهُ فِى الفَضْلِ لا تَتَنَاهَىٰ

٣١ - لَقَدْ كَتَبَ الرَّحْمٰنُ فِى القِدَمِ اسْمَهُ ... عَلَىٰ العَرْشِ والجَنَّاتِ حِينَ بَنَاها

٣٢ - ووَاثَقَ كُلَّ الأنْبِياءِ لِنَصْرِهِ ... مُوَاثَقَةً كُلٌّ وَفَىٰ ورَعَاها

٣٣ - وفى الصُّحُفِ الأُولَىٰ تَجَلَّتْ صِفاتُهُ ... تَبَيَّنَها مَنْ خَطَّها ووَعَاها

٣٤ - وحَيَّاهُ جَهْرًا لَيْلَةَ البَعْثِ كُلُّ مَا ... عَلَىٰ الأرْضِ مِنْ أشْجارِها وحَصَاها

٣٥ - وفِى بَعْثِهِ قَدْ كَانَ حِرْزًا ورَحْمَةً ... لأُمَّتِهِ فِى العَالَمِينَ وجَاها

٣٦ - وأخْبَرَ أنْ لا مُسْتَبِيحَ مِنَ العِدَا ... لِبَيْضَتِها مِمَّنْ طَغَىٰ وتَبَاهَىٰ

٣٧ - وأنَّ الرِّجَالَ الأرْبَعِينَ مَعَانِىَ الـ ... ـبَسِيطَةِ فِيها ما رَسَا حَسَنَاها

٣٨ - وفى لَيْلَةِ المِعْراجِ أُعْطِىَ مَنْصِبًا ... رَفِيعًا من التَّشْرِيفِ لَيسَ يُضَاهَىٰ

= [البخارى: الفتح، ك فضائل المدينة، حديث رقم ١٨٨٠].

(٢٤) تحث: تساق مسرعة. العيس: الإبل البيضاء. سطت بها: أهلكتها. أنساعها: الحبال التى تشد بها الرحال، والبرى: جمع برة، حلقة توضع فى أنف البعير.

(٢٦) رياه: رائحته. الشذى: الرائحة الطيبة.

(٢٩) بيضاء: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: شريعة بيضاء سُواها: السَّوَىٰ: العدل. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٣٠) المناقب: الفضائل.

(٣٢) واثق: أخذ العهد.

(٣٥) حرزا: حصنا مانعا من كل شر. وجاها: قدرا عظيما.

(٣٦) البيضة: الحمى. وهذا البيت وتاليه زيادة من النبهانية.

(٣٧) الرجال الأربعون: هم النجباء، وهم القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم، المتصرفون فى حقوق الخلق [اصطلاحات الصوفية للقاشانى، ص ٩٤]. البسيطة: الأرض، رسا: ثبت. الحسنان: جبلان ببلاد العرب. وجملة (ما رسا حسناها) كناية عن الدوام، فالجبال تدوم وتبقى ما بقيت الأرض. (٣٨) ليس يضاهى: لا يشبهه شىء.

٣٩ - رَأىٰ جَنَّةَ المـأْوَىٰ ومَـا فَـوْقَـهـا ولوْ ... رَأىٰ بَعْضَ مـرْآهُ سِـواهُ لَتَـاهَا

٤٠ - فَـمـا خَـانَهُ قَلْبٌ ولا بَصَـرٌ طَغَىٰ ... ولا زَاغَ عَنْ أشْـيـاءَ كـانَ رآها

٤١ - وَفِي المَـوْتِ أمْلاكُ السَّـمَاءِ لِنَصْـرِهِ ... مُـجَـاوِرةٌ مَـا زَانَهـا قَـمَـرَاهَا

٤٢ - ويَوْمَ مَعَـادِ النَّاسِ فَـهْـوَ شَـفِـيـعُـهُـمْ ... إذَا الكُرْبَةُ الكُبْـرَىٰ أحَـاطَ أذَاها

٤٣ - ويَنْقَعُ بالحَـوْضِ الصَّـدَىٰ ويُخَلِّصُ الـ ... ـمُـسِـيـئِـيـنَ مِنْ نَارٍ يُشَبُّ لَظَاها

٤٤ - فَـسُـبْـحَـانَ مَنْ أهْدَىٰ لَهُ كُلَّ غـايَةٍ ... مِنَ المَـجْـدِ كُلُّ النَّاسِ دُونَ عُـلاها

٤٥ - عِنَايَتُـهُ جَـدَّتْ بِهِ، فَلَوِ ارْتَقَتْ ... سَـمَـاءَ المَـعَـالِي رُتْبَـةٌ لَسَـمَـاهَا

٤٦ - مَـهِـيبُ المُـحَـيَّا الطَّلْقِ عَمَّ حِـبَـاؤُهُ ... تَحُلُّ لَهُ صِـيـدُ المُلوكِ حُـبَـاهَا

٤٧ - حَلِيمٌ عَنِ الجَـانِي شُـجَـاعٌ إذَا اتَّقَتْ ... بِصَـوْلَتِـهِ شُـوسُ الكُمَـاةِ حَـمَـاهَا

٤٨ - إذَا الحَـرْبُ مَـدَّتْ لِلنِّزَالِ رِوَاقَـهـا ... ودَارَتْ عَلَىٰ قُطْبِ الهَـلاكِ رَحَـاها

٤٩ - وكَـادَ يُزِيلُ العَـقْلَ رَعْـدُ حَـدِيدِها ... ويَخْـتَـطِفُ الأبْصَـارَ بَرْقُ ظُبَـاهَا

٥٠ - وعَـسْـعَسَ لَيْلُ النَّقْعِ فِي حَوْمَةِ الوَغَىٰ ... جَـلا بِضِـيـاءِ المَـشْـرَفِيِّ دُجَـاهَا

٥١ - فَـآلاؤُهُ شُـهْـدٌ لأهْلِ وَلائِـهِ ... وبَطْشَـتُـهُ تَسْـقِي العُـدَاةَ أَلاهَا

---

(٤١) أملاك السماء: الملائكة. ما زانها قمراها: ما دام الشمس والقمر يزينان السماء، وهى من كنايات الدوام والأبدية. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٤٣) ينقع: يروى. يُشَبُّ: يوقَد. اللظى: النار.

(٤٥) الأبيات من (٤٥ :٥٣) زيادة من النبهانية. عنايته: عناية الله عز وجل. جدَّت به: أعلت قدره.

(٤٦) المحيا: الوجه. حباؤه: عطاؤه، والذى فى النبهانية: (حَياؤه) ولعله خطأ مطبعى. صيدُ الملوك: أشرافهم. حباها: ثيابها. وقوله: تحل حباها، أى تتواضع الملوك فى حضرته ﷺ.

(٤٧) صولته: بطشه بالأعداء وقهره لهم. شوس: شجعان. الكماة: الفرسان المغطون بالسلاح.

(٤٨) النزال: القتال. مدت رواقها: كناية عن اتساع الحرب وشدتها، ودارت رحاها: بدأت، فكأنها تطحن المتحاربين.

(٤٩) الرعد: شدة الصوت. الظبا: السيوف.

(٥٠) عسعس: أظلم. النقع: غبار الحرب. الحومة: الوسط. الوغى: الحرب. المشرفى: السيف. دجاها: ظلامها.

(٥١) آلاؤه: فضله ونعمه. الشهد: العسل. الولاء: المحبة. العداة: الأعداء. ألاها: شجر الألاء أو الألَى وهو شجر مر الطعم.

٥٢ - فَيَا مَن بِهِ بَطْحَاءُ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ ... وَزِينَ مُصَلاَّهَا بِهِ وَصَفَاهَا

٥٣ - وَمَنْ فَضْلُهُ فِى نُونَ والحِجْرِ والضُّحَىٰ ... وَيسَ والفَتْحِ المُبِينِ وَطٰهَ

٥٤ - بِنُورِكَ وَحَّدْنَا الإِلٰهَ فَلَمْ نُرِدْ ... سِوَىٰ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ إِلٰهَا

٥٥ - وَنَحْنُ عَلَىٰ مِنْهَاجِ سُنَّتِكَ الَّتِى ... جَلا نُورُها أَلْبَابَنا وشَفَاها

٥٦ - فَسَلْ رَبَّكَ الرَّحْمٰنَ إِتْمَامَ فَضْلِهِ ... عَلَيْنا بِعُقْبَىٰ نَسْتَطِيبُ جَنَاها

*****

---

(٥٢) مصلاها: حَرَمُها. صفا: جبل الصفا.

(٥٣) احتوت هذه السور الكريمة على جملة من مناقب النبى ﷺ، سبق إيراد بعض آياتها.

(٥٥) ألبابنا: عقولنا.

(٥٦) عقبى: آخرة. نستطيب: نجده طيبًا. جناها: ثمرها. وقد سقطت كلمة (بعقبى) من الناسخ سهوًا، وأثبتُّها من النبهانية.

قافية اللام ألف !

حتى وقت قريب كان معلّمونا يلقوننا الأبجدية العربية على أنها تسعة وعشرون حرفًا، بإضافة هذا (الحرف) : اللام ألف ! وهذا خلط بين الحروف المفردة أى الأصوات، وبين حروف المعانى؛ فإن (لا) حرف من حروف المعانى يستعمل للنفى والنهى والدعاء وغير ذلك، لكنه ليس حرفًا أى ليس رمزًا لوحدة صوتية « phoneme »، لأنه يتكون من صوتين : اللام والألف.

إلا أن الناسخ وقع فى هذا الخطأ، وقد كان ينبغى عليه أن يضع هاتين القصيدتين ضمن قافية اللام؛ لأن القصيدة تنسب إلى حرف الروى، وحرف الروى هنا : اللام المطلقة بالفتح.

القصيدة الأولى فى قافية اللام ألف

(عدتها ٣٩ ـ الطويل الثانى)

تبدأ هذه القصيدة باستنزال المطر والدعاء بالخصب للربوع المقدسة، والحنين إليها، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض صفاته وخصائصه ومعجزاته، وتختم بالاستجارة به ﷺ من فتن الدنيا.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق إلى الربوع المباركة.
- فى مدح النبى ﷺ.
- استجارة وتوسل به إلى الله عز وجل.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَقَىٰ اللهُ بالبَطْحاءِ رَبْعًا مُكَلَّلاً ... بِتاجِ السَّنا والعِزِّ غَيْثًا مُجَلْجِلا

٢ - هُوَ الرَّبْعُ آنَسْتُ الحَياةَ بِجَوِّهِ ... وعَانَقْتُ فيهِ العَيْشَ فَيْنانَ مُقْبِلا ١/٨٦

٣ - ألا هَلْ إلىٰ ذاتِ السُّتُورِ مَصُونَةِ الـ ... ـخُدورِ الَّتي عَزَّتْ وَتاهَتْ تَدَلُّلا

٤ - سَبِيلٌ ولَوْ أنَّ المَهَامِهَ دُونَها ... مُلِئنَ سُيُوفًا مُرْهَفاتٍ وذُبَّلا؟

٥ - وهَلْ وَقْفَةٌ للوَفْدِ فيها فَنَجْتَلي ... بِنَعْمَانَ وَجْهًا بالرِّضا مُتَهَلِّلا؟

٦ - وهَلْ لِلَيالي الوَصْلِ بالخَيْفِ مِنْ مِنَىٰ ... مُعِيدٌ لِمَنْ مَا حَالَ عَنْها ولا سَلا؟

٧ - أحِنُّ إلىٰ سَلْعٍ وطِيبِ مَقِيلِهِ ... ولَوْلا القِبابُ البِيضُ ما طَابَ مَنْزِلا

٨ - فَيا مُنْتَهَىٰ الآمالِ والفَخْرِ والنَّدَىٰ ... ومُجْتَمَعَ الإحْسانِ والرُّتَبِ العُلَىٰ

٩ - إذا لَمْ يُتَحْ لِلرَّكْبِ نَحْوَكَ أنَّةٌ ... فَلا طَابَ عَيْشٌ لِلمُحِبِّ ولا حَلا

١٠ - دَعِي نَفَسَ الأسْحارِ يَنْفَحُ إنَّني ... أشَمُّ بِهِ مِنْ عَرْفِ أرْضِكِ مَنْدَلا

---

(١) مكللاً: متوَّجًا. الغيث: المطر.
المجلجل: الغزير المصحوب بصوت شديد.

(٢) فينان: أخضر، كناية عن طيب العيش ورغده.

(٣) ذات الستور: الكعبة. الخدور: جمع خِدر وهو الستر.
تاهت: عظمت وتكبَّرت. تدللا حسنا وجمالا.

(٤) المهامه: جمع مهمه وهى الصحارى. مرهفات: سيوف دقيقة الحد قاطعة.
الذبل: الرماح.

(٥) نجتلى: ننظر. نعمان: واد بين مكة والطائف.

(٦) حالَ: تحوَّل. سلا: من السلوّ، وهو النسيان.

(٧) القِباب: القباب جمع قُبَّة، وهى السقف المستدير على هيئة نصف الكرة، والقبة من الخيام بيت صغير مستدير.

(٨) النَّدى: الكرم والجود والمعروف.

(٩) أَنَّةٌ: أنَّ الرجل من الوجع أنينا، وتأوَّه، ويقصد أطال الركب أصواتهم بالدعاء والشكوى.

(١٠) نفس الأسحار: النَّفَس: الريح الخفيفة التى يتنسمها الإنسان فيستروح إليها لطيب روائحها. ينفح: يفوح عطره وشذاه.
عَرْف: بفتح العين وسكون الراء: الريح الطيبة كانت أم خبيثة.
مَندلا: بلد بالهند يجلب منه العود الفائق فيقال عود مَندلىّ.

١١ - لَعَلَّ أخَا الأشْواقِ إنْ مَرَّ نَحْوَهُ ... بِرَيَّاكِ يَرْتَحْ أو يَجِدْ مُتَعَلَّلا

١٢ - وكَيْفَ يَقِرُّ القَلْبُ عَنْكِ وقَدْ حَوىٰ ... جَنابُكِ أزْكَىٰ العَالَمِينَ وأفْضَلا

١٣ - مُحَمَّدٌ المُخْتارُ أفْصَحُ مُبْلِغٍ ... وأنْصَحُ عَبْدٍ جَاءَ بالحَقِّ مُرْسَلا

١٤ - هُوَ الخَاتَمُ المَبْعوثُ بالحَقِّ آخِراً ... وإنْ كانَ فِي التَّفْضِيلِ والخَلْقِ أوَّلا

١٥ - مِنَ الطِّينَةِ البَيْضاءِ قَبْضَتُهُ الَّتِي ... زَكَتْ وحَمَاها اللهُ مِنْ غَيرِ البِلىٰ

١٦ - لَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْ قَبْرِهِ العَطِرِ الثَّرَىٰ ... لِيُعْجَنَ بالتَّسْنِيمِ عَجْناً ويُجْتَلىٰ

١٧ - ويُغْمَسَ غَمْسًا كَيْ يَزِيدَ طَهارَةً ... بِأنْهارِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ويَكْمُلا

١٨ - وطِيفَ بِها السَّبْعُ الطِّباقُ كَمِثْلِ ما ... بِهِ لَيْلَةَ المِعْراجِ طِيفَ مُبَجَّلا

١٩ - وحَلَّ مِنَ الأصْلابِ فِي كُلِّ طَاهِرٍ ... فَما زالَ فِيها طَيِّباً مُتَنَقِّلا

٢٠ - إلىٰ أنْ بَدَا فِي طَالِعِ السَّعْدِ كَامِلَ الـ ... ـمَناقِبِ والأخْلاقِ والسَّمْتِ والحُلىٰ

٢١ - ونَالَتْ بِهِ الزُّلْفَىٰ حَلِيمَةُ إذ غَدَتْ ... بِأبْرَكِ مَوْلُودٍ سَمَا وتَحَوَّلا

٢٢ - هُوَ الأبْلَجُ البَادِي الوَضَاءَةِ وجْهُهُ ... كَبَدْرِ الدُّجَىٰ بَلْ كانَ أبْهَىٰ وأجْمَلا

٢٣ - أجَلُّ الوَرَىٰ فَرْعاً وأنْوَرُ مَفْرِقاً ... وأجْمَلُ عِرْنِيناً وأحْلَىٰ مُقَبَّلا ٨٦/ب

٢٤ - وأقْوَمُهُمْ قَدّاً وألْيَنُ مَعْطَفاً ... وأعْذَبُ ألْفاظاً وأصْدَقُ مِقْوَلا

٢٥ - وأغْزَرُ إيماناً وعِلْماً وحِكْمَةً ... وزُهْداً وإفْضالاً لَهُمْ وتَوَكُّلا

---

(١١) رياك: الريَّا: الرائحة الطيبة.
متعللا: ما ينشغل به الإنسان عن الشيء فينساه.
(١٢) يقر: يسكن ويهدأ.
(١٥) الطينة البيضاء: الطين الطاهر، والأصل الشريف.
زكتْ: طهرت. غير: حوادث وتقلبات. البلى: الفناء.
(١٦) التسنيم: ماء الجنة. يجتلىٰ: يصقل ويوضح.
(١٨) مبجلا: معظَّمًا وموقَّرًا.
(١٩) المناقب: الفضائل والمكارم. السمت: حسن الهيئة والسكينة والوقار.
(٢١) الزلفى: القربى والمنزلة.
(٢٢) الأبلج: الأبيض الحسن.
(٢٣) الورى: الخلق. مفرق: مكان فَرْق الشعر. العرنين: الأنف. مُقَبَّلا: الفم.
(٢٤) أقوم: أكثر اعتدالا. القد: القوام. مقولاً: لسانًا، أي حديثًا.
(٢٥) إفضالا: إحسانا إلى غيره.

٢٦ - وأطْيَبُهمْ عِرْقًا وأصْلاً ومَحْتِدًا ... وبِرًّا يُوازِى مِنْهُ مَجْدًا مُؤَثَّلا

٢٧ - وأعْظَمُهُمْ للهِ ذِى العَرْشِ خَشْيَةً ... تَظُنُّ أزِيزَ الصَّدْرِ للخَوْفِ مِرْجَلا

٢٨ - وأبْسَطُ كَفًّا بالنَّدَى وأشَدُّهُمْ ... دِفاعًا إذا ما أبْدَتِ الحَرْبُ قَسْطَلا

٢٩ - إذا رَكِبَ العَضْباءَ زادَ مَهابَةً ... ويَسْمو وَقارًا حِينَ يَرْكَبُ دُلْدُلا

٣٠ - حَباهُ وأعْطاهُ المُهَيْمِنُ مَنْطِقًا ... فَصِيحًا وَجِيزًا للمَعانِى مُحَصِّلا

٣١ - وآتاهُ قُرآنًا عَزِيزًا مُفَصَّلاً ... عَجِيبًا مُبِينًا مُجْمِلاً ومُفَصِّلا

٣٢ - فأوْضَحَ ما أمْسَى من الكُفْرِ طامِسًا ... وحَلَّ مِنَ البُطْلانِ مَا كانَ مُشْكِلا

٣٣ - فيا خَيْرَ مَنْ حَنَّتْ إلَيْهِ نَجِيبَةٌ ... ويَمَّمَ مَغْناهُ نَجِيبٌ وأرْقَلا

٣٤ - وأمْنَعَ مَنْ آوَى طَرِيدًا مُشَرَّدًا ... وأكْرَمَ مَنْ أعْطَى العُفاةَ فأجْزَلا

٣٥ - مَدَحْتُكَ أبْغِى جاهَكَ الواسِعَ الَّذِى ... سَيَظْفَرُ مَنْ أضْحَى بِهِ مُتَوَسِّلا

٣٦ - فَكُنْ لِىَ جارًا فِى حَياتِى ومُسْعِدًا ... عَلَى فِتَنٍ تُلْقِى اللَّبِيبَ مُزَلْزَلا

٣٧ - فَما أمَلِى مِنْ حُسْنِ عَطْفِكَ آيِسًا ... وما خابَ ذُو قَصْدٍ رَجاكَ وأمَّلا

٣٨ - عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يَبْقَى على المَدَى ... بَقاءَ نَعِيمِ الخُلْدِ لَنْ يَتَبَدَّلا

٣٩ - وآتاكَ مَوْلاكَ الوَسِيلَةَ رُتْبَةً ... تَؤُولُ لَها مِنْ غايَةِ القُرْبِ مَوْئِلا

*****

---

(٢٦) عرقا : أصلاً، ومثلها المحتد . مؤثلاً : أصيلاً ثابتاً .

(٢٧) أزيز: حركة واضطراب، عن مطرف عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ يصلى وفى صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء» [شرح سنن أبى داود ٥ / ٣٥٣]. مرجل : قدْر .

(٢٨) القسطل : الغبار الساطع فى أرض المعارك .

(٢٩) العضباء : اسم ناقة للنبى ﷺ [السيرة الحلبية ٣ / ٤٦٥] ودلدل : اسم بغلة أهداها له المقوقس [السابق ٣ / ٤٦٤].

(٣٠) حباه : منحه وأعطاه . المهيمن : اسم من أسماء الله .

(٣٢) طامسا : ممحوًّا زائلاً .

(٣٣) نجيبة : أى ناقة نجيبة، وهى الكريمة . يمم : قصد إليه وتوجَّه . مغناه : منزله . أرقل : فى سيره بمعنى أسرع، وفيه جدّ وأسرع .

(٣٤) العفاة : الفقراء، وكل طالب لمعروف . أجزل : أوسع له العطاء وأكثره .

(٣٦) مسعدًا : معينا أسعده الله ووفّقه، وأسعد فلانا : أعانه . اللبيب : ذو اللبّ العاقل .

(٣٧) آيسا : يائسا .

(٣٩) الوسيلة : درجة النبى ﷺ فى الجنة وتجمع على وسائل، وهى القربى . تؤول : ترجع وتصير . والموئل : المرجع والملجأ .

القصيدة الثانية فى قافية اللام ألف

(عدتها ٣٠ ـ الرمل الأول)

وهذه القصيدة ـ كسابقتها ـ تبدأ بالحنين والشوق إلى الأرض المقدسة والثناء على أهلها، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ والثناء على أصحابه رضى الله عنهم، وبخاصة الخلفاء الأربعة، وآل البيت، ثم تختم بالتوسل به إلى الله عز وجلَّ كى يصفح عن ذنوبه صفحًا جميلاً.

تضمنت القصيدة العناصر الاتية :

- حنين وأشواق إلى الأرض المباركة.
- فى مدح النبى ﷺ.
- فى الثناء على الصحابة الكرام وبخاصة الخلفاء الأربعة، وآل البيت.
- توسل به إلى الله عز وجلَّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - عَلِّلِ العِيسَ وحَثْحِثْها قَلِيلا ... عَلَّها تُدْرِكُ مِنْ سَلْعٍ مَقِيلا

٢ - وأَجِلْ ذِكْرَ الحِمَىٰ فى سَمْعِها ... فَبِهِ تَطْوِى الفَلا مِيلاً فَمِيلا

٣ - كُلَّما حَنَّتْ إِلَىٰ أَوْطانِها ... مَدَّتِ الأَعْناقَ تأتَمُّ الدَّلِيلا

٤ - بِأَبِى ما حَمَلَتْ أَكْوارُها ... مِنْ رِجالٍ تَحْمِلُ الخَطْبَ الجَلِيلا ١/٨٧

٥ - كُلُّ شَهْمٍ ثاقِبِ الفَهْمِ إِذا ... حَلَّ رَبْعًا لِلعُلا رَامَ الرَّحِيلا

٦ - يَطْلُبُ الغايَةَ مِنْها لا يَرَىٰ ... دُونَها مَرْمًى ولا عَنْها عُدُولا

٧ - أَيُّها المُزْجِى رِكابًا واصِلَتْ ... بُكْرَةً قَطْعَ الفَيافِى وأَصِيلا

٨ - كُلَّما خافَتْ كَلالاً جَرَّدَتْ ... سَيْفَ عَزْمٍ لا تَرَىٰ فِيهِ فُلُولا

٩ - حَيِّ بالبَطْحاءِ قَوْمًا أَصْبَحُوا ... بِدَوامِ الذِّكْرِ فِى قَلْبِى نُزولا

١٠ - وإِذا وافَيْتَ سَلْعًا وبَدَا ... نُورُ ذاكَ العَلَمِ الهادِى السَّبِيلا

١١ - عَفِّرِ الخَدَّ وقَبِّلْ تُرْبَةً ... حَلَّ فِيها أَكْرَمُ النَّاسِ قَبِيلا

١٢ - حُجَّةُ الرَّحْمٰنِ مِفْتاحُ الهُدَىٰ ... أَحْمَدُ المَبْعُوثُ بالحَقِّ رَسُولا

١٣ - جُدَدُ الإِيمانِ أَضْحَتْ جُدُدًا ... بِسَنَا أَنْوارِهِ بِيضًا سُهُولا

١٤ - ونُجُومُ الدِّينِ زُهْرٌ لا تَرَىٰ ... أَبَدَ الدَّهْرِ لِسارِيها أُفُولا

---

(١) العيس: الإبل، حثحثها: حثَّها وشجعها. مقيلا: مكان للراحة والقيلولة.

(٢) الفلا: جمع فلاة، وهى الصحراء الواسعة. (٣) تأتم: تتبع فى سيرها.

(٤) أكوارها: جمع كور: وهو الرحل، وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٥) ثاقب الفهم: حاد الذكاء، الربع: المكان، رام: أراد ورغب.

(٦) عدولا: تحولاً ومَيْلاً.

(٧) المزجى: الذى يسوق دابته، الفيافى: جمع فيفاء وهى: الصحراء الواسعة.

(٨) كلالا: تعبًا وإرهاقًا، عزم: هنا بمعنى قوة، فلولا: المقصود ضعفًا ووهنًا (فلولا): الفل كسر فى حد السيف يمنعه من القطع جمعه فلول والمقصود بها فى البيت الضعف والوهن.

(٩) البطحاء: المقصود بطحاء مكة: واديها ومسيل الماء فيها.

(١٠) وافيت: وصلت إلى المكان، سلعا: جبل بسوق المدينة، أو بالقرب منها.

(١١) تربة: قبر.

(١٣) الجُدَد: جمع جُدَّة، وهى الطريق. جُدُدًا: جمع جديد، لأن النبى ﷺ هو الذى جدَّد ما قدم من الدين.

(١٤) زُهْر: جمع زهراء: لامعة مضيئة. ساريها السائر على هديها ونورها، أو لضوئها ونورها السارى. أفولا: غيابا.

١٥ - هَدْيُهُ يُهْدِى التُّقَىٰ لِلمُهْتَدِى ... وهُدَاهُ يُورِثُ العِلْمَ الجَهُولا

١٦ - لَمْ تَزَلْ أنْسَابُهُ سَامِيَةً ... فى قُرونٍ سَلَفَتْ جِيلاً فَجِيلا

١٧ - مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّىٰ هَاشِمٍ ... فَهْوَ خَيْرُ النَّاسِ إنْ عَدُّوا الأُصُولا

١٨ - خَصَّهُ اللهُ بأصْحَابٍ حَوَوْا ... بالمَزايَا ذلكَ المَجْدَ الأَثِيلا

١٩ - دَيَّخُوا الكُفْرَ فأضْحَىٰ بِهِمُ ... كُلُّ صَعْبٍ مِنْ بَنِى الشِّرْكِ ذَلِيلا

٢٠ - لَبِسُوا دِرْعَ التُّقَىٰ سابِغَةً ... وانْتَضَوْا للمَجْدِ صَمْصَامًا صَقِيلا

٢١ - مِنْهُمُ الصِّدِّيقُ أوْلاهُمْ بِهِ ... إذْ هُوَ السَّبَّاقُ قَوَّالاً فَعُولا

٢٢ - لَوْ أرادَ المُصْطَفَىٰ مِنْ صَحْبِهِ ... خِلاًّ اخْتَارَ أبا بَكْرٍ خَلِيلا

٢٣ - ثُمَّ لَوْ كانَ نَبِىٌّ بَعْدَهُ ... أصْبَحَ الفَارُوقُ بالأمْرِ كَفِيلا

٢٤ - وارْتَضَىٰ عُثْمانَ مِنْ أصْحابِهِ ... لابْنَتَيْهِ كُفُؤًا بَرًّا وَصُولا

٢٥ - وكَسَا عِطْفَىْ عَلِىٍّ حُلَّةً ... لا تُضاهَىٰ حِينَ أعْطَاهُ البَتُولا ٨٧/ب

٢٦ - ولأهْلِ البَيْتِ مِنْهُ شَرَفٌ ... هُوَ فى الآياتِ باقٍ لَنْ يَزولا

٢٧ - وبِهِ أمَّتُهُ نَالَتْ مِنَ الـ ... ـفَضْلِ والفَخْرِ مَنالاً مُسْتَطِيلا

٢٨ - يا رَسُولَ اللهِ يا مَنْ مَدْحُهُ ... فى القَوافِى أقْوَمُ الألفاظِ قِيلا

٢٩ - مَسَّنِى ضُرٌّ غِطاءٍ ساتِرٍ ... مِنْ ذُنوبٍ غادَرَتْ قَلْبِى كَلِيلا

٣٠ - أنَا مِنْها تائِبٌ مُسْتَغْفِرٌ ... فَسَلِ الرَّحْمٰنَ لِى صَفْحًا جَمِيلا

*****

(١٨) الأثيل: الأصيل. (١٩) ديخوا: دوخوا وأتعبوا.

(٢٠) سابغة: شاملة تامة. انتضوا: جردوا السيوف من غُمُدها. صمصامًا صقيلاً: سيفًا قاطعًا حادًّا.

(٢٤) كفؤا: من الكفاءة فى النكاح أى أن يكون الزوج مساويًا للزوجة فى حسبها ونسبها ودينها. وصولاً: صيغة مبالغة من (وصل) أى هو مبالغ فى صلة الرحم.

(٢٥) عطفى: جانبى. لا تضاهى: لا مثيل لها. البتول: صفة للسيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافًا وفضلاً ودينًا وحسبًا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل [انظر اللسان: بتل].

(٢٨) القوافى: المقصود الشعر. أقوم: أكثر استقامة وبلاغة. قيلاً: قولاً، والشاعر متأثر بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ المزمل / ٦ .

(٢٩) كليلاً: ضعيفًا واهنًا.

(٣٠) صفحًا جميلاً: عفوًا ومغفرة.

قافية الياء

تضم هذه القافية ثلاث قصائد متوسطة الطول .

اليائية الأولى

(عدتها ٣١ ـ الطويل الثانى)

تبدأ هذه القصيدة بالدعاء بالخصب والسقيا لمرابع الحمى الشريف، وشرح أشواق الشاعر إليه وإلى ساكنيه، واستعادة لذكرياته الجميلة الطيبة فى أرجائه الطاهرة، ثم تنتقل إلى مدح المصطفى ﷺ، وتختم بالتوسل بجاهه من الخطوب والفتن والغواية، ورجاء شفاعته إلى الله عز وجلَّ يوم القيامة، واعتذار المقصِّر فى مدحه والثناء عليه .

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- حنين وأشواق وذكريات فى الحمى الشريف .
- فى مدح النبى ﷺ .
- توسل به إلى الله عز وجلَّ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مُلِثَّ الحَيَا إنْ جُزْتَ بالخَيْفِ حَيَّهِ ... وجُدْ بنَمِيرِ المَاءِ مَرْبَعَ حَيِّهِ

٢ - وللصَّبِّ خُذْ مِنْ حَاجِرٍ نَفَسَ الصَّبَا ... فإنَّ شِفَاءَ القَلْبِ فِي حَاجِرِيَّهِ

٣ - وعَرِّجْ عَلَىٰ البَطْحَاءِ فَاكْسُ شِعابَها ... مِنَ الرَّوْضِ مَا يُرْضِيكَ مِنْ عَبْقَرِيَّهِ

٤ - فإنَّ بِهَا رَبْعًا تَحِنُّ قُلوبُنا ... إلَيْهِ عَلَىٰ نَشْرِ الفِرَاقِ وطَيِّهِ

٥ - نَعِمْتُ عَلَىٰ ذاكَ الغَرَامِ وَعِزِّهِ ... بِعَيْشٍ بِهِ غَضُّ القَطَافِ جَنِيِّهِ

٦ - بِنَفْسِي شُمُوسَ الصَّحْوِ فِي غَدَوَاتِهِ ... وأقْمَارَ تَمٍّ أشْرَقَتْ فِي عَشِيِّهِ

٧ - أنِسْتُ بِهِمْ حِينًا فَلَمَّا فَقَدْتُهم ... تَجَلَّىٰ سَعِيدُ الحُبِّ لِي مِنْ شَقِيِّهِ

٨ - وعِنْدَ تَنائِي الدَّارِ يَمْتَازُ لِلوَرَىٰ ... مُحِقُّ الهَوَىٰ يَوْمَ النَّوَىٰ مِنْ دَعِيِّهِ

٩ - ولَسْتُ بِناسٍ طِيبَ عَيْشٍ خَلَسْتُهُ ... طَيِبَةَ لَكِنْ راعَنِي بِمُضِيِّهِ

١٠ - سَقَاهَا فَرَوَّاهَا غَمَامٌ مِنَ الرِّضَا ... وأعْقَبَهَا مِنْ وَسْمِهِ بِوَلِيِّهِ

١١ - نَزَلْتُ بِهَا فِي خَيْرِ وَفْدٍ لِقَصْدِهَا ... وفِي حُبِّهَا أنْضَىٰ ظُهُورَ مَطِيِّهِ

---

(١) مُلِث: من لاث يلوث: يلف ويعصب. نمير: النمير من الماء الطيب الناجع في الرى.

(٢) للصَّب: للعاشق المُحب. حاجر: مكان بديار بنى تميم وهوكل ما ترتفع جوانبه وينخفض وسطه فيمسك الماء. حاجرية: نسبة إلى حاجر.

(٣) عَرِّج: مِلْ. شعابها: جمع شِعْب، وهو الوادى بين جبلين. عبقريَّه: العبقرىّ: المنسوب إلى وادى عبقر وهو واد ينسب إلَيه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته. وهو صفة لما لا يفوقه شيء فى كماله وبراعته.

(٤) ربعا: الربع: المكان والمرعى. نَشْر: إذاعة وإعلان، وطَىّ عكسها.

(٥) غضّ: الغض: الطرى النضر. القطاف: الثمار التى حان قطفها وجنيها، وكذلك جنيّه.

(٦) غدواته: أوقات الخروج فى الصباح الباكر. أقمار تم: بكسر التاء فى تم: القمر فى ليالى تمامه.

(٧) أنست: سعدت ووجدت بهم الأمن والأمان. تجلّى: ظهر ووضح.

(٨) تنائى: تباعُد وعكسها تدانى. يمتاز: يظهر ويتضح. الورى: الخلق والناس. النوى: الفراق والبعد. دعيّه: الذي يدّعي الحب كذبا وباطلا.

(٩) خلسته: اختلسته وسرقته من الزمان. طَيبة: المدينة المنورة. راعنى: أفزعنى وأخافنى.

(١٠) وسمه: أصله الوسمىّ، وهو مطر الربيع، والولىّ مطر يأتى بعد المطر الوسمى.

(١١) أنضى الدابة: أتعب الدابة حتى أهزلها. مطيه: المطىّ: المطايا واحدتها مطيّة وهى الدابة تعد للركوب.

١٢ - أتاها وقَدْ غَشَّى بَهَاءَ نَضَارَةِ الْـ ... ـقَبُولِ مُحَيَّا كَهْلِهِ وصَبِيِّهِ

١٣ - أَنَخْنا بِها بَعْدَ اللَّتَيَّا رِكَابَنا ... عَلَىٰ مَوْرِدٍ يَشْفِي القُلوبَ بِرِيِّهِ

١٤ - ورَبْعٍ حَوَىٰ كَنْزَ المَناقِبِ واقْتَنَىٰ ... جَواهِرَها فِي تَاجِهِ وحُلِيِّهِ

١٥ - كَسا جَوَّهُ الرَّحْمٰنُ حُلَّةَ فَخْرِهِ ... وقَمَّصَهُ أنْوارَهُ بِنَبِيِّهِ

١٦ - مُحَمَّدٍ الهَادِي البَشِيرِ أمِينِهِ ... عَلَىٰ وَحْيِهِ فِي بَعْثِهِ وصَفِيِّهِ ٨٨/أ

١٧ - وخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وحَبِيبِهِ ... وأكْرَمِ عَبْدٍ عِنْدَهُ ونَجِيِّهِ

١٨ - وأنَّىٰ لِعَبْدٍ أنْ يَنالَ مَنالَهُ ... وقَدْ نالَ أسْبابَ العُلا بِرُقِيِّهِ

١٩ - رأىٰ ما رأىٰ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فَمَا امْتَرَىٰ ... بِهِ غَيْرُ مَحْجُوبِ الفُؤادِ غَبِيِّهِ

٢٠ - نَبِيٌّ كَرِيمٌ هاشِمِيٌّ بِشَرْعِهِ ... تَبَيَّنَ خَوَّانُ الهُدَىٰ مِنْ وَفِيِّهِ

٢١ - سِرَاجٌ مُنِيرٌ ذُو بَلاغٍ وحِكْمَةٍ ... عَرَفْنا الهُدى مِنْ هَدْيِهِ وهَدِيِّهِ

٢٢ - بَشِيرٌ نَذِيرٌ شاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ ... رؤُوفٌ رَحِيمٌ شافِعٌ لِوَلِيِّهِ

٢٣ - عَزُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا جَوَادٌ بِرِفْدِهِ ... عَزِيزُ النَّدَى لِلمُعْتَفِي فِي بَدِيِّهِ

---

(١٢) غشّى: غطّى. بهاء: حسنٌ وجمال. نضارة: رونق وبهجة.
محيا: وجه وهذا البيت زيادة من (ب).

(١٣) اللَّتيَّا: بعد ما كان من أمور عظيمة وخطوب كثيرة. الريُّ: الشرب حتى الامتلاء.

(١٤) المناقب: جمع منقبة وهي الفعل الكريم والمفخرة والأخلاق الحميدة. اقتنى: امتلك.

(١٥) قمّصه: ألبسه قميصا، والمقصود: أكرمه وفضّله.

(١٦) صفيه: من اصطفاه وفضّله واختاره.

(١٧) خيرته: من اختاره واصطفاه لرسالته. نجيّه: ناجاه وأوحى إليه.

(١٨) مَنالُه: ما ناله من التكريم والتفضيل. رقيه: الرقيّ به في معراجه إلى السماء في ليلة الإسراء والمعراج.

(١٩) امترى: شك. رأى ما رأى: شاهد ما شاهد من المشاهد في معراجه. والشاعر متأثر بقول الله تعالى ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ النجم / ١٢.

(٢٠) سراج: مصباح وجمعه سُرُج.

(٢١) هَدْيه: ما أهداه للناس من الخير. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٢٢) لوليّه: لتابعه ولمن يسير على سنته ونهجه.

(٢٣) عزوف: زاهد، متعبد: صيغة مبالغة من عزف عن الشيء: كثير البعد والزهد. الرفد: العطاء الوفير. النَّدى: الكرم والعطاء. المعتفي: السائل الذي يطلب عونًا ومساعدة ومعروفًا
والأبيات (٢٣ - ٢٦) زيادة من (ب).

٢٤ - مَتَى يَأتِهِ العَافِى المُؤَمِّلُ يَسْتَفِدْ ... نَوَافِلَ مَبْسُوطِ البَنَانِ سَخِيِّهِ

٢٥ - شجَاعٌ طويلُ البَاعِ فى حَوْمَةِ الوَغَى ... تَلُوحُ المَنَايَا فى شَبَا يَزَنِيِّهِ

٢٦ - إذَا غَشِيَ الهَيْجَاءَ جَلَّى عَجَاجَهَا ... بِبَرْقٍ وُحِيَّ المَوْتِ مِنْ مَشْرَفِيِّهِ

٢٧ - أعُوذُ مِنَ الخَطْبِ المُلِمِّ بِجَاهِهِ ... ومِنْ شَرِّ باغِى وَقْتِنا وغَوِيِّهِ

٢٨ - وإنَّا إذا عُذْنا بِهِ فى مَعَادِنا ... نَعُوذُ بِمَحْمُودِ المَقَامِ عَلِيِّهِ

٢٩ - ونَأْمُلُ يَوْمَ الحَشْرِ أنْ يَنْقَعَ الصَّدَىٰ ... بِحَوْضٍ لَهُ عَذْبِ الوُرودِ رَوِيِّهِ

٣٠ - وإنِّى وإنْ أطْنَبْتُ فى نَظْمِ مَدْحِهِ ... وأعْمَلْتُ مِنْ شِعْرِى فُنونَ رَوِيِّهِ

٣١ - لَمُعْتَذِرٌ عُذْرَ المُقَصِّرِ طالِبٌ ... تَجَاوُزَهُ عَنْ كَدِّ فَهْمِى وَعِيِّهِ

*****

---

(٢٤) العافى: الذى يطلب معروفًا. المؤمَّل: صاحب الأمل. نوافل: جمع نافلة وهى بمعنى الزيادة. البنان: جمع مفرده بنانة وهى أطراف الأصابع.

(٢٥) الباع: المسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينًا وشمالاً، ويقال فلان طويل الباع بمعنى طويل الجسم، وطويل الباع فى كذا بمعنى بلغ الغاية فيه وتجمع على أبواع. حومة: أشد موضع في المعركة. الوغى: الحرب. المنايا: جمع منية وهى الموت. شبا: الشبا حد كل شىء وطرفه. اليزنية: رماح تنسب إلى ذى يزن، ملك من ملوك حمير.

(٢٦) غشى: نزل ودخل، الهيجاء: الحرب التى هاج فيها النَّاس بعضهم على بعض. جلَّى: كشف وأزال. العجاج: الغبار والدخان الذى يثور فى المعارك، وهو جمع مفرده عجاجة. وُحِيَّ الموت: الموت المحتوم، وأصل الوحي: المكتوب. مشرفيه: سيفه.

(٢٧) الخطب: المصيبة، جمعها خطوب. المُلِمّ: النازل الذى يصيبنا. الباغى: الظالم. الغوىّ: الضالّ المُضلّ.

(٢٨) عذنا: لجأنا واحتمينا. معادنا: يوم القيامة.

(٢٩) ينقع: يروى العطش. رويِّه: يروى الشاربين، وفى الأصل (وريه) وهو تصحيف. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٣٠) أطنبت: أطلت وأسهبت. الروى: من حروف القافية وهو الحرف الأخير منها وهو الذى تروى عليه القصيدة.

(٣١) كدّ: تعب وعناء، وعَيّه: ضعفه وتقصيره.

اليائية الثانية

(عدتها٣٣ـ الوافر الأول)

وهذه أيضًا كسابقتها، تضمنت الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق وذكريات فى الحمى الشريف.
- فى مدح النبى ﷺ.
- توسل به إلى الله عز وجلَّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَرَىٰ صَوْبُ الحَيَا الهَامِى فأحيا ... مَرابِعَ بالحِمىٰ عَزَّتْ عَلَيَّا

٢ - إذا نُشِرَتْ مَطارِفُهُ عَلَيْها ... طَوَتْ عَنْها بُرُودَ الجَدْبِ طَيَّا

٣ - دِيارٌ لِى بِها ظِلٌّ وِرِىٌّ ... ولِى مِنْ عَرْفِها رَوْحٌ وَرَيَّا

٤ - تَعَلَّقَ حُبُّها قَلْبِى فأضْحَتْ ... أحَبَّ الأرْضِ فى الدُّنْيا إلَيَّا

٥ - وسَاكِنُها أحَبُّ الخَلْقِ طُرًّا ... إلى قَلْبِى وأحْظاهُمْ لَدَيَّا

٦ - شَرِبْتُ بِها مِنَ المَعْنَىٰ كُئُوسًا ... يَصُولُ بِها الوَقارُ عَلَىٰ الحُمَيَّا

٧ - إذا مَا خَالَطَتْ تِبْرًا مَصُونًا ... سَمَتْ عَزَماتُهُ فَوْقَ الثُّرَيَّا

٨ - وما حَيَّا نَدِيمُ الشَّرْبِ مَيْتًا ... بِها إلا غَدَا فى الحَالِ حَيَّا

٩ - مُبَرْقَعَةُ المَحاسِنِ ما اجْتَلاهَا ... فَتًى إلا رأىٰ التَّفْنِيدَ غَيَّا

١٠ - حَقائِقُ لَيْسَ فِيها مِنْ نَصِيبٍ ... لِمَنْ لَمْ يَتْبَعِ السُّنَنَ المُهَيَّا

١١ - شَرائِعُ سَنَّها خَيْرُ البَرايَا ... وأحْكَمَ عَقْدَها أمْرًا ونَهْيَا ٨٨/ب

---

(١) صوب: مطر، ومثله الحيا. الهامى: السائل.

(٢) مطارفه: جمع مُطْرَف، ومِطْرَف، بضم الميم وكسرها: وهي أردية من خز مربعة، والمقصود ما ازدانت به الأرض من الخضرة والأزاهير، بُرود: جمع بُردة وبُرْد وهى كساء مربع أسود تلبسه الأعراب، والمقصود ما كان يغطى الأرض من سواد الجدب والقحط.

(٣) عَرْفها: رائحتها الطيبة، رَوْحٌ: راحة واطمئنان.
رِيًّا: رائحة طيبة.

(٥) طُرًّا: جميعًا.

(٦) الحميا: سطوة الخمر ونشوتها. أى إن هذه الكئوس تفوق نشوة الخمر وسطوتها.

(٧) التبر: الذهب. الثريا: نجم.

(٨) النديم: رفيق جلسة الشراب. الشَّرب: جماعة الشاربين.
حيًا فى أول البيت: من التحية، وفى آخره من الحياة. يقول: إن كؤوس الحب هذه تعيد الحياة إلى الموتى.

(٩) مبرقعة: مخبَّأة، مشتق من البرقع. اجتلاها: نظر إليها.
التفنيد: تسفيه الرأى. غيًا: ضلالاً. يقول: إن من ذلق هذا الحُسْن المخبَّأ لم يَلُمْ العاشق ولم يسفه رأيه، وعدَّ تفنيده للمحبين ضلالاً.

(١٠) السَّنَن: الطريق. المُهَيَّا: المهيأ، سهل الهمز لضرورة القافية.

(١١) شرائع: جمع شريعة: ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام، وما بينه الرسول ﷺ ووضحه بسنته الشريفة. البرايا: جمع البريَّة وهى الخلق.

١٢ - وكَيْفَ يَزيغُ عَنْهَا ذُو تُقَاةٍ ... وقَدْ نَزَلَتْ مِنَ الرَّحْمٰنِ وَحْيَا

١٣ - عَلَىٰ المُخْتَارِ أَحْمَدَ خَيْرِ هَادٍ ... وأَزْكَىٰ النَّاسِ أَخْلاقًا وهَدْيَا

١٤ - حَوَىٰ قَصَبَ السَّبَاقِ إِلَىٰ المَعَالِي ... فَرُتْبَةُ فَضْلِهِ فِي السَّبْقِ عُلْيَا

١٥ - تَبَيَّنَ فَضْلُهُ والخَلْقُ ذَرٌّ ... إِلَىٰ أَنْ شَاعَ عَنْ مُوسَىٰ وشَعْيَا

١٦ - وقَلَّدَ فَخْرَهُ مُضَرًا وأَعْطَىٰ ... لِوَاءَ المَنْصِبِ السَّامِي لُؤَيَّا

١٧ - وأَعْلَىٰ كَعْبَ كَعْبٍ فِي البَرَايَا ... وأَقْصَىٰ الفَخْرِ بَلَّغَهُ قُصَيَّا

١٨ - وشَادَ لِهَاشِمٍ أَعْلَىٰ مَنَارٍ ... فَأَضْحَوْا أَشْرَفَ الأَحْيَاءِ حَيَّا

١٩ - وأَشْرَقَ نُورُهُ مُذْ كَانَ طِفْلاً ... عَلَىٰ الجَبَهَاتِ لِلأَبْصَارِ رَأْيَا

٢٠ - وسَلَّمَ كُلُّ مَخْلُوقٍ صَمُوتٍ ... عَلَيْهِ عِنْدَ مَبْعَثِهِ وَحَيَّا

٢١ - ونَالَ بِلَيْلَةِ المِعْرَاجِ شَأْوًا ... لِمَنْ رَامَ المَصِيرَ إِلَيْهِ أَعْيَا

٢٢ - حَلِيمٌ صَابِرٌ رَاضٍ وَفِيٌّ ... جَوَادٌ باسِمٌ طَلْقُ المُحَيَّا

٢٣ - أَتَىٰ بالحَقِّ والشَّيْطَانُ يَسْعَىٰ ... بِبَاطِلِ كَيْدِهِ فِي النَّاسِ سَعْيَا

٢٤ - فَأَسْمَعَ بالهُدَىٰ والذِّكْرِ صُمًّا ... وقَادَ إِلَىٰ سَبِيلِ الحَقِّ عُمْيَا

---

(١٢) يزيغ عنها: يميل عنها ويتباعد. تقاة: خشية وخوفًا وفى القرآن الكريم. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران / ١٠٢ .

(١٥) ذرٌّ: من ذرّ الله الخلق فى الأرض. أو من ذرأ الله الخلق، بمعنى خلقهم وكثّرهم، ومنه الذرّيّة، واسقط الهمز للتسهيل. موسى: عليه السلام نبى بنى اسرائيل، وشعيا: نبى من أنبياء بنى إسرائيل كان قبل زكريا ويحى عليهما السلام [انظر ك خير البشر بخير البَشَر لابن ظفر الحموى / تحقيق: الشيخ عبد الحفيظ فرغلى، ود. حمزة النشرتى / المكتبة القيمة / ٤٠].

(١٦) مضر: مضر بن نزار. لؤى: لؤى بن غالب وهما جدّان فى نسب الرسول ﷺ.
قلد: ألبس.

(١٧) أعلى كَعْبَ كَعْبٍ: كعب الأولى: مؤخر القدم، وكعب الثانية: كعبٌ بن لؤى جد الرسول. يعنى ارتقى بهم إلى أقصى درجات المجد والفخر وأعلاها.

(١٨) شاد: بنى وشيد وأقام. حيا: قوما وقبيلة.

(٢٠) صموت: صامت من الجماد.

(٢١) شأوا: مكانة ومنزلة. رام: أراد ورغب. أعيا: تعب وناله الضعف والإرهاق ولم ينل شيئًا.

(٢٢) طَلْقُ المحيا: متهلل الوجه مستبشر.

(٢٤) صمًا: جمع أصمّ: وهو الذى لا يسمع. عميًا: جمع أعمى: وهو الذى لا يبصر، وأراد بالصم والعمى: من لا تنفذ الهداية إلى قلوبهم.

٢٥ - وأوْجَبَ طَاعَةً ونَفَىٰ خِلافًا ... فَتَمَّ الأمْرُ إيجابًا ونَفْيا

٢٦ - فأضْحَىٰ الدِّينُ مَشْهورًا مُبِينًا ... بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كانَ نِسْيا

٢٧ - ألا يا فَاتِحَ الخَيْراتِ فَتْحًا ... وبَانِي قَاعِداتِ الشَّرْعِ بَنْيا

٢٨ - ومَنْ نَرْجُوهُ فِي سِرٍّ وجَهْرٍ ... لِكُلِّ أُمُورِنا دِينًا ودُنْيا

٢٩ - سَلِ الرَّحْمٰنَ لِي فِي يُسْرِ حَجٍّ ... أمُوتُ عَلَىٰ تَقَاضِيهِ وأَحْيَا

٣٠ - لآتِيَ رَبْعَكَ المَيْمُونَ، سَقْيًا ... لَهُ مِنْ مَرْبَعٍ رَحْبٍ ورَعْيَا

٣١ - ورُؤيَةَ وَجْهِكَ المَسْعودِ طُوبَىٰ ... لِمَشْغُوفٍ عَلَيْهِ يَراهُ رُؤيا

٣٢ - وخاتِمَةً مُتَوَّجَةً بِحُسْنَىٰ ... يَفوزُ بِها عُبَيْدُ البَرِّ يَحْيَىٰ ١/٨٩

٣٣ - عَلَيْكَ مِنَ المُهَيْمِنِ كُلَّ وَقْتٍ ... سَلامٌ لا يُحاوِلُ مِنْكَ نَأْيا

*****

---

(٢٦) مشهورًا: معروفًا واضحًا لا خفاء به، ومثله (مبينً). نِسْيا: مهملاً منْسيًّا.

(٢٧) قاعدات: قواعد.

(٣٠) الميمون: المبارك. سقيًا له: دعاء بالسُّقْيا أى الخصب والخير، ومثله (ورعيًا).

(٣٢) ورؤية: منصوب على أنه مفعول (سل) فى البيت التاسع والعشرين.

(٣٣) نأيا: بُعدا.

اليائية الثالثة

(عدتها ٣٢ ـ الطويل الثانى)

وهذه أيضًا كسابقتها، تضمنت الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق وذكريات فى الحمى الشريف.
- فى مدح النبى ﷺ.
- توسل به إلى الله عز وجلَّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَضَىٰ بَيْنَ إِثْبَاتِ السُّلُوِّ ونَفْيِهِ ... وبَيْنَ قُعودِ العَذْلِ عَنْكَ وسَعْيِهِ

٢ - زَمَانٌ طَلَبْتُ الوَصْلَ فِيهِ فَفَاتَنِي ... ولَمْ أَعْدُ عَنْ أَمْرِ الغَرَامِ ونَهْيِهِ

٣ - ولَمْ أَرَ لِي فِي الحُبِّ حَظًّا سِوَىٰ الأَسَىٰ ... وحِفْظِي لِحُسْنِ العَهْدِ فِيهِ ورَعْيِهِ

٤ - رَمَانِي عَنْ قَوْسِ المَحَاسِنِ باسِلٌ ... فَأَقْصَدَ أَحْنَاءَ الضُّلُوعِ بَرَمْيِهِ

٥ - عَجِبْتُ لِجَيْشِ الحُسْنِ يَسْبِي حَشَا الفَتَىٰ الـ ... ـعَزِيزِ ويَسْتَحْلِي مَرَارَةَ سَبْيِهِ

٦ - ويَبْنِي إِذَا عَزَّ الوِصَالُ تَصَبُّرًا ... فَيَنْقُضُ دَاعِي البَيْنِ أَسْبَابَ بَنْيِهِ

٧ - وكَيْفَ يُطِيقُ الصَّبْرَ مَنْ بَانَ إِلْفُهُ ... وَشِيكًا ولَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ بِلأْيِهِ

٨ - فَكَمْ مَدْمَعٍ أَفْنَاهُ يَوْمٌ وَدَاعِهِ ... وكَمْ جَسَدٍ أَضْنَاهُ سَاعَةَ نَأْيِهِ

٩ - سَقَىٰ الحَرَمَ الأَعْلَىٰ مُلِثٌّ مِنَ الحَيَا ... مَتَىٰ مَا يَزُرْ مَيْتًا مِنَ الأَرْضِ يُحْيِهِ

١٠ - هَنِيئًا مَرِيئًا مُغْدِقًا مُتَدَفِّقًا ... يُرَوِّي الرُّبَا مِنْهُ بِسَابِغِ سَقْيِهِ

١١ - فَيُضْحِي وقَدْ بَثَّ الرَّبِيعُ رِيَاضَهُ ... عَلَيْهِ وغَشَّاهُ مَطَارِفُ وَشْيِهِ

---

(١) السُّلُوّ : النسيان . العذل : اللوم، والمراد بإثبات اللوم ونفيه : محاولة النسيان، ثم الفشل فى ذلك .

(٢) الوصل : الاتصال بالحبيب وعدم هجره . فاتنى : لم أدركه . الغرام : التعلق بالشىء تعلقًا مستمرا لا يستطاع التخلص منه .

(٣) الأسى : الحزن . حفظى لحسن العهد : محافظتى عليه والوفاء به .

(٤) رمانى : أصابنى . قوس المحاسن : شبه المحاسن بقوس ترمى بها السهام فتصيب العاشقين . أقصد : أصاب عن عمد . أحناء : جمع حنو بكسر الحاء وتسكين النون اعوجاج الضلوع .

(٥) يسبى : يأسر . حشا : ما فى البطن من الأعضاء كالكبد والطحال والكرش وما يتبع ذلك . يستجلى : يكشف ويوضح . شَبِيه : أذاه .

(٦) الوصال : الاتصال بالأحبة وعدم هجرهم . وهذا البيت وتاليه زيادة من (ب) . ينقض : يهدم . البين : الفراق والهجر . استعار الشاعر البناء لمحاولة التصبر، والهدم للأشواق .

(٧) بان : رحل وفارق . إلفه : حبيبه . لأيه : اللأى : المشقة والجهد؛ وفى حديث أم أيمن - رضى الله عنها - قالت : « فبلأى ما استغفر لهم رسول الله ﷺ » أى بعد جهد ومشقة .

(٨) أضناه : من الضنى، التعب والمشقة بمعنى اتعبه وأرهقه . نأيه : بعده .

(٩) مُلِثٌّ : دائم لا ينقطع أياما . الحيا : المطر .

(١٠) هنيئا : لذيذا سائغا طيبا . مريئا : سائغا هنيئا محمود العاقبة . مغدقا : كثيرا يخصب الأرض . الربا : جمع ربوة وهى كل ما علا وارتفع من الأرض .
سابغ : الدائم المستمر والطويل التام .

(١١) بث : نشر ووزع . رياضه : جمع روضة وهى الأرض ذات الخضرة والماء، والبستان =

١٢ - ورَقَّ بأنْفاسِ الصَّبَا عَذْبُ مائِه ... فَراقَ لأرْبابِ النُّهَىٰ صَفْوُ نِهْيِه

١٣ - وأصْبَحَ فيه كُلُّ أحْمَرَ بازِلٍ ... مِنَ الخِصْبِ مَمْلُوءَ العِظامِ بِنِقْيِه

١٤ - وحَفَّ به أمْنٌ يَصُونُ مِنَ الظُّبَا ... حِماهُ كَما صِينَتْ مَرابِعُ ظَبْيِه

١٥ - إلَيْه حَنِينِي لا إلىٰ مَنْزِلٍ خَلا ... ولا رَسْمِ رَبْعٍ قَدْ عَفَا غَيْرَ نُؤْيِه

١٦ - وسَحَّ علَى أكْنافِ طَيْبَةَ واكِفٌ ... مِنَ المُزْنِ يَرْوِي الأرْضَ مِنْها بِهَمْيِه

١٧ - فَأَلْبَسَ مِنْها حُلَّةَ الزَّهَرِ الرُّبَا ... وبَثَّ عَلَيْها مِنْ جَواهِرِ حَلْيِه

١٨ - فَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ أكْرَمُ مَنْزِلٍ ... تَخَيَّرَها الرَّحْمٰنُ مَهْبِطَ وحْيِه

١٩ - وأسْكَنَ فيها خَيْرَ خَلْقٍ مُحَمَّداً ... نَبِيًّا كَسَا دِينَ الهُدَىٰ بَعْدَ عُرْيِه

٢٠ - وأُرْسِلَ فِي وَقْتٍ عَرَا أهْلَهُ العَمىٰ ... فَفَتَّحَ بالإسْلامِ أعْيُنَ عُمْيِه

٢١ - فَصارُوا هُداةً مُهْتَدِينَ وأصْبَحُوا ... قَدِ اقْتَبَسُوا الآدابَ مِنْ حُسْنِ هَدْيِه

٢٢ - فَكانَ لأهْلِ الدِّينِ أرْيًا فَفازَ مَنْ ... بإيمانِه يَجْنِي حَلاوَةَ أرْيِه

٢٣ - وللمُعْتَدِي شَرْيًا فَقَدْ خابَ مَنْ شَرَى ... جَنَى أرْيِه الشَّافِي بِقاتِلِ شَرْيِه

= الحسن. غشّاه: غطّاه. وشيه: نقشه وزخرفته.

(١٢) راق: أعجب. الصَّبَا: ريح معروفة تهب من الشرق، وجمعها صَبَوات وأصباء. أرباب: أصحاب. النُهى: العقول.

(١٣) بازل: بعير طلع نابُه. بنقيه: النِّقْي: مُخُّ العظام والنخاع الشوكي فيها وجمعه أنْقاء. وكنىّ بها عن الخصب.

(١٤) يصون: يحمي. الظُّبَا: جمع ظُبَة وهي حد السيف، وسن الرمح. ظبيه: نوع من الغزلان.

(١٥) رسم: أثر باق من الدار بعد زوالها. ربع: الموضع والمكان ينزل فيه الناس، وديارهم التي يقيمون فيها ووطنهم، وهو يجمع على أربع، ورباع، وربوع، وأرباع. نؤيه: النؤى: مجرى للماء يحفر حول الخيمة ليحميها من المطر والسيل، ويجمع على نُؤِيّ.

(١٦) سحّ: نزل وانساب وسال من أعلى إلى أسفل. أكناف: جمع كنف: وهو الجانب من كل شيء، وكنف الطائر: جناحه، وكنف الله: رحمته وستره وحفظه. واكف: المطر الغزير. المُزْن: جمع مُزْنَة، وهو السحاب يحمل الماء. هَمْيه: الهَمْي: الماء الذي يصبه السحاب وهو المطر.

(١٧) حلة: ثوب وجمعه حُلَل. حَلْيه: كل ما يُتَزَيَّن به جمعه حُلِيّ.

(١٨) لعمر الله قسم بالله تعالى. (٢٠) عَرَا: أصاب.

(٢١) هداة: جمع هاد، وهو الدليل المرشد إلى الهُدى. اقتبسوا: استفادوا وانتفعوا.

(٢٢) أرْيًا: عسلا، أو ندى يسقط على الشجر وعجز البيت يخصه بالعسل.

(٢٣) شرْيا: الشَّرْى هو الحنظل وشجره وقال بعضهم أوراقه، وهو ثمر شديد المرارة. =

٢٤- فيا ظَفَرَ التَّالِي بأحْسَنِ بُغْيَةٍ ... ويا خُسْرَ مَنْ وَلَّىٰ وصَدَّ بِبَغْيِهِ ٨٩/ب

٢٥- تَضَوَّعَ مِنْ رَيَّاهُ شَرْقٌ ومَغْرِبٌ ... وأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِبَهْجَةِ رِيِّهِ

٢٦- وزُحْزِحَتِ العَدْوَى بِعِزَّةِ نَصْرِهِ ... وَصِحَّةِ تَقْوَاهُ ومُحْكَمِ رَأْيِهِ

٢٧- فَمَا أثْبَتَتْ أحْكامُهُ فهْوَ ثابتٌ ... ومَهْمَا نَفَى بالشَّرْعِ طاحَ بِنَفْيِهِ

٢٨- حَوَىٰ قَصَبَاتِ السَّبْقِ مِنْ قَبْلِ آدَمٍ ... وأُرْضِعَ مِنْ ثَدْيِ العُلا قَبْلَ ثَدْيِهِ

٢٩- جَرَىٰ نَحْوَ أعْلاها بِهِ خَيْرُ مَرْكَبٍ ... فَكُلُّ مَقَامَاتِ العُلا دُونَ جَرْيِهِ

٣٠- إذا مَا ارْتَدَى زانَ البَهَاءُ رِداءَهُ ... وإنْ يأتَزِرْ زَانَ التُّقَىٰ فَضْلَ ثِنْيِهِ

٣١- يَفُوقُ ضِياءَ الشَّمْسِ سُنَّةُ وَجْهِهِ ... ويُخْجِلُ مَيَّاسَ الغُصونِ بِمَشْيِهِ

٣٢- بِهِ أسْأَلُ الرَّحْمٰنَ ذَا العَرْشِ دَائِمًا ... نَجَاتِي مِنْ هَوْلِ القِيامِ وخِزْيِهِ

*****

= جعل الشاعر هدى النبى ﷺ عسلاً طيب المذاق لمن اهتدى به، وشرابًا مرًا لمن تجافى عنه، فخاب من ترك العسل وشرب من الحنظل.

(٢٤) ظَفَر: فوز وربح. بغية: طلب ورغبة يسعى إلى تحقيقها. بغيه: ظلمه وافترائه، واعتدائه وكفره.

(٢٥) تَضَوَّع: فاح عطره ورائحته الطيبة. رَيَّاه: الريح الطيبة. البهجة: الإشراق والنضرة وما يجلب السرور. والأبيات من (٢٥ - ٢٧) زيادة من (ب).

(٢٦) زحزح: أبعد وأزيل. العدوى: الفساد.

(٢٧) الشرع: الدين وسن القوانين. طاح: هلك وفَنِيَ؛ يقصد: إن كل ما أحله الشرع ثابت راسخ وكذلك كل مَا سنَّه للناس، وما نهى عنه وحرمه فقد هلك وفنى فلم يعد له وجود.

(٢٨) حوى: نال وحاز. قصبات السبق: جمع قصبة يقال للسابق أحرز قصب السبق، وهو كناية عن التقدم فى الفضل. أصله أنهم كانوا ينصبون فى حلبة السباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق.

(٢٩ (الضمير فى (أعلاها) للعُلا.

(٣٠) الرداء: ما يلبس فى أعلى الجسم. زان: جمَّله وحسنه. البهاء: الجمال والمنظر الحسن الرائع. ثنيه: طَوِيَته وسريرته وتجمع على أثْنَاء.

(٣١) سِنة وجهه: سَنة الوجه: مَلاسَتُه. ويراد به الجبين والجبهة. مياس: أصله ماس يميس ميسا، ومَيَسَانًا: تبختر واختال فهو مائس ومياس.

(٣٢) هول: فزع ورعب. خِزْي: من خَزِيَ: وقع فى بلية وشر فافتضح.

تـم

«النظم المختار من مدائح المختار»

والحمد لله على فَضله الدَّارّ

وصَلى الله على سيدنا محَمدٍ

مشرق الأنوار

ومركز الأدوار

ومظهر الأسرار

وعلى جميع الآل والأصحاب والأنصار

وتابعيهم السادة الأخيار

ما تعاقب الليل والنهار

وسلِّم تسليمًا كثيراً دائمًا أبدًا

فى أواخر صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة وألف من الهجرة النبوية

ختمت بالخير إن شاء الله تعالى، آمين.

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

(١) الإتحافات الربانية بشرح الشمائل المحمدية للإمام الترمذى، أحمد عبد الجواد الدومى – القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨١هـ – ٤١٦ ص.

(٢) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوى .– القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، ١٩٧٣ – ٣٦٧ ص.

(٣) الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق عبد المعطى أمين قلعجى .– القاهرة: دار الوعى، ١٩٩٣م – ٣٠ مج.

(٤) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق على محمد البجاوى .– بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م – ٤ مج.

(٥) الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانى .– بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٠٩م – ٨ ج × ٤ مج.

(٦) اصطلاحات الصوفية، كمال الدين عبد الرزاق القاشانى، تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر .– القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م – ٢٠٧ ص.

(٧) الأغانى، أبو الفرج الأصفهانى .– القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩م – ١٥ مج.

(٨) البداية والنهاية، أبو الفدا إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق أحمد أبو ملحم، وآخرون .– بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م – ١٥ ج × ٨ مج.

(٩) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، مراجعة نخبة من العلماء الأجلاء .– بيروت : مؤسسة الأعلمى، [–١٩٨] – ٨ ج – يعرف بتاريخ الطبرى.

(١٠) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى.– بيروت : مكتبة العلوم الدينية ، [د – ت].

(١١) تفسير الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطى .– بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م – ٨ مج.

(١٢) تقريب التهذيب : لخاتمة الحفاظ، ابن حجر العسقلانى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .– بيروت: دار المعرفة ، [١٩٦١ أو ١٩٦٢م] – ٢ مج.

(١٣) الجامع الصحيح: وهو سنن الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، تحقيق أحمد محمد شاكر.– القاهرة: دار الحديث، ١٩٣٨م – ٥ ج.

(١٤) حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين ﷺ ، يوسف بن إسماعيل النبهانى، تحقيق عبد الوارث محمد على .– بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م – ٦٤٧ ص.

(١٥) خير البشر بخير البشر، ابن ظفر الحموى، تحقيق عبد الحفيظ فرغلى، وآخرون .- القاهرة : المكتبة القيمة، [د - ت] - ١٨٤ ص.

(١٦) الـــدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلانى .- بيروت : دار إحياء التراث العربى، [-١٩٩] - ٤ مج.

(١٧) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، أحمد بن الأمين الشنقيطى، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م - ٣ مج.

(١٨) الـــدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، جلال الدين السيوطى، تحقيق محمود الأرناؤوط، محمد بدر الدين قهوجى .- الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م - ط٢ - ٢٠٢ ص.

(١٩) دلائـــل النـــبوة ومعـــرفة أحـــوال صـــاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، تحقيق عبد المعطى قلعجى .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٥ - ٧ ج.

(٢٠) دلائل النبوة، الحافظ أبو نعيم [د. م] .- حلب: دار الوعى، [د.ت] - ٥٦٦ ص.

(٢١) الرحـــيق المخـــتوم: بحث فى السيرة النبوية، صفى الرحمن المباركفورى .- الهند: الجامعة السلفية، ١٩٧٦م - ٦٠٢ ص.

(٢٢) الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم القشيرى، تحقيق عبد الحليم محمود وآخرون .- القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م - ٦٣٩ ص.

(٢٣) زاد المعـــاد مـــن هدى خير العباد، شمس الدين ابن قيم الجوزية .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م - ٤ ج × ٢ مج.

(٢٤) ســـنن أبى داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى، تعليق عزت عبيد الدعاس .- حمص: نشر وتوزيع محمد على السيد، ١٩٦٩م - ٥ ج.

(٢٥) ســـنن الدارمـــى، أبـــو محمـــد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى .- بيروت: دار الكتب العلمية، [- ٩٠] - ٢ ج.

(٢٦) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى .- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٢٥ أو ١٩٢٦م - ١٠ ج.

(٢٧) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق شعيب الأرناؤوط .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م - ط٤ - ٢٥ ج.

(٢٨) السيرة الحلبية: وهو الكتاب المسمى إنسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون، أبو الفرج نور الدين عـــلى بـــن إبراهيم بن أحمد الحلبى الشافعى، ضبطه عبد الله محمد الخليلى .- بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م - ٣ مج.

(٢٩) السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك المعافرى ابن هشام، تحقيق محمد بيومى .- القاهرة: مكتبة الإيمان، ١٩٩٥م - ٤ ج × ٢ مج.

(٣٠) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ابن العماد.- [د-م]: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩ - ٨ ج × ٤ مج.

(٣١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضى عياض .- بيروت: دار الكتب العلمية، [--١٩] - ٢ ج × ١ مج.

(٣٢) صحيح البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى، تحقيق محمد زكى الدين محمد قاسم .- القاهرة : دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م - ٤ مج.

(٣٣) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج مسلم .- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م - ٥ ج.

(٣٤) صحيح مسلم بشرح النووى، أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، تحقيق عادل عبد الموجود، على معوض .- الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠١م - ط ٢ - ١٠مج.

(٣٥) الطبقات الكبرى ، ابن سعد .- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦٨م - ٨ ج.

(٣٦) غاية السول فى خصائص الرسول ﷺ، ابن الملقن، تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله .- بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٣م - ٣٦٦ ص.

(٣٧) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد السفارينى الحنبلى .- القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٩٩٣م - ط ٢ - ٢ مج.

(٣٨) فتح البارى شرح صحيح البخارى، زين الدين أبو الفرج ابن رجب، تحقيق محمود شعبان عبد المقصود وآخرون .- المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٦م - ١٠ مج.

(٣٩) القاموس المحيط، الفيروزآبادى، تحقيق مكتب التراث فى مؤسسة الرسالة - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م - ١٧٥٠ ص.

(٤٠) الكامل فى التاريخ، ابن الأثير الجزرى .- بيروت : دار الفكر، [-١٩٨] - ٩ ج.

(٤١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد الجراجى، إشراف أحمد القلاش .- القاهرة: دار التراث، [-١٩٧] - ٢ ج.

(٤٢) كنز العمال: فى سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين على المتقى الهندى .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م - ط ٥ - ١٨ ج.

(٤٣) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور .- بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م- ط ١، ٣ - ١٨ مج.

(٤٤) اللفـــظ المكـــرم بخصائص النبى ﷺ للعلامة الشيخ الحافظ قطب الدين محمد بن محمد بن عبد الله الخيضرى الشافعى، المتوفى سنة ٨٩٤هـــ، تحقيق محمود أحمد عبد المحسن؛ إشراف مـــوسى شـــاهين لاشين – القاهرة: جامعة الأزهر، ١٩٨١م – ٢ مج – رسالة دكتوراه.

(٤٥) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية، يوسف بن إسماعيل النبهانى .– القاهرة: دار الفكر، [د–ت] – ٤ مج.

(٤٦) محبة النبى ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد، خليل إبراهيم ملا إبراهيم .– جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤٢٠هـــ – ط ٢ – ٤٦١ ص.

(٤٧) المدائح النبـــوية بين الصرصرى والبوصيرى، مخيمر صالح .– عمان: الدار العربية ، ١٩٨٦م.

(٤٨) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلى.– بيروت: دار المعرفة، [––١٩] – ٥ ج.

(٤٩) المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر .– القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٩ – ١٩٨٠ – ط ٣ – ٢٠ ج × ١٠ مج.

(٥٠) مصنف ابن أبى شيبة فى الأحاديث والآثار، ابن أبى شيبة، تحقيق سعيد محمد اللحام.– بيروت: دار الفكر، ١٩٨٩ – ٩ ج.

(٥١) المطالب العالية من العلم الإلهى، أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازى، تحقيق أحمد حجازى السقا .– بيروت : دار الكتب العربى، ١٩٨٧ – ٩ ج × ٥ مج.

(٥٢) معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوى .– القاهرة: مؤسسة مختار (دار عالم المعرفة)، ١٩٩٢م – ٢٠٣ ص.

(٥٣) معجم البلدان، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى .– بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م – ٧ ج.

(٥٤) المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، تحقيق حمدى عبد الحميد السلفى – [د–م : د– ن] ، ١٩٨٣م – ط ٢ – ٢٥ ج.

(٥٥) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكرى الأندلسى، تحقيق مصطفى السقا .– بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م – ط ٣ – ٤ ج × ٢ مج.

(٥٦) موعظة البقاع الشريفة بمكة والمدينـــة : محمد محمد داود .– القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٢م – ١٩١ ص.

(٥٧) نـــهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن على القلقشندى .– بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤ م – ٤٧٢ ص.

(٥٨) نـــهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى .- القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، [د. ت] - ٣١ مج.

(٥٩) نـــهاية السول فى خصائص الرسول محمد بن عبد الله ﷺ ، مجد الدين أبو الخطاب ابن دحية، تحقيق الدكتور عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور الفادنى .- قطر: مطبوعات إدارة الشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - ٥٢٧ ص.

(٦٠) النهاية فى غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحى .- بيروت : المكتبة العلمية ، ١٩٦٥ - ٥ ج.

(٦١) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين على بن أحمد السمهودى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .- بيروت: دار الكتب العلمية، [د - ت] - ٣ مج.

ثَـبَت الموضـــــوعات

- إهداء ٥
- مقدمة ٧
- ترجمة الصرصرى ١٠
- الصرصرى والمديح النبوى ١٤
- الخصائص الفنية لمدائح الصرصرى ١٦
- منهج التحقيق والشرح ١٧
- وصف نسخ المخطوط ١٩
- قافية الهمزة ٣٤
  - الهمزيَّـة الأولى ٣٥
  - الهمزيَّـة الثانية ٣٨
- قافية الباء ٤٩
  - البائيَّـة الأولى ٤٩
  - البائيَّـة الثانية ٦٣
  - البائيَّـة الثالثة ٧٠
- قافية التاء ٧٩
  - التائيَّـة الأولى ٧٩
  - التائيَّـة الثانية ٨٤
- قافية الثـاء ٩٠
  - الثائيَّـة الأولى ٩٠
  - الثائيَّـة الثانية ٩٩
- قافية الجيم ١٠٤
  - الجيميَّـة ١٠٤
- قافية الحاء ١٠٩
  - الحائيَّـة الأولى ١٠٩
  - الحائيَّـة الثانية ١١٤
- قافية الخاء ١١٧
  - الخائيَّـة ١١٧
- قافية الدال ١٢٠
  - الداليَّـة الأولى ١٢٠
  - الداليَّـة الثانية ١٢٦
  - الداليَّـة الثالثة ١٣٠
- قافية الذال ١٣٥
  - الذاليَّـة الأولى ١٣٥
  - الذاليَّـة الثانية ١٤٠
- قافية الراء ١٤٣
  - الرائيَّـة الأولى ١٤٣
  - الرائيَّـة الثانية ١٦٠
  - الرائيَّـة الثالثة ١٦٧
  - الرائيَّـة الرابعة ١٧٢
  - الرائيَّـة الخامسة ١٧٩
  - الرائيَّـة السادسة ١٨٤
  - الرائيَّـة السابعة ١٨٧
  - الرائيَّـة الثامنة ١٩٢
- قافية الزاى ٢٠١
  - الزائيَّـة ٢٠١
- قافية السين ٢٠٥
  - السينيَّـة ٢٠٥
- قافية الشين ٢٠٩
  - الشينيَّـة ٢٠٩
- قافية الصـاد ٢١٤
  - الصَّاديَّـة ٢١٤
- قافية الضـاد ٢١٨
  - الضاديَّـة الأولى ٢١٨
  - الضاديَّـة الثانية ٢٢٣

- قافية الطاء ٢٢٦
  الطائيَّـــة ٢٢٦
- قافية الظاء ٢٣٣
  الظائيَّـــة ٢٣٣
- قافية العين ٢٣٧
  العينيَّـــة ٢٣٧
- قافية الغين ٢٤١
  الغينيَّـــة الأولى ٢٤١
  الغينيَّـــة الثانية ٢٤٤
- قافية الفاء ٢٤٧
  الفائيَّـــة الأولى ٢٤٧
  الفائيَّـــة الثانية ٢٥٣
- قافية القاف ٢٥٩
  القافيَّـــة الأولى ٢٥٩
  القافيَّـــة الثانية ٢٦٣
  القافيَّـــة الثالثة ٢٦٦
- قافية الكاف ٢٧٢
  الكافيَّـــة الأولى ٢٧٢
  الكافية الثانية ٢٧٧
  الكافية الثالثة ٢٨٠
  قافية اللام ٢٨٥
  اللامية الأولى ٢٨٥
  اللامية الثانية ٢٩١
  اللاميَّـــة الثالثة ٣٠٢
  اللاميَّـــة الرابعة ٣١٣
- قافية الميم ٣١٨
  الميميَّـــة الأولى ٣١٨
  الميميَّـــة الثانية ٣٢٥
  الميميَّـــة الثالثة ٣٢٩
  الميميَّـــة الرابعة ٣٣٥
  الميميَّـــة الخامسة ٣٤٢
- قافية النون ٣٤٨
  النونيَّـــة ٣٤٨
- قافية الواو ٣٩٩
  الواويَّـــة الأولى ٣٩٩
  الواويَّـــة الثانية ٤٠٥
- قافية الهاء ٤٠٨
  الهائيَّـــة الأولى ٤٠٨
  الهائيَّـــة الثانية ٤١٤
- قافية اللام ألف ٤٢٠
  اللام ألف الأولى ٤٢٠
  اللام ألف الثانية ٤٢٤
- قافية الياء ٤٢٧
  اليائيَّـــة الأولى ٤٢٧
  اليائيَّـــة الثانية ٤٣١
  اليائيَّـــة الثالثة ٤٣٥
- ثبت بأسماء المصادر والمراجع ٤٤١
- ثبـــت الموضوعات ٤٤٧

تـــمَّ بـــحمـــد الله تعالى

رقـــم الإيـــداع : ٢١٤٤/٢٠٠٤
الترقيم الدولي : 977-295-139-8

كتب للمحقق

● أولاً: في مجال الدعوة الإسلامية:

١ ـ من أدب الدعوة (دار المنار)
٢ ـ الإسلام والزمن المقبل (دار المنار)
٣ ـ شفاء (دار المنار)
٤ ـ آلام أمة بين القدس وغدر اليهود (دار المنار)
٥ ـ مواقف وعبر (أربعة أجزاء) (دار المنار)
زادٌ للدعاة وموعظةٌ للمؤمنين
٦ ـ موعظة البقاع الشريفة بمكة والمدينة (دار المنار)

● ثانيا: في مجال تحقيق التراث:

١ ـ كشف المعاني في متشابه المثاني
(ابن جماعة) (دار المنار)
٢ ـ شرح كافية ابن الحاجب (ابن جماعة) (دار المنار)
٣ ـ مشتبهات القرآن الكريم (الكسائي) (دار المنار)
٤ ـ معجم الألفاظ القرآنية (القليبي) (دار الآداب)

● ثالثا: لغويات:

١ ـ القرآن وتفاعل المعاني (جزءان) (دار غريب)
٢ ـ الدلالة والحركة (دار غريب)
٣ ـ الدلالة والكلام (دار غريب)
٤ ـ معجم التعبير الاصطلاحي
في العربية المعاصرة (دار غريب)
٥ ـ معجم ألفاظ الكلام في العامية المعاصرة (دار غريب)
٦ ـ العربية وعلم اللغة الحديث (دار غريب)
٧ ـ الصوائت والمعنى في العربية (دار غريب)
٨ ـ اللغة والسياسة في عالم ما بعد ١١ سبتمبر (دار غريب)
٩ ـ حرب الكلمات في الغزو الأمريكي للعراق (دار غريب)